لأجلنا ولأجل خلاصنا

كلماتٌ في آلام الرب وموته وقيامته

(الكتاب الثاني)

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

لأجلنا ولأجل خلاصنا

كلماتٌ في آلام الرب وموته وقيامته

(الكتاب الثاني)

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠٢٠

الكتاب : لأجلنا ولأجل خلاصنا – كلماتٌ في آلام الرب وموته وقيامته

المؤلف : الدكتور جورج حبيب بباوي

الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

الطبعة : الأولى ٢٠٢٠

رقم الإيداع : ٢٠٢٠/٣١٠٣

الترقيم الدولي : 978-977-5086-35-8

المطبعة : جي سي سنتر ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
١٤ ش محمود حافظ ـ ميدان سفير ـ مصر الجديدة

جدول المحتويات

تقديم ١٣

القسم الأول

"هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ...
صُلِبَ عنا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر" ١٥

يوم الصلبوت، يوم المحبة المصلوبة ١٧

نزول المسيح إلى الجحيم من الكتاب المقدس حتى القديس أثناسيوس الرسولي ... ٢٠

– أولاً الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ٢٠

– ثانياً آباء الكنيسة المصرية، إكليمنضوس وأوريجينوس ٢٥

القديس إكليمنضوس ٢٦

العلامة أوريجينوس ٢٨

مَن الذين شملتهم كرازة المسيح، أو من هم الذين خلصوا؟ ٣١

– ثالثاً نزول المسيح إلى الجحيم عند القديس أثناسيوس ٣٣

السبت العظيم، أو نزول المسيح إلى الجحيم ٣٩

مراجعات من الذاكرة ومن سطح الثقافة المسيحية المعاصرة ٤٠

برهان الإيمان الرسولي للقديس إيرينيئوس ٤٢

الأرواح التي في السجن (١ بط ٣: ١٨ – ١٩) ٤٣

هل نزل الرب يسوع بنفسه الإنسانية الى الجحيم؟ ٤٣

أقدم تفسير للعهد الجديد: ٤٥

الأرواح التي في السجن: ٤٧

من الذين سباهم الرب من الجحيم؟ ٤٨

الخلاص عمل كوني لا يخص وحدة زمانية دون غيرها سابقة أو تالية لتجسد الرب: ٤٩

قانون إيمان الرسل والصلوات الليتورجية: ٥٠
خميس العهد وجمعة الصلبوت ٥٤
طقس التدبير الإلهي: ٥٤
الإرادة الواحدة للابن المتجسد: ٥٥
العلِّية وفعل التقديم والذبح: ٥٦
كيف قدَّم ذاته قبل أن يُصلب؟ ٥٨
التجسد في الزمان وفوق أبعاد الزمان: ٥٩
القيامة والاتحاد الأقنومي: ٦٢
عندما يفرض التاريخ سطوته على أقنوم الابن المتجسد: ٦٣
القيامة والعشاء السري: ٦٤
"مرةً واحدةً": ٦٤
"مرةً واحدةً"، والقيامة: ٦٤
جبل طابور، والجلجثة والقبر ٦٦
"ما قبل، وما بعد" في يسوع: ٦٧
كراهية الجسد — كراهية القديم في مدرسة الغنوسية: ٦٨
يسوع الحقيقي ابن الإنسان: ٦٩
الاتحاد الأقنومي وتحول ناسوت الرب: ٧٠
الطبيعة الواحدة المتجسدة Mia Physis ٧٢
هل منع الاتحاد الأقنومي الموت؟ ٧٢
التجسد هو اتحادٌ حقيقيٌّ بين لاهوت الله الكلمة، وناسوتٍ واحدٍ ينتمي إلينا: .. ٧٣
التسليم الكنسي السابق على القديس كيرلس السكندري: ٧٤
أباد الموت بالموت (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧): ٧٤
الطبيعة الإنسانية تحولت فيه: ٧٥
جبل طابور — جبل التجلي: ٧٦

ما يجب أن نراعيه هو مناسبات استعلانات الخلاص: ٧٧

حتى لا نعثر في سر التدبير: ٧٩

"ما قبل وما بعد"، لا مكان له في التدبير: ٧٩

أمانة اللص ٨٢

خميسُ العهد، العطاءُ الحرُّ لبذلٍ حقيقيٍّ ٨٦

يسوعُ هو الواهب، وهو العطية: ٨٨

يسوعُ في كل قداسٍ ٨٩

الصليب والمصلوب، وقفةٌ على الجلجثة ٩٠

لمن تركتني؟ ٩٢

لمن تُرِكَ المصلوبُ اليوم؟ ٩٣

إفرامية الصلبوت يوم المحبة الباذلة للفاهمين فقط ٩٤

إفرامية من سبت لعازر إلى السبت الكبير للفاهمين فقط ١٠٠

لك القوة والمجد والبركة والعزة ١٠٥

اللِّصُ يتحدى الأصولية ١٠٩

الألسنة السبعة للمصلوب ١١٢

مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة ١١٧

ابتهالاتُ قلبٍ ١١٧

المعنى المقصود بين حُسن النية والتعسف ١٢٢

غسلُ الأرجلِ ١٢٦

ليلة الصلاة في بستان جثيماني ١٢٨

عَبرَ يسوعُ وادي قدرون (يوحنا ١٨: ١): ١٢٨

البستان: ١٢٨

ذهب وحده ليصلي وأخذ معه ثلاثة: ١٢٩

ابتدأ يحزن ويكتئب: ١٢٩

في أيام جسده قدَّم بصراخٍ شديد ودموع (عب ٥: ٧): ١٢٩
القادر أن يخلِّصه من الموت وسُمع له من أجل قداسته (عب ٥: ٧): ١٣٢
من المحكمة إلى يوم جمعة الصلبوت ١٣٣
لك القوة ١٣٦
لكَ المجدُ ١٣٦
لكَ البركةُ ١٣٧
والعزَّةُ ١٣٧
أركان التدبير السبعة في كلمات الرب على الصليب ١٣٩
إلهي إلهي لماذا تركتني (مرقس ١٥: ٣٣): ١٣٩
يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤): ١٤١
"اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (لوقا ٢٣: ٤٢): ١٤١
أحباء يسوع هم معه رغم الألم ١٤٣
رأى يسوعُ أُمَّه والتلميذَ الذي كان يحبُّه واقفاً (يوحنا ١٩: ٢٥): ١٤٣
قال لأُمه يا امرأة هوذا ابنك (يوحنا ١٩: ٢٦): ١٤٣
قال للتلميذ هوذا أُمَّكَ (يوحنا ١٩: ٢٦): ١٤٤
يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦): ١٤٤
مات بإرادته وحده وسلطانه: ١٤٥
سلطان الرب ليس فقط لأنه إلهٌ متجسد، بل لأنه ربُّ الحياة: ١٤٦
أنا عطشان — قد أُكمل: ١٤٧
"أكمل التدبير بالجسد" حسب صلواتنا الأرثوذكسية ١٤٨
المسيحُ حيٌّ معنا وفينا ١٥٠
المسيحُ حيٌّ معنا ١٥٠
قيامة المسيح جعلته رأسَ الجسد، أي الكنيسة: ١٥٠
الاتحاد بالرب يسوع هو اتحادٌ إلهيٌّ سِرِّيٌّ: ١٥١

المسيحُ حيٌّ فينا: ١٥٥
مع المسيح في تجاربه في البرية ١٥٧
المجدُ للمصلوبِ حُبَّاً من أجلي تمجيدات للمصلوب في عيد الصليب ١٦٠
-١- المجد لك يا يسوع المصلوب ١٦٠
-٢- المصلوب لأجلي ١٦٥
خميسُ العهد، نحن وهو جسدٌ واحدٌ ١٦٧
حتى لا نجهل التاريخ ١٦٧
المبدأ الإلهي الأول: ١٦٨
المبدأ الإلهي الثاني: ١٦٨
خميس عهد الرب: ١٦٩
مع المسيح من العلية إلى القيامة حسب قطمارس أُسبوع الآلام شهادة لتعليم آباء الإسكندرية (١) ١٧١
إيقاع لحن لاهوتي صافٍ: ١٧١
المسيح الفصح الحقيقي: ١٧٣
ذبح اسحق وإبادة الموت وفرح القيامة: ١٧٤
عظة لأبينا أنبا أثناسيوس الرسولي رئيس أساقفة الإسكندرية: ١٧٥
هزيمة الجحيم وإبادة الموت: ١٧٦
مع المسيح من العلية إلى القيامة حسب قطمارس أُسبوع الآلام شهادة لتعليم آباء الإسكندرية (٢) ١٧٨
الجمعة العظيمة – جمعة الصلبوت ١٧٨
ملحق شرح نبوة أشعياء ٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢ حسب نص الترجمة السبعينية للقديس كيرلس الكبير ١٨١
من هو الذي يأتي من آدم (أش ٦٣: ١-٧) ١٨٩
شرح أشعياء ٦٣: ٣-٦ .... ١٩٠

ذكرى ما هو كائن، ومَن هو قادرٌ، ومَن أعطى، ومَن دعى وبذل تأملاتٌ في أسبوع البصخة (العبور) ١٩١
أحد الشعانين: ١٩٢
شجرة التين: ١٩٢
يوم النبوات ثلاثاء البصخة أو العبور: ١٩٢
يوم التشاور، ويوم نبتت بذرة الخيانة: ١٩٣
خميس العهد الأعظم: ١٩٣
سِرَّان في العلية: ١٩٣
الصليب وسيف بطرس وسيف يهوذا: ١٩٤
هوذا هنا سيفان (لوقا ٢٢: ٣٨): ١٩٧
يسوع في جثماني: ١٩٨
اللص في الفردوس: ١٩٨
لماذا تركتني، أم لمن تركتني؟ ١٩٩
مات بالجسد الحيُّ إلى الأبد ٢٠٠
مع المسيح من الشعانين إلى القيامة ٢٠٣
خميسُ عهدِ محبتك ٢٠٤
كان يصلي لكي تعبر عنه الساعة وليس الكأس فقط (مرقس ١٤: ٣٥): ٢٠٥
يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس (متى ٢٦: ٣٩): ٢٠٦
وبكى بطرس بكاءً مراً (لوقا ٢٢: ١٢): ٢٠٧
يومُ الصلبوت ٢٠٨
وكان المجتازون يجدِّفون عليه (متى ٢٧: ٣٩): ٢٠٨
انشق حجاب الهيكل: ٢٠٩
اللص اليمين: ٢٠٩
تحدِّي ديماس اللص: ٢١٠

"الحق أقول لك اليوم إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا ٢٢: ٤٣): ٢١١
يا امرأة هوذا ابنك .. هوذا أُمك (يوحنا ١٩: ٢٦): ٢١١
يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦): ٢١٢
ثالث المستحيلات: ٢١٢
السبت العظيم ٢١٤
الأبواب النحاس: ٢١٥
خميسُ العهد ٢١٧
يوم الصلبوت ٢١٩
جثيماني ٢١٩
اللص ديماس ٢٢٠
يسوع الكلمة الخالق لم يدفع ثمناً للخطية ٢٢٠
البدلية العقابية ٢٢١
يسوع في القبر ٢٢١

القسم الثاني

"هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ... قام من الأموات وصعد إلى السموات" ٢٢٣

الأسباب العشرة للقيامة المجيدة ٢٢٥
أولًا: التجسُّد حقيقةٌ أبديةٌ ٢٢٥
ثانيًا: شركةٌ بلا انفصال ٢٢٥
ثالثًا: الزمان الجديد ٢٢٦
رابعًا: الكنيسة جسد المسيح الحي ٢٢٦
خامسًا: المعمودية سر الانضمام للحي ٢٢٧
سادسًا: المسيح الكاهن والشفيع ٢٢٨
سابعًا: الاسم المحيي ٢٢٩

ثامنًا: الجسد المحيي والدم الكريم ٢٣٢
تاسعًا: الأعياد والتذكارات الحية ٢٣٣
عاشرًا: وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي ٢٣٤
القيامة، والترتيب السماوي للحياة الجديدة ٢٣٦
القيامة العامة، أم قيامة المسيح؟ ٢٤١
القيامة في اليوم الأخير ٢٤٣
الشهادة بقيامة المسيح ٢٤٦
قيامة الرب هي سبب قيامتنا: ٢٤٧
قيامة المسيح هي أساس قيامتنا: ٢٤٩
المعرفة الإنسانية في الدهر الآتي: ٢٥٠
كيف ستجد الروح الجسد؟!! ٢٥٢
صعود رب المجد بالجسد إلى السماء هو الذي وضع لنا الأساس السماوي الإلهي للأسرار ٢٥٥
-١- لماذا صعد الرب بالجسد إلى السماء؟ ٢٥٥
-٢- إبصاليات عيد الصعود ٢٥٩
-٣- الصعود والسرائر الكنسية ٢٦٠
-٤- أصعدتَ باكورتي إلى السماء ٢٦٤
القيامة، أساس الإنجيل ومسرة الثالوث بالإنسان ٢٦٧
الشركة في المسيح الحي: ٢٦٩
الاسم والشخص ٢٧٠
مسرة الثالوث بالإنسان ٢٧١
مسرة الثالوث بالإنسان: ٢٧٤
رسالة عيد القيامة المجيدة ٢٠١١ .... ٢٧٦
المسيح قام ... حقًا قام ٢٧٦

القيامة، شركةُ حياةٍ لا تنتهي ٢٨٠
الكنيسة لديها ينبوع القيامة: ٢٨٣
البابا الـ ١١٨: ٢٨٣
قيـامـةُ الحيـــاة ٢٨٦
المسيح قام، بالحقيقة قام ٢٩٥
قيامةُ الربِّ من القبرِ واستعادة الوعي الأرثوذكسي بالخلاص ٢٩٨
قيامة المخلِّص هي سبب اجتماع الكنيسة يوم قيامة الرب: ٢٩٩
المسيحُ رأسٌ حيٌّ لجسدٍ حيٍّ: ٣٠٠
الأقنوم المتجسد هو الذي مات وقام: ٣٠١
الجسد المُمَجَّد الحي والمحيي ٣٠٤
كيف صارت الإفخارستيا ذكرى عقلية في عقول العابدين؟ ٣٠٧
الخبز الحي ٣٠٩
خبز القيامة من الأموات ٣٠٩
بدون القيامة لا إفخارستيا ٣١١
قيامةُ الربِّ يسوع، هي البدءُ الأبدي لكلِّ شيءٍ ٣١٣
الروح القدس، روح الشركة، روح المحبة ٣١٧
ماذا يعطي الروح القدس من ذاته؟ ٣٢٠
روح المحبة: ٣٢٢
انسكاب الروح القدس: ٣٢٢
الصعود، كمالُ التدبير ٣٢٥
يسوع قبل القيامة وبعد القيامة ٣٢٦
كيف حدث التحول؟ ٣٢٧
تألُّه ناسوت الرب يسوع: ٣٢٨
العلاقة الخارجية ليست شركة: ٣٢٨

ما حدث قبل القيامة يُعطى لنا بعد القيامة: ٣٢٩
يوم القيامة، قيامتنا في المسيح ٣٣٠
المسيح قام. حقاً قام: ٣٣٠
كيف تغلغلت قيامة الرب في كياننا الذي يعاني المرض والألم، والموت؟ ٣٣٢
قيامة الرب يسوع هي قيامة الكون ٣٣٣
عربون تجديد الكون في الليتورجيا: ٣٣٥
المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه –١– ٣٣٥
فكيف مات شهداء مصر؟ ٣٣٥
فكرة الموت: ٣٣٦
المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه –٢– ٣٣٧
المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه –٣– ٣٣٨
المسيحُ قام والقبر فارغ ٣٣٨
صعود الربُّ بنا إلى السماء ٣٤٠
كيف جاءت السماء إلينا؟ ٣٤١
صَعِدَ وأرسل لنا البارقليط، روح الحق المعزّي ٣٤٣
عيد العنصرة ٣٤٦
القيامةُ، بشارةٌ ومنهج ٣٤٨
القيامة رجاؤنا الأعظم ٣٥٠
عثرة الصليب ٣٥٣
القيامة شجاعة آباء الإسقيط ٣٥٤
العربون ٣٥٥

تقديم

أذكر أنني قرأت أن معظم القراءِ في مصر لا يقرأون مقدمات الكتب. ولكن المقدمة تشرح سبب نشر الكتاب وحجة الكاتب إزاء قضية معينة. فما هي قصة هذا الكتاب؟ وما هي حجة المؤلِّف؟ وما هو السبب في نشر هذه الصفحات؟

يجيب عن هذه الأسئلة جميعها ما أصاب حياتنا من عطبٍ نتجَ عن أننا جعلنا كل أحداث الخلاص قاصرةً على الرب وحده، بالرغم من أننا نعترف: "هذا الذي لأجلنا ولأجل خلاصنا ... ". ولكن لأن الكثيرين يرددون هذا الاعتراف دون وعي، فقلائل هم الذين يدركون أن كل أحداث الخلاص هي "لأجلنا".

لذلك تجد في هذا الكتاب –على سبيل المثال– دراسةً عن هزيمة الجحيم، وكيف ردم الرب يسوع هذه الهوة في تاريخ الإنسانية. ولا تختلف باقي المقالات عن هذه الدراسة، فكلها ترشِف من معين التسليم الكنسي الذي لا ينضب.

الكتاب هو صفحات تشهد على تاريخ بعيد ومعاصر. هو دراسات تنهل من نبعٍ واحد، وهو التسليم الكنسي المدوَّن والذي وصلنا في صلوات أُم الشهداء وكتابات الآباء أثناسيوس وكيرلس وذهبي الفم وباسيليوس وغريغوريوس النزينزي، وغيرهم دون حصر، فهؤلاء هم مياه الينبوع الصافي التي أفاضها الروح القدس، والتي وصفها الرب يسوع نفسه.

نُشِرت هذه الصفحات من أجل الباحثين، أولاً على موقع الدراسات القبطية، ولكن كان جمع هذه المتفرقات بين دفتي كتاب، أمرًا ضروريًّا من أجل المِصريِّين على البحث عن صوت وشهادة أُم الشهداء.

وهكذا، نقدم للقراء جميعًا هذا السجل، لعلنا نعود إلى المنهج التاريخي، ونهجر الآراء والتصورات الشخصية التي لا تنسجم والتسليم الكنسي.

هذه قضيةُ جيلٍ آتٍ، فهي صفحات خاصة بالمستقبل.

د. جورج حبيب بباوي

USA

٢٢ نوفمبر ٢٠١٩ - ١٢ هاتور ١٧٣٦ ش
التذكار الشهري للملاك الجليل ميخائيل.

القسم الأول

"هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ... صُلِبَ عنا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقبر"

يوم الصلبوت، يوم المحبة المصلوبة[1]

اتحادُكَ بالجسد ثبَّتَ تجسُّدك إلى الأبد.

على الصليب سمَّرتَ محبتك.

قبل أنْ تتجسَّد كانت المحبةُ كلمةً.

كانت أفعالها محدودةً بالموتِ،

لكن أخذْتَ الذي لنا؛ لكي لا تبقى المحبةُ سجينةٌ.

علَّقت بيديك جَسَدَكَ؛ لكي بالمسامير تهزم الموتَ.

صارت المحبةُ قادرةً على أن تتخطى حاجزَ الموتِ.

صار الصليبُ، العبورَ (الفصح) الأبديَ.

عَبَرتَ الموتَ؛ لكي تمُد يديكَ لنا.

أيها الإله المتأنِّسُ، في موتكَ أنتَ إنسانٌ،

وفي موتكَ أنت إلهٌ حيٌ تجوز الموتَ؛

لكي تدفن معكَ في القبرِ نهايةَ الموتِ.

ومِن القبرِ تعلنُ فجرَ الخلقةِ الجديدةِ.

لقد مات آدم الثاني موتُ الخلاصِ يوم الصلبوت،

انبعث جديدًا من القبر الجديد الذي لم يُدفن فيه أحد.

***

(١) مناجاة منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ إبريل ٢٠٠٧.

يوم الصلبوت شيَّد الناسوتُ،

هيكلًا خالدًا حيًا باللاهوت.

شمسُه غابت، وأشرق يومٌ جديدٌ،

لا تغيب فيه أنوارُ الحياةِ.

يوم الصلبوت صَلَبَ محبة الجسدِ.

تغلغل الصليبُ في الأحشاء والقلب.

صار سفينةَ الفكرِ الحي الجديدِ.

القيامةُ غرسها الصليبُ.

القيامةُ فتحت بابَ الحياةِ للمارقين.

أدانت الدينونةَ، وأحيَّت المائتين.

حتى سجناءُ الهاوية صاروا أحرارًا.

نزل الحُرُّ ابن الله، فصارت ظلمتها نهارًا.

***

يوم الصلبوت، عَلَمُ المغفرةِ،

يرفرف على الأفئدةِ.

الفاهمون الجودَ يطلبون ذلك العَلَم.

تحت لواء المصلوب، ومعه موكب هزيمة الأحقاد،

لا كلامَ ولا حديث، فالصليبُ صمتُ المحبةِ.

شعاعها يُبدِّدُ كل محتويات أي خطاب.

مَن عَبَرَ من باب الموت وعاد إلينا حيًا،

يحمل في طياتِ حياته براهين الخلود؟

***

نزول المسيح إلى الجحيم

من الكتاب المقدس حتى القديس أثناسيوس الرسولي[٢]

أولاً

الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد

استخدم العهد القديم كلمة "انحدر" أو "نزل" عدة مرات بالإشارة إلى الذي يموت ويمضي إلى شيئول (تك ٣٧: ٣٥، ٤٢: ٣٨، ٤٤: ٢٩، عدد ١٦: ٣٠ و٣١) والنزول إلى الهاوية أو شيئول هو اقتراب من أبواب الموت، تلك التي تُفتح لتضم القادم اليها "في عز أيامي أذهب إلى أبواب الهاوية" (أش ٣٨: ١٠ راجع مز ٩: ١٣، ١٠٧: ١٨). ومن أجمل النصوص ما يقوله سفر الحكمة عن سلطان الله: "لأن لك سلطان الحياة، تُحدر إلى أبواب الجحيم، ومن هناك تجيء بمن أنزلته" (حك ١٦: ١٣).

والميِّت هو إنسانٌ لا حول له ولا قوة، بل صار مثل خيال "صرت مثل رجل لا قوة له بين الأموات فراشي" (مز ٨٨: ٤).

"أَفَلَعَلَّكَ لِلأَمْوَاتِ تَصْنَعُ عَجَائِبَ أَمِ الأَخِيلَةُ تَقُومُ تُمَجِّدُكَ؟" (مز ٨٨: ٤ – ١٣). ويصف أشعياء النبي استقبال ملك بابل عندما نزل إلى الهاوية "اَلْهَاوِيَةُ مِنْ أَسْفَلُ مُهْتَزَّةٌ لَكَ لاِسْتِقْبَالِ قُدُومِكَ مُنْهِضَةٌ لَكَ الأَخِيلَةَ جَمِيعَ عُظَمَاءِ الأَرْضِ. أَقَامَتْ كُلَّ مُلُوكِ الأُمَمِ عَنْ كَرَاسِيِّهِمْ. كُلُّهُمْ يُجِيبُونَ وَيَقُولُونَ لَكَ: أَأَنْتَ أَيْضاً قَدْ ضَعُفْتَ نَظِيرَنَا وَصِرْتَ مِثْلَنَا؟" (أش ١٤: ٩ – ١٠).

---

(٢) نشر هذا البحث في عددي مجلة مرقس في شهري مايو وأغسطس ١٩٧٣. وأُعيد نشره على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ مايو ٢٠٠٩.

كانت صورة الموت، بل وحالة الموتى في العهد القديم مفزعة جداً، ذلك أن القيامة لم تكن قد أُعلنت بعد، فالميِّتُ ليس ضعيفاً فقط، بل هو لا يعلم ما يحدث لغيره "يُكْرَمُ بَنُوهُ وَلاَ يَعْلَمُ أَوْ يَصْغِرُونَ وَلاَ يَفْهَمُ بِهِمْ" (أيوب ١٤: ٢١). "لأَنَّ الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً" (جامعة ٩: ٥).

ومن الواضح أن الميِّت ينزل إلى الأرض أو باطن الأرض، وهذا هو معنى قول الرسول: "نَزَلَ أَيْضاً أَوَّلاً إِلَى أَقْسَامِ الأَرْضِ السُّفْلَى" (أف ٤: ٩)، ويحاول البعض أن يجادل في معنى أقسام الأرض السفلى بأنها هي الأرض التي نعيش عليها، لكن هذا خطأ؛ لأن نص أفسس ٤: ٩ مأخوذ من مزمور ٦٣: ٩.

أفسس ٤: ٩	"ει″ τα χατωτεοα μεοη της γης"
مزمور ٦٣: ٩	"τα χατωτατα της γης"

وقد أكد الرسول بولس نفسه صحة هذا التفسير في رومية ١٠: ٧ "مَنْ يَهْبِطُ إِلَى الْهَاوِيَةِ؟ (أَيْ لِيُصْعِدَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ)".

ومن الواضح أن النزول هو نفس الفعل المستخدم في نصوص العهد القديم، وعندما نزل المسيح إلى أقسام الأرض السفلى أو الهاوية، صار له سلطان على الذين تحت الأرض (فيلبي ٢: ١٠) وتعبير "تحت الأرض" هو تعبير كلاسيكي قديم يستخدم للجحيم (راجع رومية ١٠: ٧).

وإذا جمعنا بين كولوسي ٢: ١٥ "إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ اشْهَرَهُمْ جِهَاراً، ظَافِراً بِهِمْ فِيهِ"، وفيلبي ٢: ١٠ نجد حديثاً خاصاً عن عمل المسيح في الهاوية أو الجحيم، ذلك أنه انتصر على القوات في الصليب أي بالموت، وبالتالي صار له سلطان على الذين تحت الأرض (راجع رؤيا ٥: ٣) "فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ وَلاَ عَلَى الأَرْضِ وَلاَ تَحْتَ الأَرْضِ ...". ومن الواضح أن يوحنا الرسول يستخدم نفس تعبير بولس الرسول في فيلبي ٢: ١٠. والذين تحت الأرض ليسوا هم الشياطين؛ لأن هؤلاء هم في الهواء حسب نص أفسس ٢: ٢ و٦: ١٢.

وقد أوضح الرسول بولس ما الذي فعله المسيح عندما نزل تحت الأرض، وذلك بالاقتباس المشهور في مزمور ٥٨: ١٨ الذي يظهر في فيلبي ٤: ٨ حيث

نزل المسيح إلى أسفل، وعند ما أُصعد، سبى الأسرى معه. والأسرى في المزمور هم أعداءِ أورشليم أو الأرواح التي في السجن (١بطرس ٣: ١٩)؛ لأن المسيح مات على الصليب لكي يحطِّم ليس العداوة فقط، بل ويحضر الذين في قبضة العدو ويجعلهم لله.

وإذا انتقلنا إلى الرسالة إلى العبرانيين، نجد صورةً واضحة المعالم عن "نزول المسيح إلى الجحيم"، فالله أقام الرب يسوع من بين الأموات (عبرانيين ١٣: ٢٠)، وقبلها يتذكر الكاتب الأرواح الذين لم يكملوا بدوننا (عبرانيين ١١: ٤٠ راجع عبرانيين ٥: ٩ – ٦: ٢٠، ٩: ٢٤). ويعتقد العالم الألماني ***Loofs*** أن النزول إلى الجحيم هو أحد محاور الرسالة إلى العبرانيين[٣].

وفي سفر الرؤيا عبارة صريحة عن نزول المسيح إلى الجحيم، وهي "مَفَاتِيحُ الْهَاوِيَةِ وَالْمَوْتِ" (رؤيا ١: ١٨)، وسوف نناقش فيما بعد فكرة المفاتيح والأبواب، لكننا نسمع صوت العلامة أوريجينوس: "إذ قال إن معه مفاتيح الهاوية والموت، فهذا لأنه نزل إلى الهاوية، وغلب الموت، وصار بموته قادراً على أن يمسك بالمفاتيح"[٤]. ويعلق *R.H. Charles* أن اليهود قد فهموا أن "الله وحده هو الذي يملك مفاتيح الهاوية"[٥]. ويلذ لنا أن نرى كيف يعبِّر سفر الرؤيا عن ألوهية المسيح رغم أنه أخذ ما للإنسان، إلاَّ أنه نزل إلى الهاوية بروحه الإنسانية ليأخذ ما يخص ألوهيته لأنه واحدٌ.

وإذا ما انتقلنا إلى الفقرة المشهورة في ١ بطرس ٣: ١٨ – ٤: ٦ فإننا نواجه بعض الصعوبات الأمر الذي دفع أحد اللاهوتيين إلى أن يكتب رسالة دكتوراه في شرح معنى هذا النص وحده[٦] ولا يسمح المجال بعرض رسالته هنا، لكنه يؤكد أن الرسول بطرس أكد نزول المسيح إلى الجحيم، وفي الواقع أن الغموض يحيط بالنص إذا عزلناه عن سياق وعن استعمالات العهد القديم التي تشكل جانباً هاماً من كلماته، ولذلك سوف نقتبس النص "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ

(3) Loofs "Descent to Hades" Ency. Of Rel, and Eth. Vol. IV p.662.

(4) Origen, Common ou Revelation, 13:12, 134.

(5) Inter. criti, Comm. I. p. 33.

(6) W. Dalton, Christ’s Proclamation to the spirits. A study of Peter 3, 18 – 4, 4. Rome 1955.

الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلَكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ، إِذْ عَصَتْ قَدِيماً، حِينَ كَانَتْ أَنَاةُ اللهِ تَنْتَظِرُ مَرَّةً فِي أَيَّامِ نُوحٍ" ويكمل بطرس حديثه عن الدينونة التي ستواجه الأحياء والأموات، فيقول "فَإِنَّهُ لأَجْلِ هَذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى أَيْضاً، لِكَيْ يُدَانُوا حَسَبَ النَّاسِ بِالْجَسَدِ، وَلَكِنْ لِيَحْيُوا حَسَبَ اللهِ بِالرُّوحِ" (١بطرس ٤: ٦).

ولعل الصعوبة هي أن شخصاً مثل أوغسطينوس اعتبر أن النص لا يشير إلى النزول إلى الجحيم(٧)، وقلَّده في هذا توما الأكويني(٨)، واعتبر أوغسطينوس أن الرسول يتحدث عن كرازة المسيح قبل التجسد، أي في أيام نوح قبل الطوفان. بل فهم أوغسطينوس أن كلمة "السجن" تعني هنا ظلمة الجهل والخطية. ولكن كيف فهم أوغسطينوس "مُحْيىً فِي الرُّوحِ"، حيث الإشارة هنا إلى قيامة المسيح، وقد حدثت بعد الطوفان؟ أي ما علاقة كرازة المسيح في أيام نوح بقيامة المسيح؟ وكيف ولماذا يقفز بطرس من أيام نوح إلى قيامة المسيح؟ إن قفزةً مثل هذه لا معنى لها. ولو حاولنا أن نقرأ النص حسب تفسير أوغسطينوس أو الأكويني لكان النص يُقرأ هكذا: المسيح تألم ومات في الجسد، ولكنه صار حياً في الروح الذي كرز به للأرواح في أيام نوح .. الخ.

إن الحديث عن الموت والقيامة يجعل من المنطقي أن يكون هناك إشارة لما عمله المسيح عندما صار مع الأموات، وإلاَّ كيف نفهم عبارة "لأَجْلِ هَذَا بُشِّرَ الْمَوْتَى"، وقد فهم أوغسطينوس أن الإشارة إلى الروح هنا هي إلى الروح القدس لا روح المسيح، وربما كان عند أوغسطينوس بعض العذر، ذلك أن هناك نصوصاً كثيرة أشارت إلى الروح القدس الذي أقام المسيح، ولكن هنا في هذا النص بالذات غابت أداة التعريف "ال" في اليونانية، وهذا لا يجعل الحديث هنا عن الروح القدس ممكناً (راجع للمقابلة ١تيموثاوس ٣: ١٦) وكأن الرسول يقول مات المسيح بالجسد، لكنه بالروح كان حياً، هذا بشَّر به للموتى، وبه صعد إلى السموات (راجع أفسس ٤: ٩ - ١٠).

(7) Aug, Epist el XIV. 15.

(8) Aquinos Summa, Theolog. III. 52, 2.

ويجب أن نلاحظ أن الرسول استخدم كلمة "السجن"، وهي إشارة إلى الهاوية. واستخدمها أشعياء النبي في حديثه عن عمل المسيا: "لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين في الظلمة" (اشعياء ٤٢: ٧ – ٤٩: ٩). أو حسب تفسير القديس هيبوليتوس دخل إلى الجحيم "كروح مثل باقي الأرواح"(٩). ومن الشيق أن نلاحظ أن الترجمة السريانية تقرأ كلمة "شيؤل"، أي الجحيم بدلاً من كلمة "السجن"، وهي مرادف لكلمة الهاوية حيث سجن الشيطان (رؤيا ٢٠: ٧ و٢بطرس ٢: ٤ ويهوذا ١: ٦). واستخدم كلمة "أرواح" للبشر ليس غريباً على العهد الجديد، حيث استخدمت للبشر في (عبرانيين ١٢: ٢٣). وقد حاول لوثر أن يفسر النص على أن الأرواح التي في السجن هي أرواح اليهود والأمم الذين لا زالوا على الأرض الذين بشَّرهم الرسل جميعاً بوحي من الروح القدس(١٠) لكن هذا التفسير لا ينسجم مع النص، بل حاول البعض أن ينكروا نزول المسيح إلى الجحيم، وقالوا إن موت المسيح على الصليب كان ذا تأثير على الذين في الجحيم(١١) لكن كلمات الرسول تكفي "ذَهَبَ فَكَرَزَ"، ويجب أن نلاحظ أن كلمة كرز εχηουξεν لا تستخدم في العهد الجديد للإشارة إلى الدينونة، بل إلى الخلاص وبشارة الملكوت.

والآن يمكننا أن نلقي نظرة فاحصة على النص:

+ الصليب: "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ .... الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ" عدد ١٨.

+ الموت: "مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ".

+ النزول إلى الجحيم: "مُحْيىً فِي الرُّوحِ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً ذَهَبَ فَكَرَزَ" ١٨ – ٢١.

+ القيامة: "بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ..." عدد ٢١.

+ الصعود: "الَّذِي هُوَ فِي يَمِينِ اللهِ" عدد ٢٢.

ولعل أهم ما نختم به هذه الكلمات هو أن الرسول بطرس نفسه يذكر نزول المسيح إلى الجحيم ثلاث مرات في عظته في سفر الأعمال ٢: ٢٤ و٢٦ و٢٧ و٣١.

(9) Hippolytus "on the Holy Pascha" I. 2, GCS, Leipzif, p. 269.

(10) Luther "Complete Works", Vol. I. p.458.

(11) T.H. Simar "Hank-Book of Dogmatic Theology", Vol. I. p. 539.

ثانياً

آباء الكنيسة المصرية، إكليمنضوس وأوريجينوس

لن نتحدث باستفاضة عن الآباء الرسوليين، ذلك لأننا نخصص الكلام هنا عن الإسكندرية، ونمهد للحديث عن أثناسيوس تحديداً. لكن هذا لا يمنع من أن نؤكد على أن هناك إشارات واضحة لنزول المسيح إلى الجحيم في كتابات أغناطيوس الأنطاكي(١٢) والشهيد بوليكارب(١٣) والشهيد يوستينوس(١٤) وقد استشهد يوستينوس بالذات بنص ١بطرس ٣: ١٨ ... الخ (١٥) وهرماس(١٦).

بل قَبِلَ مرقيان الغنوسي عقيدة نزول المسيح إلى الجحيم، وسجَّل عنه القديس ايريناوس أنه علَّم بأن المسيح نزل لكي يخلِّص أهل سادوم وغيرهم من العصاة. ورفض اليهود من أنبياء العهد القديم كرازة المسيح؛ لأنهم اعتادوا أن يجربهم إله الشر وأن يخدعهم، ولذلك عندما نزل المسيح إلى الجحيم ظنوا أنه إله العهد القديم جاء ليجربهم فرفضوا كرازته، بينما قبل باقي الناس الخلاص(١٧).

أمَّا القديس ايريناوس فهو يؤكد أن نزول المسيح إلى الجحيم هو من ضمن التعاليم التي سمعها من *Presbyter* وأنه هو بدوره سمعها من الذين أبصروا الرسل وسمعوهم(١٨). وقد ذكر إيريناوس أن الذين سبقوه علَّموا بأن الذين عاشوا في العهد

(12) Ad. Magn. c. 9. See lightfoot "The Apostolic Fathers" Pt. 2 II. 1. Ad. Philade c. 5 and 9. Ad. Trall. c. 9.

(13) Ad. Phil. 3.

(14) Dial. Trypho, c, 72 and 99.

(15) Inter. Criti. Comm. Peter and Jude p. 10.

(16) Simil IX, 15, 16.

(17) Iren, Adv. Haer I. 27. 3. and Epiph. Hom. XIII. 4.

(18) Ibid IV. 27. 1, 32, I.

القديم، وبالذات داود وسليمان كان يكفيهم التوبيخ الذي أخذوه، والذي كُتِبَ في الأسفار المقدسة؛ لأنهم كان لهم فرصة للاستنارة ومعرفة الحق في الجحيم عندما نزل إليهم المسيح. وهنا يورد القديس ايريناوس نص شهادة الشيخ الذي علَّمه: "لقد قال الشيخ: لقد نزل الربُ إلى أقسام الأرض السفلى، مُعلناً لهم أيضاً مجيئه وغفران خطايا الذين آمنوا به. هؤلاء كانوا ينتظرونه على رجاء وقد سبقوا وأخبروا بمجيئه وأطاعوا وصاياه. هؤلاء الرجال الأتقياء، أي الأنبياء والبطاركة، كان موت الرب بالنسبة لهم شفاء ومغفرة لخطاياهم"(١٩).

كان من الضروري أن نعبر على شهادات الآباء عن نزول المسيح إلى الجحيم حتى لا يتوهَّم أحدٌ ما أن هذا التعليم هو من اختراع آباء الإسكندرية، وأن الآباء الذين سبقوا إكليمنضوس لم يعرفوه. يكفي أن نعرف أن هؤلاء الآباء يغطُّون الفترة من (١٢٠م — ٢٠٠م)، وقد كتب القديس إكليمنضوس كتابه المتنوعات في نهاية ١٩٥م.

القديس إكليمنضوس

وقد عالج القديس إكليمنضوس موضوع نزول المسيح إلى الجحيم من زاوية هامة، وهي عدالة الله وصلاحه، وهي نقطة على جانب كبير من الأهمية في لاهوت الإسكندرية، ذلك أن المسيح الذي وُلِدَ على عهد أوغسطس قيصر في بيت لحم بفلسطين هو مخلِّص الذين وُلِدوا من بعده والذين آمنوا به. لكن هذا يحصر عمل المسيح في الفترة التي أعقبت تجسده وموته وقيامته وتأسيس الكنيسة جسده الذي تشهد عنه للعالم. لكن عمل المسيح لا يمكن حصره في فترة معينة، وإلاَّ صار الخلاصُ محدوداً، ولا يمكن أن يُقال عنه إنه "حمل الله الذي يرفع خطايا العالم كله". فماذا عن الذين سبقوا المسيح؟

لقد كان تقليد الكنيسة واضحاً في هذا الخصوص، ذلك أن الأنبياء رقدوا على رجاء مجيء المخلص، لكن هذا الرجاء لا يكون رجاءً بالمرة إذا كانت نجاتهم أو خلاصهم ستتم في نهاية الزمان أي في يوم الدينونة.

(19) Ibid IV. 27. I. F.

وماذا عن الوثنيين؟ هؤلاء اعتبرهم اكليمنضوس "أنبياء الوثنية" وقد مهَّدوا عقول الناس لقبول الحق وللتعرف على "اللوغوس". والفلاسفة الذين يفتشون عن الحق يؤكدون أن الله يحركهم للبحث عن الحق، كما أن الذي عرف الكثير من الحقائق عن الله والإنسان والعالم لا يمكن أن يكون بعيداً عن الله. هكذا يفكر إكليمنضوس وهو يمهد لشرح معنى نزول المسيح إلى الجحيم الذي يخصص له فصلاً كاملاً في كتاب "المتنوعات". ويلجأ إكليمنضوس إلى التقليد القديم الذي عرفه عن كتاب الراعي "هرماس"، ومؤداه أن الرسل كرزوا في العالم الآخر لغير المؤمنين.

ويبدأ إكليمنضوس حديثه بنص اشعياء ٤٩: ٩ "قولوا للأسرى اخرجوا وللذين في الظلمة تقدموا". "الأسرى هم اليهود والذين في الظلمة هم الأمم". لأن الإيمان لم يكمل عند الذين تبرروا حسب الناموس. لقد كان التخلي عن العبادة الوثنية مطلوباً مع الإيمان من الذين تبرروا حسب الفلسفة، ولذلك عندما أُعلن الحق كان على الكل أن يتوب عن كل ما سبق ... وإذا كان المسيحُ قد بشَّر بالإنجيل للذين على الأرض حتى لا يدانوا ظلماً، فكيف نقبل أن نقول إنه لم يبشِّر بالإنجيل للذين عاشوا قبله؟ الله صالح وضابط الكل، لذلك يخلِّص ببرٍ ومساواةٍ كل الذين يرجعون إليه هنا (في هذه الحياة)، أو في أي مكان، ولذلك فالذين كانوا غرباء عن الناموس وعاشوا حياة البر عندما ماتوا، نزلوا إلى الجحيم وكانوا هناك في الحفظ حتى سمعوا صوت الرب نفسه، أو صوت رسله الذين بشَّروا في الجحيم، فأسرعوا وآمنوا[٢٠]، وفي الكتاب الثاني والفصل التاسع من المتنوعات يقتبس إكليمنضوس من هرماس ليؤيد خلاص الأبرار من اليهود والوثنيين على حدٍ سواء[٢١]. لكنه يعود ويميِّز بين الأبرار والأشرار ويسأل: "هل يمكن أن يقال إن الأبرار والأشرار يعاقبون معاً؟ ماذا إذاً؟ ألا تعلن الكتب المقدسة أن الرب بشر بالإنجيل للذين هلكوا في الطوفان والذين كانوا مقيدين بسلاسل في السجن" (١ بطرس ٣: ١٩)[٢٢].

ونحن هنا أمام مَن يحامي عن التعليم. يدافع عنه من خلال نظرته إلى عدالة

(20) Strom VI. 6.

(21) Ibid II. 9.

(22) Ibid VI. 14-VII. 10, 12, 6.

الله وصلاحه، وهو يستمد دفاعه من التقليد ومن الأسفار المقدسة. ولعل أهم ما نختم به هو كلمات إكليمنضوس كما ورد في الكتاب السادس والفصل السادس من كتاب "المتنوعات": "ليس من الحق أن يُدان أحد من الناس بدون محاكمة، وأن يتمتع الذين عاشوا بعد ظهور المخلص وحدهم بالبر الإلهي. لذلك بشَّر بالإنجيل للذين ماتوا قبل مجيء الرب الجسد"[٢٣].

العلامة أوريجينوس

قال كلسوس في هجومه على المسيحية إن نزول المسيح إلى الجحيم مجرد قصة خيالية لا تختلف عن أساطير القدماء التي تحتوي على ما يماثلها، مثل نزول أورفيوس Orpheus وهرقل Hercules إلى الجحيم لإنقاذ صديق أو قريب[٢٤]. واعتراض كلسوس ونقده يؤكد أن التعليم الخاص بنزول المسيح إلى الجحيم كان شائعاً ومعروفاً حتى لوثني مثل كلسوس الذي سخر منه وقال: "إن المسيح نزل إلى الجحيم لكي يغري أولئك الذين رفضوه في هذه الحياة، ولأنه فشل في إقناع الأحياء".

وعن النقطة الأولى قال العلامة إن المسيح شخصٌ حقيقيٌ تاريخيٌ صُلِبَ أمام عيون اليهود، وقام الرومان بصلبه بعد محاكمته، فهو بذلك لا يتساوى مع أبطال الأساطير اليونانية القديمة؛ لأنهم جميعاً من صنع الخيال، بينما تنبأ الأنبياء عن مجيء المسيح بسنوات عديدة قبل مجيئه، وهو بذلك شخصٌ ينتظره مئاتٌ من الأنبياء عرفوا بمجيئه، ولذلك فهو لا يتساوى بالمرة مع أبطال الأساطير لأنهم لم يوجدوا قبل كتابة الأساطير نفسها.

وعن النقطة الثانية يجيب أوريجينوس بأن كلسوس نسى في لحظات غضبٍ وجود الكنيسة وهي مؤلفة من أناسٍ استطاع المسيح أن يقنعهم، كما أن عدد أتباع المسيح كان يزداد أثناء حياته على الأرض، لذلك حنق عليه اليهود وصلبوه.

لكن لماذا نزل المسيح إلى الجحيم؟

---

(23) Ibid VI. 6.

(24) Contra Celsum II. 56.

لقد كان على المسيح أن يكرز للموتى؛ لأن في هذا عدالة وصلاح. فليس من المقبول أن تشمل رسالة المسيح للإنسانية أولئك الذين عاشوا في أيام جسده أو الذين سيأتون من بعده في مستقبل الأيام(٢٥). فكأن عمومية الخلاص يجب أن تشمل الإنسانية كلها قبل المسيح وبعده. قبل المسيح الذين ماتوا، هؤلاء كرز لهم المسيح ويكمل الرسل والأبرار الكرازة، وبعد المسيح الكنيسة.

لكن ما هو المعنى اللاهوتي الخاص بنزول المسيح إلى الجحيم؟

كان أوريجينوس هو أول من استخدم هذا التعبير: "كانت نفس المسيح (بعد موته) بعيدة عن جسده، ولذلك كانت تتحدث مع النفوس التي بلا أجساد، أي الموتى"(٢٦). فكأن التجسد فيما وهو يتضمن اتحاد لاهوت الابن بكل ما للطبيعة الإنسانية الجسد والنفس، أعطى لنفس المسيح أن تكرز للذين ليس لهم أجساد، فلم يكن موت المسيح مجرد احتمال وقبول اللعنة، بل كان يتضمن رسالةً للموتى أنفسهم، إذ أنه من غير المعقول أن يكون المسيح بين الأموات وهو بلا عمل. وعلينا أن نتذكر نقطة هامة. إن الذين ماتوا قبل المسيح ذهبوا جميعاً إلى الهاوية، حتى البطاركة والأنبياء. وعندما يناقش أوريجينوس هذه النقطة "هل هم أعظم من المسيح؟ وهو أعظم من الكل، لكنه عندما مات نزل إلى الجحيم ... ولقد نزل لكي يخلِّص الأنبياء الذين اخبروا به مثل موسى وصموئيل ... وكما أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى. وكان هناك أطباء قبل المسيح، جاء رئيس الأطباء ونزل إلى المرضى لكي يعد للرب شعباً في الجحيم. **كل مكان محتاج للمسيح** وإذا كان أحد يحتاج إلى المسيح، فهو يحتاج إلى أنبيائه لأنهم مهدوا الطريق لمجيئه، ولأن الكل نزل إلى الجحيم قبل المسيح الأنبياء جميعاً ويوحنا الصابغ كانوا جميعاً يرددون أنه سيأتي وكانت أرواح جميع الراقدين في حاجة إلى نعمة النبوة لكي يعرف الكل أن المسيح سيجيئ إلى الجحيم"(٢٧) فكل مكان (حتى الهاوية) محتاج إلى المسيح.

---

(25) Deprin II. 5, 3.

(26) Contra Celsum II. 43.

(27) Hom. II in I. peg. P.G. XII 1023 See in Luc. Hom 24 P.G. XII. 1190 and Deprin II. 11. 6.

لو كان المسيح قد مات دون أن ينزل إلى الجحيم، فكيف يمكن أن يقال عنه إنه كسر الموت. كيف غلبه وهو لم ينزل إلى حيث يوجد الموتى" لقد نزل الرب ليس إلى الأرض فقط، بل إلى أقسام الأرض السفلى، وحيث وجدنا جالسين في ظلال الموت وفريسةً له، أخرجنا وأصعدنا معه ليس إلى مكان أرضي لنكون فيه فريسةً للموت مرة أخرى، بل أعدَّ لنا مكاناً في ملكوته السماوي"(٢٨).

ومن هنا يظهر تأكيد أوريجينوس للجانب الكوزمولوجي في الخلاص، فالعالم الكائن افتقده الرب؛ لأنه عندما تجسد واتحد بما لنا، كان عليه أن يقدِّس كل ما فيه، وأن يحول ما فيه من ظلمة إلى نور. لم يكن من المقبول ولا من المعقول أن يغفل الرسل أو الآباء حقيقة مملكة الموت وحاكمها المطلق "بإرادته الخاصة أخلى المسيحُ ذاته وأخذ صورة العبد واحتمل حكم الطاغية؛ لأنه أطاع حتى الموت، وكان الموتُ طاغية، لكنه به (الموت) أباد ذلك الذي له سلطان الموت، أي الشيطان لكي ما يُطلق سراح الذين كانوا في أسر الشيطان. المسيحُ ربط القوي وغلبه بالصليب؛ لأنه ذهب إلى بيته، بيت الموت، أي الجحيم واستولى على أمتعته، أي الأرواح التي كانت في حوزته، ولقد ذكر الإنجيل هذا المثل عن الذي يربط الرجل القوي. أولاً لقد ربط الرجل القوي بالصليب، وعند ذلك دخل بيته، أي الجحيم، وعندما صعد إلى العلا، سبى سبياً، أي أولئك الذين قاموا معه ودخلوا المدينة المقدسة، أي أورشليم السمائية. لأنه حتى القديسين كانوا في قبضة الموت ليس بسبب العصيان، بل بسبب حكم الموت. لذلك نزل المسيح إلى الجحيم وهو لم يظل في قبضة الموت، ولكن لكي يخرج الذين كانوا أسرى هناك لا بسبب عصيان آدم، وإنما بسبب حكم الموت، وهكذا دُمِّرت مملكة الموت، وكل الأسرى أُطلق سراحهم، ولكن لأن الطاغية والعدو لم يهلك بعد (١كو ١٥: ٢٦)، بل سيظل إلى نهاية العالم نراه الآن وهو لم يعد ملكاً، بل يسرق وكَمَن طُرِدَ من مملكته، يتجول في الصحراء والطرقات يبحث عن غير المؤمنين"(٢٩).

---

(28) Hom. VI. 6 in Exod.

(29) In Rom. V. P.G. IV. 1019.

هكذا يظهر نزول المسيح إلى الجحيم كتحوُّلٍ في الكون نفسه، ذلك الذي كان فيه مكاناً أو بيتاً للموت يحكمه الشيطان، لكن منذ أن نزل المسيح إلى الجحيم دُمِّرت تلك المملكة، وفقد القويُ سلطانه كبداية التحول العظيم في يوم الدينونة عندما يصبح الله الكل في الكل. وقد توسع أوريجينوس في شرح هذه الفكرة في كتاب "المبادئ"، لكن مجالها ليس الآن.

مَن الذين شملتهم كرازة المسيح، أو من هم الذين خلصوا؟

أعاد أوريجينوس تأكيد ما علَّم به سلفه القديس إكليمنضوس عن عمل الرسل والأنبياء في إعداد الراقدين لقبول المسيح. ويقول أوريجينوس عن يوحنا المعمدان: "**عندما كان يوحنا المعمدان على وشك أن يموت وينزل إلى الجحيم لكي ما يبشِّر بمجيء المسيح إلى هناك،** أرسل مَن يسأل المسيح: هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟ ربما لأن يوحنا شكَّ أن شخصاً ممجداً بهذا القدر سوف ينزل إلى الجحيم أو الهاوية. لكن المسيح نزل إلى هناك ليس كعبدٍ للقوات التي هناك، ولكن كسيدٍ، جاء لكي يصارع هذه القوات. لقد نزل لكي يخلِّص[٣٠].

ويكرر أوريجينوس نفس الكلام، ويقول: "لقد مات يوحنا قبل المسيح حتى ما ينزل قبله إلى الجحيم، ويسبق ويخبر بمجيئه الذين كانوا ينتظرون التحرر من الموت بالمسيح؛ لذلك جاء يوحنا قبل المسيح إلى الهاوية أيضاً لكي يُعد شعباً للرب"[٣١].

ومن الواضح أن الذين خلصوا هم أولئك الذين كانوا يعرفون مجيء المسيح، لكن أوريجينوس لا يحصر الخلاص في أنبياء وقديسي العهد القديم، بل كل الإنسانية كانت مدعوة للخلاص، ولذلك يقول: "عندما نزل المسيح إلى الجحيم لم يكن في استطاعة كل الموتى أن يبصروه. لقد أبصره أولاً الذين كانوا ينتظرونه من الأنبياء، ثم الأبرار، ثم بعد ذلك الخطاة مثلنا، فالأمم"[٣٢]. ذلك أن الذين استعدوا لقبول البشارة قبل أن تحدث، هؤلاء الخطاة والأمم يقول عنهم أوريجينوس إن المسيح نزل

(30) Hom. II. In peg. P.G. XII. 1023.

(31) In Luc. Hom. 4 and in loan 11. 37.

(32) Sel. in P.S. IX, 18.

إلى الجحيم "لكي يغيِّر ويجدد منهم من أراد، أو مَن الذين رأى هو فيهم أشياء معروفة له جعلته يقبلهم"[٣٣].

(33) Contra Celsum 11. 43.

ثالثاً

نزول المسيح إلى الجحيم عند القديس أثناسيوس

كان للأريوسية رأياً منحرفاً في المسيح. وقد تطور هذا الرأي بعد ذلك بسبب النقاش إلى أن أصبح تفسيراً لعقائد المسيحية كلها بطريقة تنسجم مع الفكرة الرئيسية للأريوسية، أي إنكار لاهوت الابن وكونه من ذات جوهر الآب. ويرتكز دفاع القديس أثناسيوس حول نقطة واحدة، وهي **خلاص الإنسان** باعتبار أن العقائد ليست موضوعات نظرية يخوض فيها المجادلون كلٌ على قدر طاقته في الإقناع والبرهنة على صحة موقفه. والقديس أثناسيوس يلتزم هنا بمنهج المسيح نفسه: "جئت لكي أُخلِّص". فالخلاص هو الهدف من التجسد والصلب والقيامة. ولذلك، فإن كل تفسير لحياة الرب يسوع، أو لأي عقيدة، لا يهدف في النهاية إلى إبراز وتأكيد وإعلان الخلاص الإلهي، يحوِّل العقيدة إلى نقاش فلسفي أو فكري عقيم مغلق لا يفتح للإنسان مجال الشركة مع الله.

لقد حرص آباء الكنيسة جميعاً، وخصوصاً آباء كنيسة الإسكندرية على هذه النقطة، وجعلوها محور نقاشهم مع الهراطقة وهي: لو كان الابن مجرد مخلوق، فما الذي حصل عليه الإنسان من مجيء المسيح؟ بكل تأكيد لا شيء. ذلك إن الإنسان لا يحتاج إلى إعلانات عن الذات الإلهية، بينما هو مأسورٌ للفساد والشر!!

فكل إعلان جديد لا يساوي شيئاً، بل يزيد من يأس الإنسان، ويزيد من عزلته وغربته، وكلما اكتشف الإنسان جمال الله وقدرته كلما أحس بوحشة شديدة؛ لأنه لا يستطيع أن يشارك الخالق، ولا تفيده أي إعلانات، ما لم يكن هناك أمل في أن تمتد يد الرحمة الإلهية لتنقذ الإنسان.

هكذا يرى أثناسيوس في دفاعه عن التعليم الأرثوذكسي: "لم يكن من الممكن أن يتحقق أي خلاص للإنسان لو كان الكلمة مخلوق؛ لأن الشيطان هو أيضاً مخلوق، فيصبح الإنسان بذلك محصوراً بين الاثنين (أي بين مخلوقين) وهو في ألم الموت دون أن يجد أحداً يمكنه عن طريقه أن يتصل بالله لكي يخلِّصه من كل مخاوفه"[٣٤] فليست العبرة بما حصل عليه الأنبياء من كلمات وإعلانات، بل بما قدمه الله ذاته من أجل الإنسان. ولو تصورنا أن الله كان وسيظل بعيداً، بل ومحتجباً عن مشاركة الإنسان محنته، وأنه لن يخلصه، بل سيتركه أسيراً في الشر مكتفياً بالإنذارات والنبوات والتعاليم عن الأخلاق الفاضلة، لو تصورنا هذا، فإن ذلك يكون أقرب إلى ما تراه في الحياة من تصرفات السادة والنبلاء الذين يصدرون أحكاماً ويعظون العبيد عن الأمانة دون أن يقدموا لهم ما يحتاجونه حتى يكفوا عن السرقة.

لقد شرح القديس أثناسيوس ملخَّص تعليم المسيحية في كتابه "**تجسد الكلمة**"، وهو كتاب لا يمكن أن يُختصر، بل نكتفي بما ذكرناه.

إن رسالة المسيحية هي مجيء الله في الجسد؛ لكي يخلِّص الإنسان. وهناك من يرفضون هذا، إمَّا لأن لديهم أفكاراً دنسة عن الجسد، أو لأن الله حسب تصورهم أرفع وأعظم من أن يهتم بإصلاح الإنسانية. هذا التصور وليد حياة اجتماعية معينة لا تسمح لأصحابها بتصور الصلاح والرحمة والمحبة، أو لأن هناك فلسفة معينة لا تسمح للإنسان بتصور وجود علاقة بين الخالق والمخلوق.

لقد أجاب أثناسيوس على كل هذه التصورات.

فرسالة المسيحية هي الله المتجسد الذي جاء **لكي ينقذ الإنسانية، فأخذ جسداً لكي يجعل مشاركة الإنسان في الحياة الإلهية نفسها ممكنة** (راجع الفصل ٤٥ – ٤٨ من "تجسد الكلمة") ذلك لأن الوسيلة الوحيدة هي أن تتم صلة بين الحياة (أي الله) وبين المريض الذي يعاني الموت (أي الإنسان) حتى تطرد الحياة الموت. فإن كان أمامنا مُصاب ينزف وهو معرض للموت، فلابد أن يتم إجراء نقل دم له. والدم الجديد هو الذي ينقذ المصاب. ومن المستحيل أن تنقذه الأدوية

(34) Contra Ar. II:70.

الأخرى؛ لأنه ينزف دمه وحياته معرضة للخطر. فالعنصر الجديد الذي جاء الله به هو اتخاذه جسداً، ذلك أن الله لكي يتصل بالإنسان، فلا بد أن يكون ذلك عن طريق ما هو إنساني، وهو الجسد. الإنسان لا يملك الاتصال بالله ليس لأنه شرير فقط، وإنما لأن الله يعلو على إدراك الإنسان وفهمه. من أجل هذا تجسَّد الابن لكي يكون **هو الإله بالنسبة للإنسان والإنسان بالنسبة لله**. ولذلك جمع الابن ما هو إلهي وما هو إنساني في اتحادٍ سري. وكأننا نرى هنا سر انزعاج أثناسيوس ودفاعه الذي لا يعادله **دفاع آخر عن العقيدة من أي من الآباء أو القديسين**: لو كان الابن مخلوقاً، فلا شركة لنا مع الله بالمرة. ولو كان الابن إلهاً ولم يتجسد، لم يحدث أي جديد بالنسبة لعلاقة الله بالإنسان ... إذا كان الكلمة مجرد مخلوق. فما هو الداعي لأن يأخذ جسداً مخلوقاً لكي يقيمه ويحييه؟ ما هي المعونة التي يمكن أن يحصل عليها مخلوق من مخلوق آخر؟ لأن أي مخلوق مهما كان هو محتاج للخلاص ... ومخلوق لا يمكنه أن يخلص مخلوقاً آخر[٣٥]. فمن الضروري أيضاً أن يكون هناك اتحاد بين اللاهوت والناسوت "الذين يفرقون الكلمة من الجسد لا يعتقدون أن الخلاص قد تم مرة واحدة وإلى الأبد، ولا أن الموت قد سُحِقَ مرةً واحدةً وإلى الأبد[٣٦]، ذلك أن انعدام الاتحاد بين اللاهوت والناسوت لا يفيد الإنسان ولا يحقق الخلاص، فليست العبرة في أن يتخذ الله جسداً، وإنما جوهر الخلاص هو في العلاقة بين الله وهذا الجسد، ولو انتفى الاتحاد فماذا حدث للجسد أو للطبيعة الإنسانية؟ إنها في هذه الحالة تظل على ما هي عليه. لكن الاتحاد جعل مشاركة الطبيعة الإنسانية لما يخص اللاهوت ممكنة، ولذلك فجسد المسيح تألَّه، وعندما تألَّه شارك مجد اللاهوت، وإذ اتحد به أصبح من الممكن للإنسانية أن تتألَّه "هو الذي يؤلِّه وهو قوة الآب التي تنير وفيه كل الكائنات تتألَّه وتحيا ... وعندما نشترك فيه فإننا نشترك في الآب"[٣٧].

وأيضاً "لأنه عندما تجسد، لم يتوقف عن ألوهيته، ولا لكونه الله رفض أن يقبل

(35) Ad Adelphuim, 8.

(36) Ibid, 5.

(37) De Synodis, 50.

ما للإنسان، وإنما هو الله وتجسد وأخذ جسداً وعندما أخذ هذا الجسد ألَّهَهُ"(٣٨).

ما علاقة كل هذا بنزول المسيح إلى الجحيم؟

إن القديس أثناسيوس يشرح ذلك على النحو التالي: الإله المتجسد لم يأخذ جسداً بشرياً بدون نفس عاقلة؛ لأن هذا لا يكون تجسداً كاملاً، بل أخذ الابن جسداً ونفساً. ولذلك، فإن نفسه هي التي نزلت إلى حيث نفوس الموتى. لكن هذه النفس الإنسانية عندما نزلت إلى الجحيم لم تنزل كنفس إنسان، وإلاَّ ما معنى اتحادها باللاهوت؟ عندما اتحد اللاهوت بكل مكونات الطبيعة الإنسانية، فإن هذا الاتحاد أضفى على الناسوت أشياء غريبة عن طبيعة الناسوت. لقد ظن الموت أن نفس المسيح هي نفس إنسان، ولكن المسيح نزل بنفسه التي لا يمكن أن يقبض عليها الموت لكي يحطم أغلال الذين كانوا في الأسر(٣٩). فالاتحاد هو الذي أعطى لنفس المسيح أن تقوم بعملها في الجحيم، ولولا الاتحاد لكانت نفس المسيح الإنسانية مثل باقي النفوس (لقد وضع جسده في القبر وانفصل عنه الكلمة دون أن يفارقه، بينما ذهبت نفسه لتكرز للأرواح التي في السجن كما قال بطرس)(٤٠). أو يمكننا أن نقول ما تقوله القسمة السريانية: "انفصلت نفسه من جسده لكن لاهوته لم ينفصل قط لا من نفسه ولا من جسده". ولذلك فالخلاص لا يتم بمشاركة الإنسانة للطبيعة الإلهية فقط، بل بالقضاء على الموت كحالةٍ وجد الإنسانُ نفسه فيها بسبب المعصية والحكم بالموت.

كان الموت يعني بقاء الإنسان في حالة الانفصال عن الله. ويقول القديس أثناسيوس: "قديماً قبل الظهور الإلهي للمخلِّص كان الموت مرعباً حتى للقديسين. وكان الكل ينوحون على الأموات كأنهم هلكوا" (تجسد الكلمة ٢٧: ٢). ولقد اقتضى موت الإنسان بقاءه في الهاوية (والهاوية جزء من الكون)، وهو تعبير يقصد به العزلة والانفصال "مثل الإنسان الذي يسقط في حفرة ويظل فيها بينما باقي البشر يمارسون حياتهم العادية". ولذلك كان عمل المسيح هو افتقاد الذين في "كورة

(38) Contra Ar. III:38.

(39) De Incarn. Contra Apollinarius 1.13.

(40) Ad. Epict Lix 5 and 6.

الموت" حسب تعبير أشعياء النبي.

وللقديس أثناسيوس نصاً يحتاج لوقفة قصيرة: "كيف يخاف المسيح من الموت، وهو الذي أقام الموتى، وأعطى الثقة والغلبة للقديسين؟ أليس من عدم التقوى والاستهتار أن يقال عنه إنه خاف من الموت أو الجحيم، **وهو الذي رآه بوابو الجحيم وارتعدوا** (أيوب ٣٨: ٧)"(٤١). وأيضاً "ليس من الصواب أن نقول إن الرب خاف؛ **لأن حراس أبواب الجحيم** ارتعدوا، ومن الرعدة تركوا الأبواب مفتوحة ..."(٤٢). ذلك أن تعبير الأبواب جاء في العهد القديم عدة مرات أهمها أشعياء ٣٨: ١٠ – مزمور ٩: ١٣ – ١٠٧: ١٨ – حكمة ١٦: ١٣. ونص سفر الحكمة في غاية الأهمية "لأن لك سلطان الحياة والموت تحدر إلى أبواب الجحيم ومن هناك تُعيد من أحدرته" (حكمة ١٦: ١٣).

ذلك أن الأبواب هنا رمزٌ إلى الحالة التي يجد فيها الإنسان نفسه عندما ينفصل عن الله ويجد ذاته في عزلة. والحراس الذين ارتعدوا تعبير طقسي قديم معروف قبل أثناسيوس، وظهر في قانون الإيمان الخاص بمجمع أرمينيم Ariminum "صُلب ومات ونزل إلى أقسام الأرض السفلى، وهناك ضبط كل شيء. الذي رآه بوابو الجحيم وارتعدوا"(٤٣). (راجع الصلوات الطقسية القبطية الخاصة بعيد القيامة وبالذات إبصالية القيامة وبالذات إبصالية القيامة في الإبصلمودية السنوية).

وحراس الهاوية هم أولئك الذين خضع لهم الإنسان في حياته من الأرواح الشريرة، أولئك يمنعون الإنسان (كحراس) بسبب الشركة الكائنة بينه وبينهم (راجع رؤيا الأنبا أنطونيوس في كتاب سيرة الأنبا أنطونيوس كما كتبها القديس أثناسيوس).

والأبواب التي فُتحت هي الكائنات الروحية التي لم يعد لها سلطان. ويستخدم القديس أثناسيوس نص مزمور ٢٤: ٧-١٠ عن نزول المسيح إلى الجحيم وإصعاده

(41) Contra Ar. II. 55-56.

(42) Ibid II. 56.

(43) De Synodis. 8 and 30.

للقديسين الذين كانوا معه، وعندما صعد فتحت الأبواب الدهرية(٤٤).

وأثناسيوس هو أول من استخدم هذا النص للإشارة إلى دخول المسيح إلى السماء ومعه جميع القديسين. ويلاحظ إن هذا النص يستخدم في الطقس القبطي في ليلة عيد القيامة.

وكأن نزول المسيح إلى الجحيم يؤكد وجود نفسه الإنسانية (ضد بدعة أبوليناريوس)، ويؤكد ألوهيته؛ لأن نفسه الإنسانية المتحدة بلاهوته هي وحدها التي تستطيع دون نفوس سائر البشر أن تنزل إلى الهاوية لتبشِّر، ولولا هذا الاتحاد لكان النزول إلى الجحيم مستحيلاً، وهذا بدوره يؤكد ضعف التفسير الأريوسي للفداء؛ لأن المخلوق أياً كان لا يقدر أن يخلِّص الذين في الجحيم، ولا أن تمتد رسالته إلى حيث يوجد من يعانون الانفصال عن الله سواء على الأرض أو تحت الأرض، وإنما لأنه هو الكلمة المتجسد، يعترف لسان كل الخلائق الذين على الأرض والذين تحت الأرض بأنه الرب وهذا لمجد الله الآب؛ لأن ربوبية الابن هي شعاع مجد جوهر الآب (فيلبي ٢: ١٠ – العبرانيين ١: ٣).

ويتبع أثناسيوس الخط السكندري، فيؤكد أن المسيح أصعد معه قديسي العهد القديم والذين عاشوا بناموس الطبيعة "هؤلاء كانوا مع آدم وأُغلق عليهم، لكنهم كانوا يصرخون لله طالبين الخلاص والرحمة حتى أظهرت رحمة الله سر الخلاص الذي كان ينتظرهم وهو نزول المسيح إلى الجحيم"(٤٥).

---

(44) Inlucam. X:22.

(45) De Salut. Advent, 6.

السبت العظيم، أو نزول المسيح إلى الجحيم[٤٦]

حسناً أن تحتل الجمعة العظيمة مكانها في حياة الكنيسة، ولكن ماذا عن السبت العظيم، سبت النور، كما يُسمى بكل صواب؟

جديرٌ بنا أن تكون لنا وقفة تجاه ما وصلنا من كتابات تقوية في مدونات عربية؛ لأن مراجعة ما رسخ لدينا من أصول لا يستند فقط إلى القِدَم، بمعنى أن ما لم يرد في القرن الأول مثلا يفقد مصداقيته. فهذه إحدى نزعات وتطلعات حركة الإصلاح البروتستانتية. فالعبرة ليست في التاريخ القديم مهما كان زمان القدم، بل العبرة في وضع ما لدينا على أساس رسولي. ولعل الذي تابع رد فعل أخوتنا الإنجيليين حول ظهور العذراء، يجد أن اعتراضهم الأساسي على هذا الظهور – حسب قول أحدهم — إنه "لم يرد في الكتاب المقدس". فقد قطع الكتاب المقدس عن التاريخ الكنسي الذي حُذِفَ تماماً من أجل تأييد رأي شخصي.

ويمكننا أن نصوغ طريقة التفكير السائدة – عند بعض الأساقفة — في صورة المعادلة الآتية:

أنا + فكري الشخصي + ما وصل اليَّ = الأرثوذكسية.

هذا في حد ذاته أقل خطورة من اعتبار أن التكوين الشخصي والفردي هو الأرثوذكسية، وبالتالي محاربة كل من يجاهر بغير رأي الأسقف، وهنا لا يختلف هؤلاء عن بعض قادة الكنيسة الإنجيلية الذين يتلخص موقفهم في المعادلة الآتية:

أنا + الكتاب المقدس = المسيحية برمتها.

(٤٦) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ يونيه ٢٠١٠.

وغير ذلك هو خطأ يجب قمعه بكل الوسائل، وبالطبع من ضمن هذه الوسائل، الرجم بسوء استخدام كلمات الكتاب.

مراجعات من الذاكرة ومن سطح الثقافة المسيحية المعاصرة

وصلنا إلى حافة الهاوية، هاوية الجهل، فقد صار كل من هب ودب قادراً على الكتابة، بل وأن يضرب في أي اتجاه شاء. لكن ما يجب أن نشير إليه أيضاً هو أنه منذ عدة سنوات بدأت أكبر حركة لمراجعة ما يطفو على سطح الثقافة المسيحية الشعبية المعاصرة، وهو التراث الذي يعتمد على الذاكرة، وعلى أن ما يسود من أفكار عامة له اليد الطولى باعتباره المرجعية الأولى.

لدينا عدة أنماط ندلل بها على ما ذكرنا:

فهناك من يمسكون بالكتاب المقدس بيد، وباليد الأخرى سكيناً يقطعون بها ما لا يعرفون، وما هو بعيدٌ عن مداركهم، هكذا بلا تاريخ، وبلا دراسة متأنية لكلمات الوحي.

وهناك نمطٌ ثان لأشخاص لا يستخدمون الكتاب المقدس إلاّ في التحريض على إنكار ما هو ثابت وما امتد في حياة الكنيسة حاملاً معه تراثاً روحياً، كان حظه أنه لم يُشرَح بكفاية، بل ظل بعيداً عن عظات "الشحن العاطفي" التي فقط تلح على دعوة الخطاة إلى التوبة، دون أن تشرح شيئاً ذا قيمة عن التوبة، ونحن نقصد تلك العظات العامة التي صارت هي المرجع الرئيسي لما ساد من ثقافة شعبية تفتقر إلى التاريخ.

ثمةُ نمطٍ ثالثٍ حشدَ أكبر قدر من ثقافة الكراهية التي رَشَحَت من الثقافة المعاصرة التي تدفع الإنسان إلى كراهية الآخر باسم الله، وتدعو إلى "شطب" كل التاريخ بلا فحص، بل وحذف كل ما هو إنساني باسم الله، فالله وحده هو الكائن، أمَّا البشر فلا وجود لهم إلاّ في جانبٍ مظلمٍ من عقولٍ جففت الكراهيةُ فيها كل احترام للآخر.

هكذا كتب بعضهم – من داخل الكنيسة – يهاجمون "نزول الرب إلى

الجحيم"، دون معرفة ودون العودة للتاريخ، فقط استناداً إلى ما هو سائد من ثقافة عامة لا تستند إلاَّ للفكر الشخصي. فقد كتب أحدهم يقول: "إن قداسة البابا شنودة لم يتكلم من قبل عن نزول المسيح إلى الجحيم؛ لأن هذا ليس من إيمان الكنيسة، بدليل أنه لم يرد في قانون الإيمان النيقاوي".

على أن صمت الأنبا شنودة عن هذا الموضوع وعدم تناوله له ليس دليلاً على أي شيء، ولا هو حجة ضد أي عقيدة. كما أن عدم وجود صيغة الاعتراف بنزول الرب إلى الجحيم في قانون الإيمان هو أيضاً ليس دليلاً على أي شيء، فقد حشد قانون الإيمان بعض أعمدة الاعتراف، ولكنه ترك حتى اسم الثالوث، وعدد الأسفار، والملائكة، ولم يذكر سوى سر المعمودية دون باقي الأسرار، فهل يعني ذلك إنكار عقيدة الثالوث، أو هل ينزع هذا الصمت عن الإفخارستيا أصلها الإلهي أو التسليم الرسولي؟ لا بكل تأكيد.

وإن كنا نلتمس العذر لمن لا يعرف، لكن لا عذر لمن يندفع بكل غرور الجهل ليضرب ذات اليمين وذات اليسار دون ضابط أو رابط.

وعندما ذكرت لمن كتب هذا الكلام ما ورد في القداس الباسيلي، أجاب أن هذا لا يكفي لأنه لم يرد في القداس الغريغوري، ولا القداس الكيرلسي. وعندما ذكرت له ما ورد في صلوات القسمة، وبالذات قسمة "السبت العظيم"، أو "سبت الفرح"، قال إنها دخلت في عصر متأخر. وعندما سألت عن العصر الذي دخلت فيه صلاة هذه القسمة مع الاحتفال بدفن الرب وصلوات السبت العظيم، سكت هذا الأب الفاضل ولم يُبدِ جواباً.

ويمكننا أن نرد هذا التعليم، وطريقة التفكير هذه إلى عدة أصول:

١- كتب وتفاسير الشيع البروتستانتية.

٢- منهج حركة الإصلاح البروتستانتي الذي يدَّعي أن ما ورد في العهد الجديد، والعصور القديمة قبل ٣٢٥م أي قبل مجمع نيقية هو فقط الجدير بالاعتبار، أما ما ورد بعد ذلك فهو مشكوك في أصالته الرسولية.

وغني عن البيان أن هذا المنهج هو منهج انتقائي، وهذا الانتقاء أو الاختيار يُعبَّر عنه بفعل خاص به في اللغة اليونانية، هو الفعل الذي اشتُقت منه كلمة هرطقة؛ لأن فعل Hairew هو أصل كلمة Heresy وهي تعني اختيار مبني على تفضيل شخصي، ومثالها اختيار "أبي أعظم مني"، والهرب من "أنا والآب واحد".

وهنا يقوم الاختيار في منهج الإصلاح البروتستانتي على سبب واحد معروف، وهو أن الإيمان بنزول الرب إلى الجحيم لم يُناقَش حتى بواسطة الهراطقة حتى القرن السادس عشر، عندما أسقطه يوحنا كالفن مؤسس الكنيسة الإنجيلية من عقائد الكنيسة، وهكذا تسلل الشك إلى ضمائر الذين درسوا وعشقوا "سبرجن" الأب الروحي لكثير من الأساقفة والكهنة الأقباط.

٣– الجهل الذي أصبح مرجعاً يعتمد على صمت بعض الوثائق مثل قداسات القديس غريغوريوس، أو القديس كيرلس، أو قانون الإيمان.

برهان الإيمان الرسولي للقديس إيرينيئوس

يكتب القديس إيرينيئوس "برهان التعليم الرسولي Proof of the Apostolic Preaching " حوالي عام ١٧٠م وهو يدافع عن الإيمان الرسولي ضد الغنوسيين الذين أنكروا التجسد وبالتالي الصلب والقيامة، فيقول:

"فإذا لم يكن قد وُلِدَ، فهو لم يمت، وإذا لم يكن قد مات، فهو لم يقُم، وإذا لم يكن قد قام من الأموات فهو لم يهزم الموت، ولم يُبِد مُلك الموت، وإذا لم يكن مُلك الموت قد أُبيد فكيف سوف نصعد نحن إلى الحياة العليا؛ لأننا خضعنا منذ ولادتنا للموت".

ثم يشرح بعد ذلك الإيمان فيقول:

"أما الذين رفضوا فداء البشر، فهؤلاء لا يؤمنون بأن الله سوف يقيم هؤلاء من الموت؛ لأنهم يحتقرون ميلاد الرب بالجسد الذي قَبِله لأجلنا، لأنه صار جسداً لكي يعلن قيامة الجسد ويقود الجميع إلى السماء. وكابنٍ، الوحيد من الآب، الكلمة، فهو كان في العالم يخلق كل شيء ويكمِّل كل شيء ويقود كل شيء بالشريعة وبالمعرفة. وكابنٍ وحيد للعذراء أيضاً هو البار

الإنسان القدوس وخادم الله الذي صنع مشيئته ومسرته، فأكمل الأشياء، وحرَّر الذين تبعوه من الجحيم؛ لأنه بكر الراقدين ورأس ومصدر الحياة في الله" (فقرة ٣٩ – ص ٧٢: ٧٣ – راجع الترجمة الإنجليزية Ancient Christian Writes, vol 16, trans, by Joseph P. Smith).

وعندما يشرح آلام الرب ومحاكمته أمام بيلاطس ثم هيرودس يقول في الفقرة ٧٨ عن نزول الرب إلى الجحيم:

"وسبق أرميا وأخبر بموته ونزوله إلى الجحيم، فقال هذه الكلمات: "والرب قدوس إسرائيل أصعده من الموت بعد أن نام في تراب الأرض ونزل إلى الذين كانوا هناك مبشراً إياهم بالخلاص ومحرراً إياهم" (أرميا ٣٢: ١٧ الترجمة السبعينية، وورد أيضاً عند الشهيد يوستينوس في الحوار مع تريفو ٧٢: ٤).

ويُعد الحوار مع تريفو عام ١٥٠م وربما قبل ذلك هو أول إشارة إلى نزول الرب إلى الجحيم بعد العهد الجديد.

الأرواح التي في السجن (١ بط ٣: ١٨ – ١٩)

ليس هناك خلاف على تفسير كلمات الرسول قبل حركة الإصلاح البروتستانتية بأن هذه إشارة واضحة لنزول الرب إلى الجحيم سبقتها كلمات الرسول في أعمال ٢٤: ٢٦ – ٢٧. وهي بشارة الإنجيل في يوم العنصرة.

ولكن خلف رفض يوحنا كالفن لهذا التفسير تقبع فكرة واحدة، وهي أن الرب يسوع دفع ثمن الخطايا لله الآب على الصليب، وأنه مات لكي يخلص الذين عيَّنهم الله الآب حسب علمه السابق للخلاص، وبالتالي لا يوجد ما يدعو إلى نزول الرب إلى الجحيم!!!

هل نزل الرب يسوع بنفسه الإنسانية الى الجحيم؟

لقد نشر صديقنا Thomas Buchan رسالته للدكتوراه عن نزول الرب إلى الجحيم في أشعار وكتابات مار افرام السرياني الذي ولد عام ٣٦٠ بعنوان: "مباركٌ

الذي أصعد آدم من الجحيم (شيول *Sheol*)[٤٧]". وقد طلبت من الذين كتبوا إلَّي يسألونني عن هذا الموضوع -وهم أكثر من شخص- أن يقرأوا رسالة د. توماس السابق الإشارة إليها، ولكن جاء الرد غريباً. فقد قال ثلاثة منهم إن مار أفرام هو من آباء القرن الرابع، وأنه لا يوجد نص صريح في العهدين عن نزول الرب يسوع إلى الجحيم. وقد تجلت غرابة هذا الرد في أنه كشف القناع عن حقيقة هامة، وهي أن محاولة تحديد تعليم لاهوتي من خلال استخدام مفردات لغة واحدة مثل اللغة العربية، يهدد سلامة التعليم نفسه، فالاسم العبراني — السرياني — الآرامي هو شيول *Sheol* والاسم الدارج في اللغة العربية هو: الجحيم، بينما الاسم القبطي القديم هو ⲁⲙⲉⲛϯ وأحياناً تترجم *Sheol* شيول إلى الحفرة، وأحياناً تترجم إلى الهاوية حسب الترجمة العربية لعظة القديس بطرس عن قيامة المسيح يسوع له المجد: "هذا أخذتموه مُسلَّماً بمشورة الله .. وقتلتموه، الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن (يسود عليه الموت) يُمسك منه. لأن داود يقول عنه: كنت أرى الرب أمامي كل حين .. حتى جسدي أيضاً سيسكن على رجاء. لأنك لم تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً" (أع ٢: ٢٣ – ٢٧)، ويشرح الرسول بطرس نبوة داود النبي: "سبق فرأى وتكلم عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسي في الهاوية ولا رأى جسده فساداً" (أع ٢: ٣١).

والهاوية تُسمى أيضاً "أقسام الأرض السفلى"؛ لأن العهد القديم يمزج بين "القبر" و"الهاوية" أو "الجحيم"، حيث يقول الرسول عن الرب: "إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً .. وأما أنه صعد فما هو إلاَّ أنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى" (أفسس ٤: ٨ – ٩). ويقول الرسول بطرس عن الرب، وهو ذاته الذي عرف نبوة داود: "فإن المسيح تألم مرة واحدة من أجل الخطايا .. لكي يقربنا إلى الله مماتاً في الجسد ولكن محيي في الروح الذي فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التي في السجن إذ عصت قديماً .." (١بط ٣: ١٨ – ١٩).

(47) Thomas Buchan, Blessed is He who has brought Adam from Sheol, Gorgias press, 2004.

أقدم تفسير للعهد الجديد:

يُعد شرح أو تفسير انجيل يوحنا للعلامة أوريجينوس هو أقدم ما وصلنا من مدونات القرن الثالث الميلادي، ففي الفقرة التي تخص يوحنا المعمدان بأنه غير مستحق أن يحل سيور حذاء يسوع، يقول أوريجينوس:

"نجد معنىً خفياً لا يجب أن نتركه دون شرح. اعتقد أنه في تجسد ابن الله، عندما أخذ عظاماً ولحماً، فهذا هو حذاءٌ واحد، والنزول إلى الجحيم هو الحذاء الآخر؛ لأنه قيل في مزمور ١٦ "لأنك لم تترك نفسي *Soul* في الهاوية"، وبطرس في رسالته الجامعة يذكر نزول يسوع إلى الجحيم، لذلك مَن يستطيع أن يرى المعنى الخفي، هو من يحل سيور الحذاءين، ويصبح هو نفسه أهلاً لأن يحل سيور الحذائين" (شرح إنجيل يوحنا - الكتاب ٦: ١٧٤ - ١٧٦).

وقبل العلامة أوريجينوس يقول ترتليان في المقالة عن النفس:

"نزل المسيح إلى الجحيم لكي يبشِّر البطاركة والأنبياء برسالة الخلاص" (٥٢: ٢).

وفي شرح رسالة أفسس للعلامة أوريجينوس، وهو ذاته شرح القديس جيروم حسب تحقيق أكثر من باحث لا سيما *Ronald E. Heine* يقول جيروم نقلاً عن أستاذه:

"أقسام الأرض السفلى، هي مكان الموتى الذي نزل إليه ربنا ومخلصنا، لكي - كمنتصر Victor - يقود إلى السماء ويأخذ معه نفوس القديسين المأسورين، لذلك قامت أجساد الأبرار وشوهِدوا في المدينة المقدسة بعد قيامته (متى ٢٧: ٥٢ - ٥٣) وبالإضافة إلى ذلك يشهد المرنم أن مكان الموتى هو "أقسام الأرض السفلى" عندما يقول: "فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة ابيرام (مزمور ١٠٦: ١٧)، ونفس ما ورد في المزمور تجده مفصلاً في سفر العدد (١٦: ٣١ - ٣٥)، ونقرأ أيضاً في فقرة أخرى "ليبغتهم الموت لينحدروا إلى الهاوية أحياء" (مزمور ٥٥: ١٥)"(٤٨).

لا يوجد في سفر التكوين ما يشرح لنا وجود "شيول"، ولكن سقوط آدم الذي

(48) The Commentaries of Origen and Jerome on St. Paul's Epistle the Ephesians, R.E.Heine, Oxford, 2002, p 173.

جاء بتحولٍ كبيرٍ في الخليقة وجعل الأرض نفسها عدواً يُنبت "الشوك والحسك"، جعل الموت "لعنةً"، وتحول النظام الكوني من سماءٍ وأرض، إلى سماء وأرض وهاوية، أي الجحيم أو القبر، بل أصبح البحر نفسه الاسم المرادف للهاوية بسبب الموت غرقاً. وعندما ابتلع الحوت "يونان" يقول: "دعوت من ضيقي الرب فأستجابني. صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتي. لأنك طرحتني في العمق في قلب البحار .. ثم أصعدت من الوهدة حياتي .." (يونان ٢: ٢ – ٦).

وفي شرح سفر يونان للقديس كيرلس الإسكندري يقول المعلم الكنسي:

"جوف الهاوية تعني بطن وحش البحر، فهو يقارن هذا الحيوان بالهاوية؛ لأن الموت في انتظاري وفي انتظار من يبتلعه ويأكله ذلك الوحش .. وهو (يونان) كنبي، كان يدرك أنه في البحر في الهاوية العظمى .. وأنه وصل إلى الأبواب التي تبقيه أسيراً، أي الجحيم. فهو لا يعني أنه فعلاً في الجحيم لأنه لم يكن قد مات بعد، وإنما لأن الخطر الفظيع وأهوال ما حدث له لم يمنعه من أن يفكر في أنه مات وأنه وصل إلى الجحيم نفسه، الذي مَن يدخله لا يعود يخرج منه؛ لأن من يدخل الجحيم يظل هناك أسيراً. وحسب الكلمات، وهذا ما اعتقده أن عبارة "المغاليق الأبدية" (يونان ٢: ٦) تعني المتاريس أو المغاليق التي لا يقدر أحد أن يكسرها لأنها عديمة الكسر" (شرح الإصحاح الثاني لنبوة يونان – الترجمة الإنجليزية – آباء الكنيسة – مجلد ١١٦ ص ١٦٤ – ١٦٥).

ونشير أيضاً إلى رسائل عيد القيامة للقديس كيرلس السكندري، والتي نُشرت في سلسلة آباء الكنيسة – مجلد ١١٨ حيث يقول القديس كيرلس في الرسالة الثانية (سنة ٤١٥):

"هو الذي أعلن لنا طريق الخلاص. ليس لنا نحن فقط، بل ذهب كمبشِّرٍ (كارز) إلى الذين عصوا من الأرواح في العالم السفلي كما قال بطرس (١ بطرس ٣: ١٩ – ٢٠) لأنه لا يكفي أن يعلن محبته لفئة دون أخرى، بل استعلان العطية يجب أن يشمل كل الطبيعة. لأنه (الرب يسوع) تكلم في الوقت المناسب للأنبياء "أُمطر على ضيعة واحدة والضيعة التي لم أُمطر عليها جفت" (عاموس ٤: ٧)، ولكن المخلص يقول ما يخصه هو، وهو للكل: "تعالوا إلى يا ثقيلي الحمل والمتعبين وأنا أريحكم" (متى

١١: ٢٨)؛ لأنه أعلن رسالته للأرواح في العالم السفلي، وقال للذين كانوا مكبَّلين بالأغلال "اخرجوا"، وللذين في الظلمة قوموا واظهروا (أش ٤٩: ٩ السبعينية). فقد أقام هيكله في ثلاثة أيام، وجدَّد طبيعتنا ورفعها للسماء، وقدَّم ذاته للآب باكورة الإنسانية بعد أن أعطى للذين على الأرض ميراثاً في الروح عربون النعمة (٢كو ٥: ٥)" (مجلد ١١٨ ص ٦٦ - ٦٧).

ويكرر القديس كيرلس نفس التعليم في الرسالة التاسعة (سنة ٤٢١) اذ يذكر:

"لأنه بالطبيعة الحياة، قام في اليوم الثالث، وزار الجحيم وفتح الأبواب التي لا يمكن فتحها للعالم السفلي، وقال للمأسورين اخرجوا وللذين في الظلمة تعالوا كما قال النبي (أش ٤٩: ٩ السبعينية)، فقد بشَّر بالإيمان للكل حتى للأرواح التي في السجن (١ بطرس ٣: ١٩)". (المرجع السابق ص ١٧٣).

كما يؤكد القديس كيرلس في الرسالة الحادية عشر (سنة ٤٢٣) أن:

"الرب يسوع هو رب الأموات والأحياء كما هو مكتوب (رو ١٤: ١٩)؛ لأنه نزل إلى الجحيم، وكرز للأرواح التي هناك، وفتح المغاليق الأبدية في العالم السفلي، وأفرغ أحشاء الموت، ثم قام في اليوم الثالث" (المرجع السابق ص ٢١٤).

الأرواح التي في السجن:

سُئل القديس أوغسطينوس هذا السؤال: لماذا الأرواح التي عصت قديماً، وأجاب على السؤال في الرسالة (١٦٤):

"السؤال الذي أرسلته إليَّ عن الأرواح التي في السجن هو سؤال يحيرني .. ما يحيرني حقاً هو لماذا هؤلاء المسجونين منذ أيام نوح بالذات ينالون هذه المنحة؟ إذا فكرنا في كل الذين ماتوا منذ نوح حتى الآن والذين عاينهم يسوع في الجحيم. وجوابي على هذا السؤال إن فلك نوح هو مثال الكنيسة وصورة لها، والذين كانوا في السجن في أيام نوح هم مثال لكل الطبيعة الإنسانية، وفي الجحيم وبخ المسيح الأشرار وعزَّى الصالحين ولذلك البعض آمن للخلاص والآخر عصى للهلاك".

من الذين سباهم الرب من الجحيم؟

يظل السؤال معلقاً؛ لأن الإجابة عليه صعبة، فهي إجابة تحاول أن تخترق ما هو أبعد من الإدراك، وما لم يأت به تعليم واضح وصريح وقاطع في العهد الجديد.

عندما بدأ علماء الكنيسة في نشر تفاسير الآباء على العهد الجديد كله في سلسلة عرفت باسم "السلسلة الذهبية"، وهي تتناول شرح كل آيات العهد الجديد من آباء الكنيسة، حقق *J.A Cramer* شرح الرسائل الجامعة، ونشرتها جامعة اوكسفورد في ١٨٤٠م. ثم نشرت السلسلة *CATENA* للعلامة الكبير توما الأكويني على الأناجيل الأربعة في عام ١٨٨٠م. وقد ورد نص هام للعلامة السكندري أمونيوس عميد مدرسة الإسكندرية في القرن الخامس يجيب فيه على سؤال شخص معاصر اسمه قيصر كان مدرساً للمنطق والفلسفة في الإسكندرية:

"سألني المعلم قيصر: هل قطَّع المسيح سلاسل كل المقيدين عندما نزل إلى الجحيم؟ فأجبت وقلت: نعم، قطَّع سلاسل الكل. وسألني: كيف حدث ذلك؟ لم يكن يهوذا الإسخريوطي ضمن هؤلاء المقيدين، فهل أطلق الرب سراحه هو أيضاً؟ فقلت له: نعم؛ لأنه عندما يكون ملك الكل حاضراً يصبح من المستحيل على الطاغية الذي هو عبده، وأنا أقصد الموت أن يحفظ الأسرى عنده. ماذا فعل الرب؟ لقد مات. وبشَّر بطريق يؤدي إلى الخلاص الأبدي للذين على الأرض، وكذلك للذين في الجحيم لكي يؤمنوا بالآب وبه، أي ذاك الذي صار إنساناً ونزل إلى الجحيم بقوة الروح القدس. والذين آمنوا به أصعدهم معه، أمَّا الذين رفضوا الإيمان، فقد أعادهم إلى ما كانوا فيه سابقاً، فهل بشَّر يهوذا وأعطاه فرصة للتوبة؟ قلت لقيصر: لا أعتقد ذلك؛ لأنه لا يلزم أن يبشَّر ذلك الشخص الذي يعرف الحق، لأن يهوذا عرف سر الخلاص بل وبشَّر به الآخرين – عندما كان تلميذاً – بل اعتُبر مستحقاً أن ينال النعمة الالهية حتى أنه كان يُخرج الشياطين ويشفي المرضى. ولكنه بعد ذلك سقط بحريته، فلا تقاطعني وتقول إنه سقط في الشر ضد إرادته لأنه حتى في زماننا هذا لا يوجد مسيحي يسقط في الشر ضد إرادته. وحتى يهوذا نفسه لم يلقِ اللوم على غيره في تسليم المسيح بل عرف أن هذه هي خطيته" (فقرة ٦٨ في شرح رسالة بطرس الأولى ٣: ١٩).

وفي نفس السلسلة *CATENA* نجد ان ساويروس الأنطاكي حيث يقول:

"إن الغفران لم يعطَ لكل الذين كانوا في الجحيم، بل للذين آمنوا واعترفوا بالمسيح .." (فقرة ٦٧ نفس المرجع السابق).

الخلاص عمل كوني لا يخص وحدة زمانية دون غيرها سابقة أو تالية لتجسد الرب:

في نفس السلسلة الذهبية يجيب القديس كيرلس على اعتراض لا نزال نسمعه: ماذا حدث للذين ماتوا قبل المسيح؟

"هنا في (١بط ٣: ١٩) يجيب بطرس على هذا السؤال الذي يقدِّمه معترضون وهو: إذا كان التجسد للخلاص، فلماذا تأخَّر تجسد المسيح حتى ذلك الوقت؟ بل لماذا ذهب للأرواح التي كانت في السجن وبشَّرهم أيضاً؟ والرد هو: إن المسيح علَّم الذين كانوا أحياء على الأرض في زمان تجسده، وأولئك الذين آمنوا به عندما ظهر في الأماكن السفلى. لأن هؤلاء استفادوا من مجيئه. لقد ذهب بنفسه الإنسانية لكي يبشِّر الذين كانوا في الجحيم، وظهر لهم كنفسٍ تظهر لنفوس، وعندما شاهده بوابو الجحيم هربوا، والأبواب النحاسية فُتحت والسلاسل الحديدية كُسرت. وصرخ الابن الوحيد بسلطانٍ لكل المفديين من هذه النفوس – حسب كلمات العهد الجديد – وقال للذين في السلاسل "اخرجوا وللذين في الظلمة استنيروا". وبكلمات أخرى، لقد بشَّر الذين في الجحيم لكي يخلِّص كل الذين يؤمنون به؛ لأن الأحياء الذين كانوا على الأرض والأموات الذين كانوا في الجحيم، الكل اخذوا فرصة للإيمان.

والقسم الأكبر من العهد الجديد هو أكبر من الطبيعة ومن الشريعة؛ لأنه رغم أن المسيح بشَّر الأحياء عندما ظهر في الجسد، وأولئك الذين آمنوا به من الأحياء نالوا البركة، كذلك أيضاً استطاع ان يحرر الذين في الجحيم مِن الذين آمنوا به وقبلوه عندما نزل اليهم. أمَّا نفوس الذين مارسوا الوثنية بما فيها من طقوس بشعة، وكذلك الذين فقدوا البصيرة بسبب الإنغماس في الشهوات الجسدية، هؤلاء لم يكن لديهم القدرة على رؤيته ولم ينالوا الحرية" (المرجع السابق فقرة ٦٦).

قانون إيمان الرسل[٤٩] والصلوات الليتورجية:

كانت الكنائس في الغرب قد أخذت عن الكنيسة الأم، كنيسة روما، قانون إيمان الرسل، ورغم كل ما قيل في بعض دوائر المعارف عن أصله وتاريخه إلاَّ أنه يبدو صيغة الاعتراف بالإيمان السابقة على مجمع نيقية ٣٢٥ ومجمع القسطنطينية ٣٨١. هو أقل ما يقال هو اعتراف الكنائس في الغرب بالإيمان. وهو، أي قانون إيمان الرسل لم يكن معروفاً في الشرق، ولكن الاسم "قانون إيمان الرسل" لا يعني أن الرسل هم الذين صاغوه، بل يعني أنه متفق تماماً مع التعليم الرسولي.

وقانون إيمان الرسل هو القانون الوحيد الذي يحتوي نصٌ صريح عن نزول الرب يسوع إلى الجحيم، لكن هذا لا يجب أن يزعج أحداً، فقد ورد نزول الرب إلى الجحيم في قداس باسيليوس القبطي / اليوناني.

> "نزل إلى الجحيم من قِبل الصليب" (قداس ق باسيليوس القبطي).
>
> "ولما انحدر بالصليب إلى الجحيم ليتم في ذاته كل شيء، حلَّ أوجاع الموت" (قداس ق باسيليوس اليوناني – خدمة الكهنة – الأسقف يوحنا يازجي – سنة ٢٠٠٠ ص ٢٨٣).

كما ورد في التسبحة السنوية، ويهمنا هذا المقطع الذي ورد في ذكصولوجية عيد القيامة، وسوف نورده مقارنا مع كتابات آباء الكنيسة كالآتي:

ذكصولوجية عيد القيامة	آباء الكنيسة
حينئذ امتلأ فمنا فرحاً. هو أيضاً الذي مضى الأماكن التي أسفل الأرض.	راجع ما أوردناه من اقتباسات من رسائل القديس كيرلس وما أوردناه في هذه الدراسة عن زيارة أو افتقاد العا لم السفلي.

---

(٤٩) يُعد كتاب J.N.D. Kelly استاذنا السابق Early Christian Creeds هو أهم مرجع في قوانين الإيمان.

بوابو الجحيم، رأوه وخافوا	بوابو الجحيم رأوه وارتعدوا (القديس اثناسيوس ضد الأريوسيين ٣: ٥٤). أفرغ أحشاء الموت (القديس كيرلس السكندري رسالة ١١).
وأهلك طلقات الموت، فلم تستطع أن تمسكه.	
سحق الأبواب النحاس، وكسَّر المتاريس الحديد، وأخرج مختاريه بفرح وتهليل.	(راجع ما أوردناه عن القديس كيرلس السكندري في هذه الدراسة)

راجع أيضاً صلاة قسمة لابن تقال للقيامة: "أيها المسيح الهنا رئيس كهنة الخيرات العتيدة"، حيث تقول:

"هذا هو الذي نزل إلى الجحيم، وأبطل عز الموت ...
بذوقه الموت عنَّا،
خلَّص الأحياء،
وأعطى النياح للذين ماتوا".

وهي نفس روح التقوى الأرثوذكسية عند أمونيوس السكندري، والقديس كيرلس السكندري ونفس الإيمان ونفس اللاهوت، حيث تكمل:

"ونحن الجلوس في الظلمة زماناً،
أنعم علينا بنور قيامته من قِبل تجسده الطاهر.
فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية؛
لنضيء بشكلك المحي".

فقد أضاء الرب حتى على الذين كانوا في الجحيم لأن المسيح – حسب إبصالية آدم القيامة – هو "**النور غير المفحوص**"، فهو إشراقة الحياة في أرض الموت كما يقول إفرام السرياني.

يجب ان نتعلم من الطقس قبول الألم والموت وانتظار الخلاص، فهذا هو جوهر كل الصلوات والقراءات الخاصة بالسبت العظيم، وهو انتظار الأبرار وليس انتظار المخلص الذي حسب أقدم الأناشيد الكنسية "**نزل إلى الجحيم ببرق لاهوته**"، فهو قد أرعب الهاوية على النحو الذي نسمعه في عظة القديس يوحنا ذهبي الفم التي تُقرأ في الكنائس الأرثوذكسية ليلة عيد القيامة.

وخوف "بوابو الجحيم" – كما تقول ذكصولوجية عيد القيامة – هو صدى لصوت الآباء أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير، هو إبادة الخوف من الموت، أي ذاك الذي له سلطان الموت أي ابليس حسبما كتب الرسول في (العبرانيين ٢: ١٤ – ١٥)، إذ عتق الرب الجنس البشري من خوف الموت، وجعل الموت عدو الإنسان يفتدى بالصليب لكي يصبح القوة التي تخلع جذر الخطية، ولكن ليس الموت كانفصال النفس عن الجسد، بل "موت الصليب" ذلك الذي هتف به رسول المسيح "مع المسيح صُلبت"، فقد جاز الموت كقوة فاعلة تهدم وتخلع الحياة القديمة، ولذلك أكمل صرخة الانتصار "فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠). فالمسيح صلب بولس بل "صُلب العالم لبولس"، فقد غاص الصليب في أعماق الرسول، فقال: "الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الأهواء مع الشهوات" (غلا ٥: ٢٤).

إن ما يغيب عن ثقافتنا المعاصرة هو تلك الأصول أو الجذور التاريخية التي دُوِّنت، وسوف يحين وقت نشر سلسلة شرح الآباء على كل كتب العهد الجديد المعروفة باسم Catena وهي مجموعة يونانية وأخرى لاتينية جمعت مؤلفات الآباء، والأخيرة يعود الفضل فيها للعلامة واللاهوتي الكبير توما الأكويني.

أخيراً:

– إذا كانت بشارة الإنجيل في يوم العنصرة قد تضمنت النزول إلى الهاوية، فما هي حجة الرافضين، لاسيما الذين يصلُّون القداس ويرددون التسبحة؛ لذلك كان من الضروري وضع جذور الإيمان المسلم لنا في صلوات الكنيسة من أجل الآتين بعدنا.

- أقول لمن يحمل في جيبه قائمة اتهامات يوزعها مجاناً على كل من يختلف معه: إذا كانت روح "التشيُّع" ستدخل الكنيسة وتبقى فيها، فإن فقدان المحبة، بل موتها هو أول ضحايا "التشيع".

- فليكن معلوماً عند الجميع أننا لسنا مع هذا ضد هذا أو ذاك ..

- من يعرف الإيمان فليشرح الإيمان، وإلاَّ فالصمت فضيلة؛ لأن الشتائم عجز وفساد ذمة وتصرف لا تعرفه المسيحية.

خميس العهد وجمعة الصلبوت[٥٠]

يقول رسول الرب: "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠). لا يجب أن نخطئ في الفهم الدقيق والصحيح لكلمة "إرادة"، فهي إرادة سبقت الخلق حسب قول الشاهد لآلام المسيح "انكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب .. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح، معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة من أجلكم" (١ بطرس ١: ١٩ – ٢٠). لقد سبق التدبير خلق الإنسان، وحسب قول الرب نفسه: "لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً، ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (يو ١٠: ١٧ – ١٨).

طقس التدبير الإلهي:

سبقت محبة الله الآب خلق العالم وخلق الإنسان. فالمحبة الإلهية لم تنشأ ولم تتكون في الزمان، بل كل ما هو في الحياة الإلهية سابق على كل الأزمنة. فالمحبة أزلية.

ولم يكن تدبير الخلاص رد فعل re-action لسقوط الإنسان، بل هو حركة المحبة الإلهية الحرة التي لا تحركها أزمة أو مأساة، كأن الخالق لا يعلم مسبقاً بما سيحدث للإنسانية، وكأنه لم يدرك أن حرية الاختيار عند الإنسان سوف تدفعه نحو اختيار ذاته وتفضيل ذاته على الشركة مع الله. ومع ذلك لم يكن أمام المحبة أن تتراجع أمام ما نعطي له اسم "الخطية"، وكأن الخطية مانعٌ صعب الاجتياز وسدٌّ منيع لا تقدر المحبة أن تجرفه. فالخطية لا يمكن أن تحدد حرية الله أو تمنعه من أن يخلص الإنسان.

---

(٥٠) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية وال أرثوذكسية في ٢٢ إبريل ٢٠١١.

هكذا سبق التدبير السقوط، ولم يكن بسبب السقوط، ولم تكن محبة الآب للابن حادثة بسبب التجسد، ولم تكن إرادة الابن أن يقدم ذاته متجسداً لأجل حياة العالم بسبب خطية الإنسان، بل كان تجسده استعلان المحبة الإلهية التي جاءت بفيضٍ جرف أمامه كل توقعات الإنسان.

لقد غلب طقس التدبير كل نظريات اللاهوت، وضرب جذر الفلسفة بكل مدارسها، فهو مثل النور لا يمكن أن يُغلق عليه. وعندما قال الآباء في المجمع الأول (نيقية ٣٢٥م) إن الابن له المجد "نور من نور"؛ فلأنه لا يُحد ولا يُجس، ولا يمكن أن تُقيَّد حركة النور بنظريات العقل طالما أن مصدر النور ليس هو عقل الإنسان.

الإرادة الواحدة للابن المتجسد:

إرادة واحدة من إرادتين، في أقنوم واحد متجسد، هو "واحد من اثنين"، إله مساو للآب أزلياً ومساو لنا حسب التدبير. هكذا صاغ آباء المجمع الثالث (أفسس ٤٣١م) وبعده حقيقة المحبة الأزلية التي تنازلت لكي تأخذ وتتحد بما هو مختلف تماماً عنها، وهي الإنسانية. وهكذا يجب أن نفهم "نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم"، فقد نزل بكل ما تعني هذه الكلمة من حركة التواضع الإلهي:

- أخلى ذاته
- أخذ صورة العبد
- وُجِد في هيئة الإنسان
- وضع نفسه
- أطاع حتى الموت
- موت الصليب (فيلبي ٢: ٧ – ٨).

لم يكن هذا عملاً زمانياً رغم أنه تم في الزمان عندما ألقى الابن ذاته في داخل تاريخ وزمان الإنسانية، بل عملاً أزلياً – زمانياً وحَّد الأزلية مع الزمان لأن فيه "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كولوسي ٢: ٩). وفيه تم إلغاء كل الفواصل بين الله

والإنسانية، وهكذا وصل الزمان إلى نهايته أو كماله أو ملئه (غلا ٤: ٤) لتتحد الإرادة الإلهية بالإرادة الإنسانية وتتجلى أزلية المحبة في زمان البشر.

العلِّية وفعل التقديم والذبح:

لقد قدَّسنا بإرادة التقديم (عب ١٠: ١٠) وجوهرة ثمينة جداً ذلك التعبير الدقيق "مرةً واحدة". هي سابقة على خلق العالم، هي إرادة شخص وليس حدثاً Event يفرض ذاته على الشخص. الشخص هو خالق كل الأزمنة، وهو محور وقلب التدبير، والعمل الإلهي "مرةً واحدة". الخلق "مرةً واحدة"، ولأنه مرةٌ واحدة استمر في الزمان. التجسد مرةً واحدة، ولكنه حمل في داخله الولادة — النمو الإنساني — المعمودية — تجارب البرية — الصلب — الدفن — القيامة — الصعود. هذه كلها استعلانات وظهورات إلهية، وهي كلها "مرةً واحدة". لا تكرار لأي عمل إلهي.

العمل الإلهي يأخذ مكانه في طقس التدبير لا لكي يبقى حدثاً Event يخضع للزمان، ولا ليبقى عملاً إلهياً ساكناً Static، فالسكون هو خضوع للزمان، وهو سكون الموت عندما تتقدم القوة أو تتراجع بسبب الضعف. بهذا يختلف اللاهوت عن الفلسفة وعن سائر العلوم الإنسانية. أعمال الله حركة ليس فيها استاتيكية Static وإنما خلف الكلمة اليونانية التي تترجم طاقة توجد الديناميكية Dynamism فالمحبة لا تعرف السكون، بل تعرف البذل، والبذل حركة جوهر المحبة أو هو طبيعة المحبة.

نخطئ عندما نسأل متى وكيف قدم الابن ذاته؟

السؤال عن الزمان والمناسبة بعيد تماماً عن دائرة التدبير. المحبة لا يُقيِّدها زمان ولا تحد حركتها مناسبة، بل عندما تنتظر فهي لا تبحث عن المناسبة Circumstances بل تنتظر تحقيق "خطة" التدبير، أو هي تسير حسب طقس التدبير.

لقد ضاعت من مؤلفات العصر الوسيط الكثير من المصطلحات اللاهوتية، فقد ضاعت كلمة ακολουθια وهي "ترتيب". أكثر الاستعمالات وردت في

كتابات القديس كيرلس الكبير حيث وردت الكلمة على الأقل ٣٥ مرة. أحد المعاني الأساسية هو "ترتيب التدبير أو الخلاص"، وقد ورد في العظة ٥ في السلسلة الذهبية لآباء الكنيسة اليونانية (مجلد ٤٦ عامود ٨٦٤) "ترتيب التدبير" الذي بدأ بالخلق إلى الشركة في الطبيعة الإلهية وتأليه الإنسان.

لا يوجد قبل أو بعد في التدبير، ولا يوجد استعلان يلغي ما سبقه:

* بل ولد في بيت لحم، ونما كإنسان حسب خواص الإنسانية؛ لأنه لم يأت لكي يدمر الإنسان، بل يعيده إلى الحياة.
* وعندما نما وكبر في القامة، مُسح بالروح القدس لكي يحفظ لنا ذات المسحة.
* هزم الشيطان؛ لكي يغلب الإنسان الشيطان حسب التدبير، ولكي يُعلن سلطانه على الأرواح الشريرة بعد تجارب البرية.
* صُلب على الصليب، وسحق الشيطان وقوته (كولوسي ٢: ١٥).
* قام من الأموات، ورد هبة الحياة الأبدية للإنسان (رو ٦: ٢٣).
* صعد إلى السموات لكي يعطي للإنسان أن يجلس معه على ذات العرش الإلهي (رؤ ٣: ٢١).

هذا هو "طقس التدبير أو ترتيب التدبير"، ويبقى السؤال الذي يُحيِّر عقول لم تستوعب استعلانات الله بعد: أين نضع تسليم الجسد والدم في العلية بعد أن نسخ الرب يسوع فصح اليهود؟

خميس العهد يسبق جمعة الصلبوت، وجمعة الصلبوت تسبق القيامة. هذا هو ترتيب التدبير والعلاقة الزمانية مشكلة العقل اليوناني الفلسفي، أمَّا العلاقة الكيانية أي ما يحدث ويتم في كيان إلهي – إنساني هو الاتحاد الاقنومي Hypostatic Union فهو بالتحديد علاقة اللاهوت بالناسوت في شخص يسوع رب المجد.

إنها ليست علاقة سكونية Static ولا هي علاقة اتحاد مثل اتحاد المعادن. لقد غلبت الأوطاخية فكر البشر الذين لا يمارسون المحبة؛ لأن المحبة التي تبيد الآخر وتقضي عليه هي ليست محبة، بل هي الشر ذاته وهي تسلُط الخطية، ولكن الذي

جاء لكي يخلص البشر لا تسود عليه الخطية، ولا يقوى عليه الموت الذي جاء برغبات التدمير والسحق في الإنسان. الاتحاد الأقنومي هو آية المحبة الإلهية: القوة تخضع للضعف الإنساني، والحكمة تقبل الجهل، والمعرفة تتواضع أمام الرحمة والمحبة.

كيف قدَّم ذاته قبل أن يُصلب؟

هل كان الصلب عملاً فُرض على الرب، وهل كان الرب ضحية مكر اليهود وقساوة الرومان وساقته الظروف Circumstances إلى الجلجثة؟ لقد قال الرب: "من أجل هذه الساعة أتيت" (يوحنا ١٢: ٢٧). وقبل عيد الفصح "علم يسوع أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب" (يوحنا ١٣: ١)، لقد عَرِفَ الرسول هذه الساعة لا سيما بعد أن تم التدبير "إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم" (يو ١٣: ٢)، ولم يقف الإنجيلي عند هذا، بل قال: "يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شيء إلى يديه وأنه من عند الله خرج وإلى الله يمضي" (يوحنا ١٣: ٣). هكذا استعلن التدبير، فقد غسل الأرجل، وسلَّم جسده ودمه قبل أن يُصلب. إنها الإرادة السابقة على الزمان، الإرادة السابقة على خيانة يهوذا وعلى مكر اليهود. يسوع يعلم أن الآب قد "دفع كل شيء إلى يديه"، وعلى ذات اليدين حمل جسده بالإرادة وبالقوة الإلهية وقدَّم ذاته "فعل المحبة الحر" الذي تؤكده قداسات الأرثوذكسية:

* لأنه فيما هو راسمٌ أن يسلِّم ذاته عن حياة العالم أخذ خبزاً (الباسيلي).
* لأنك في الليلة التي أسلمت فيها ذاتك بإرادتك وحدك وسلطانك (الغريغوري).
* في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتألم عن خطايانا والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنا كلنا (الكيرلسي).

لقد جاء فعل التقديم الواحد أزلياً قبل خلق العالم معلَناً في الزمان في العلية، ثم على الجلجثة.

* في العلية كان التقديم حراً وسط الأحباء، وعلى الجلجثة كان حراً وسط الأعداء.
* في العلية كانت الحياة تقدَّم بالإرادة الحرة وكعطاء المحبة لكي يُستعلن ذلك التقديم السري الخفي على الجلجثة.

لقد جمع ترتيب التقديم في ليتورجية الكنيسة كل هذا في التسليم الليتورجي عندما يقول "الكاهن الخديم" وشكر، ويرشم علامة الصليب. وكذلك عندما يقول بارك، وقدَّس، لأن علامة الصليب تعلن المحبة الأزلية.

التجسد في الزمان وفوق أبعاد الزمان:

وُلِدَ الابن له المجد من العذراء القديسة مريم بالروح القدس، بهذه الكلمات نعترف بالإيمان، ونؤكد الميلاد العذراوي، ولكننا نحتاج إلى أن نرتفع إلى المعنى اللاهوتي لولادة إنسان ولادة إنسانية حقيقية بدون زواج، ومن روح الرب الخالق، أي الروح القدس.

إن دخول الروح القدس في تجسد الرب يسوع كخالق لجسده ونفسه الإنسانية لا ينزع عن الرب إنسانيته، ولكنه يضع هذه الإنسانية الجديدة في الزمان وكل ما يخص الطبيعة الإنسانية في نفس الوقت فوق الزمان، أي يجعل علاقة المولود من البتول في شركة مع الآب ومع الروح القدس من خلال الاتحاد الأقنومي، فهو فوق الزمان؛ لأنه جاء من أجل هذه الساعة (يوحنا ١٢: ٢). وهذه الساعة ليست ساعة بمقياس الوقت، وإنما هي زمان الاستعلان. ساعة يقول الآب نفسه بصوت من السماء: "مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضاً" (يوحنا ١٢: ٢٨). ويقول الابن نفسه: "مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ"، ذلك المجد الذي بشَّر به الملائكة الرعاة، وهو ما سطع على جبل التجلي، جبل طابور. هذا المجد يؤكد إنسانية كاملة للرب، ولكنه في نفس الوقت يؤكد أن أحد أهداف تجسد الكلمة ابن الله أن يكون "الإنسان الثاني الرب من السماء" (١ كو ١٥: ٤٧). والتعبير الرسولي "الإنسان الثاني الرب من السماء" هو تعبير مركب:

- الإنسان الثاني = حقيقة تامة
- الرب، وهي لا تعني الألوهة فقط
- من السماء = نهاية الانفصال بين السماء والأرض.

وما دخول ذلك الإنسان الثاني في البعد السمائي الجديد الذي يعلو على أبعاد الزمان: الماضي والحاضر والمستقبل؛ إلاَّ لأنه جاء من السماء "نزل من السماء" (قانون الإيمان) لكي يُحضر معه ذلك البُعد السمائي الغائب عن حياة الموتى والمستعبَدين للزمان، فكيف فتح الرب بتجسده هذه الآفاق الجديدة؟ بالاتحاد الأقنومي، ذلك الاتحاد الذي جعله الروح القدس ممكناً، وجعل إنسانية الرب تدخل المجال الروحي الإلهي في استعلان الحبل من العذراء، ثم بعد ذلك في مسحة الرب في المعمودية. الروح الذي كوَّن جسده هو ذات الروح الذي يمسحه لكي يكون المسيح، لا يسوع فقط.

هكذا يجب أن نفهم أن ترتيب التدبير هو ما هو كائن في العلاقة الأقنومية الشخصية بين الآب والابن والروح القدس، وهو خاص بالثالوث وبما هو أقنومي أي شخصي يُعلَن في الزمان من أجل البشر ومن أجل تأسيس علاقة الشركة الجديدة.

لقد كان الحبل من البتول بالروح القدس أمراً شخصياً يعرفه الخاصة من الذين كانوا يعرفون يسوع مثل مريم ويوسف. كان هذا هو أول طريق التدبير، وبعد ذلك جاء استعلان المسيح جهراً، ليس لأن تكوين إنسانية يسوع بالروح القدس لم تكن كافية، ولكن نقل Transportation الميلاد إلى خدمة "المسيح" هو تحوُّل Transformation وهذا التحوُّل هو في نفس الوقت تجلٍّ Transfiguration لأن الميلاد **أساس**، والمعمودية **استعلان**، و**المسحة** هبة تُنقل من الرب إلى البشر.

هنا لا يعمل الرب المتجسد حسب أبعاد الزمان، فبالرغم من أنه وُلِدَ عندما كان أوغسطس قيصر روما، ولكن ولادته الزمانية يجب أن تُعلِن ولادته الأزلية من الآب، ذلك الاستعلان الذي لا يمكن أن يتم سراً، ولا أن يُستعلن بالكلمات وحدها، بل بقبول الروح القدس لكي يعطي نفس الروح للذين يؤمنون به؛ لكي يدخل المؤمنون ذات المجال الروحي الإلهي بنفس الروح القدس الذي صار الابن – بتجسده منه – الوسيط، "وضامن" العهد الجديد (عب ٧: ٢٢) فهو الذي يضمن Guarantee – بشخصه المتجسد – انسكاب الروح الذي أسَّس الإنسان الثاني، والذي سيسكب الروح في يوم العنصرة على الإنسانية؛ لأنه "آدم الأخير" الواهب

الروح المحيي (أع ٢: ١٧ مع ١ كو ١٥: ٤٥). فكيف للزمان أن يتحكم في تدبير التدبير، الزمان الذي شهد السقوط والموت، وهو خير شاهد على عجز الإنسانية وفي نفس الوقت على رحمة ومحبة الثالوث للبشر.

"لم تتركنا عنك حتى النهاية" أو "إلى الانقضاء" بل تعهَّدتنا دائماً بأنبيائك القديسين .. وفي آخر الأيام ظهرت لنا (أي استُعلِنت) أيها الآب بابنك الوحيد" (القداس الباسيلي).

لم يكن تجسد الرب يسوع هو لبقاء الإنسان كما هو تحت قيود الموت والشريعة الموسوية (٥١). ولكن ما حققه الوسيط هو أنه:

أولاً: باني البيت، ونحن بيت المسيح الذي بناه بلحمه ودمه وعظامه (عب ٣: ١ – ٦). هو هيكل الروح القدس الذي كوَّن **أولاً** هيكل الابن "هيكل جسده" (يوحنا ٢: ٢١)؛ لكي يكوِّن به وبواسطته الكنيسة هيكل الله الحي (١ كو ٦: ١٩).

ثانياً: الوسيط هو خادم الأقداس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا إنسان، هو قدس أقداس السماء الذي صار على الأرض (عب ٨: ١).

ثالثاً: هو وسيط عهد أعظم قد تثبَّت على مواعيد أفضل (عب ٨: ٦)، فقد زال العهد الأول وصار قديماً وشاخ (دبت فيه الشيخوخة) (عب ٨: ١٣).

رابعاً: لقد انتهت فرائض الطعام والاغتسالات "والفرائض الجسدية"؛ لأنها وضعت

---

(٥١) لا زال بعض القراء يسألون عن الصلوات التي تُقال بعد الولادة، وهي صلوات لم نعثر عليها في كل كتب خدمة المعمودية في الألف سنة الأولى، فليس لها علاقة بخدمة المعمودية. ولكن ما يجب أن نلاحظه ان الامتناع عن التناول وعن حضور الكنيسة بعد الولادة هو ضرورة من أجل صحة الأم، وهو ما يجعل الكنيسة ترى ضرورة الصلاة بسبب الامتناع عن التناول لا بسبب نجاسة الولادة حسب شريعة العهد القديم، ولذلك يجب قراءة هذه الصلوات مع صلوات أخرى صارت غير معروفة توصف باسم صلاة الطشت "التي تقام في اليوم الثامن" وهي احتفال بولادة إنسان جديد.

ووضع العهد الجديد تحت سلطان العهد القديم يجعل العهد الجديد تابعاً ويجعل "النور" تحت سلطان الظل، والحرف يسود على الروح، وخدمة الموت المنقوشة بأحرف من حجارة أعظم وأهم من خدمة الروح (٢ كو ٣: ٦ – ٨). رجاء من القراء مراجعة كتابنا: "تطور النظرة إلى التطهيرات الجسدية في الطقوس والقوانين الكنسية من العصر الرسولي حتى العصر الحديث" المنشور على موقع www.coptology.com

لوقت الاصلاح أو التجديد (عب ٨: ٨).

خامساً وأخيراً: لقد وُلِدَ بالروح القدس، ومُسح بالروح القدس، وصُلب أي قدَّم ذاته بالروح القدس؛ لأنه على الصليب هو "المسيح" (عب ٩: ١٤). هنا يجب أن نلاحظ دقة التعليم الرسولي: لقد نزع العهد الأول (عب ١٠: ١٩)؛ لكي يتم حسب الدقة "لكي يثبِّت الثاني" (عب ١٠: ٩)، ومصدر هذا كله: "نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠).

القيامة والاتحاد الأقنومي:

عندما قال الرب يسوع "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الزمان الحاضر أي الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). فالمسيح يسوع رب المجد معنا ليس حسب "المعيَّة" التي نراها في البشر، هذه "معيَّة" محدودة، ولكن معيَّة الرب معية:

* الكرمة والأغصان (يوحنا ١٥: ١).

* الرأس الواحد للجسد الواحد (١ كو ١٢: ٢٧).

المسيح هو حياتنا ليس لأننا نفكر فيه فقط، بل لأنه هو الذي منه نُولد جديداً كولادته السماوية، هو "الواحد الذي يجمع إليه الجميع"، وعندما استخدم الرسول في (يوحنا ١٢: ٣٣) كلمة "أجذب" أو "أرفع"، فقد كان يقصد ارتفاع الإنسان إلى الحياة السماوية، أو حسب تعبير الشهيد أغناطيوس الأنطاكي "الصليب هو الرافعة" التي ترفعنا إلى فوق بقوة الروح القدس.

إن تنوع الأفعال الديناميكية مثل "يجمع كل شيء" (أفسس ١: ١٠)، ويرفع الجميع أو "يجذب الجميع"، يجب أن يُفهم أيضاً على أنه حركة اختيار الله "اختارنا فيه قبل خلق أو تأسيس العالم" (أفسس ١: ٤). ولذلك، فإن ما سبق الزمان لا يجعل للزمان مكاناً في ترتيب التدبير. وما أُعلن في التاريخ والأيام هو في الأصل سابقٌ على التاريخ والأيام، وعلى هذا الأساس نفسه يشرح العهد الجديد العهد القديم ويشرح النور سبب وجود الظل.

لقد جاءت القيامة بأهم ما يحدث للإنسانية، أي إنسانية يسوع:

أولاً: الخلاص من الفساد، فقد دُفن الرب في القبر، ولكن جسده لم ير فساداً (أع ٢: ٢٥ – ٢٦).

ثانياً: هزيمة الموت التي تمَّت على الصليب، صارت هزيمة أبدية بالقيامة؛ لأن الذي مات "داس الموت بالموت" وكسر شوكة الجحيم (١ كو ١٥: ٥٦).

ثالثاً: وصار حضور المسيح يسوع حضوراً حياً، أي ذلك الحضور المتجسد الذي لمسه معلم الأرثوذكسية أثناسيوس، وهو حضور الحياة، هو إشراقة نور الخلود في ظلمة الموت.

لقد جاءت القيامة أيضاً بأهم تجديد في الخدمة (العبادة)، أي في الصلاة وفي كمال عمل الوساطة والشفيع يسوع المسيح، إذ نقلت "ملء المسيح" إلى حياة الكنيسة، فقد صار هو "خادم المسكن الحقيقي"، وصار رأس الجسد الحي الذي يهب الحياة لكل عضو من أعضاء جسده.

قبل القيامة قال الرب "أنا هو القيامة والحياة" (يوحنا ١١: ٢٥)، ولكن ذلك لم يكن مجرد كلام، بل استعلان سبق تحقيق الانتصار، لأن الانتصار كامن في شخص يسوع المسيح نفسه.

عندما يفرض التاريخ سطوته على أقنوم الابن المتجسد:

عندما نسأل كيف أعطى الابن جسده قبل الصلب، وعندما نرى خميس العهد يسبق جمعة الصلبوت، ثم أخيراً القيامة، نكون قد قسَّمنا المسيح يسوع، ولم نأخذ في الاعتبار أن الشخص هو الذي يجمع في ذاته كل هذه الأحداث، فهو ذاته الجالس في العلية، وشخصه هو المعلق على الصليب ويقدم العزاء للص الذي آمن، وهو نفسه الذي جاء بلعازر من الهاوية، وهو الذي "سبى الجحيم"، وهو الذي قام.

لا يخضع الرب لترتيب أحداث تاريخية تفرض سطوة الزمان على خالق الزمان، ولكن يخضع الزمان لترتيب التدبير، ولعل أول ترتيب في التدبير ليست **مناسبة تقديم عطية أو نعمة**، بل فيض النعمة من الشخص، من أقنوم الكلمة المتجسد.

* النعمة سبقت التاريخ؛ لأنها كانت في إرادة الثالوث ومشورة المحبة الأزلية.

* النعمة تعطى حسب ترتيب الاستعلان، وليس حسب ترتيب المناسبة.

والفرق عظيم؛ لأن الاستعلان يجمعه أقنوم الابن المتجسد الذي وإن كان قد أخذ في ترتيب التدبير، نسخ الفصح اليهودي في يوم الخميس، فإن هبة الجسد والدم هي هبة حياة الرب نفسه، وهي هبة أقنومية وليست هبة مناسبة، وهي عطية الحياة من الذي قال قبل خميس العهد وجمعة الصلبوت: "أنا هو القيامة والحياة".

القيامة والعشاء السري:

علينا أن نترك ذلك التعبير الوافد إلينا من الإرساليات البروتستانتية، أي تعبير "العشاء الأخير"؛ لأن العشاء الأخير ليس هو عشاء الرب في العلية، بل هو آخر قداس قبل يوم الدينونة.

ولكن جلوس الرب مع التلاميذ في العلية رسم صورة أو أيقونة العشاء السري، عشاء الملكوت، وهو لذلك عشاء يُعطي فيه الرب حياته لكل من يمد يده ليأخذ.

"مرةً واحدةً":

عجيب "ترتيب التدبير"؛ لأن الشخص هو ذاته لا يتكرر، وهو ذاته غير قابل للتكرار، ولذلك فإن العلاقة، أي الشركة هي ممدودة دائماً، فما أُسِّس مرةً واحدةً لا يتكرر، والنهر يظل واحداً رغم تكرار الشرب.

"مرةً واحدةً"، والقيامة:

لقد جاءت القيامة كما ذكرنا بتجديد الناسوت وخلوده، بل وتأليه الناسوت، فلم يعد الجسد هو ذلك الجسد القابل للموت والضعف والانحلال. صحيح أن الضعف قد بقى فيه رغم الاتحاد، وظل قابلاً للموت رغم قوة الحياة، ولكن التدبير يسير مع ترتيب العطية وحسب العطية، وما هو غير مُعلن يُعلن في كمال التدبير عندما يقوم من الموت، بل ويصعد إلى السماء.

لكن القيامة داست الزمان لأن الإنسان بالزمان يشيخ، ولأن الزمان يجلب مع

تقدم العمر الموت والضعف، ولكن كل ضعفات الجسد قد أُبيدت من الناسوت (القديس أثناسيوس، الرد على الأريوسيين، المقالة الثالثة: ٥٦ – ٥٧).

ويبقى السؤال: ماذا تعني القيامة بالنسبة للإفخارستيا؟

أولاً: تعني أن الحياة العديمة الموت والخالدة هي التي تُقدَّم، وهي حياة ليس فيها "عتق الزمان" لأنها فوق الزمان رغم وجودها في الزمان

ثانياً: عندما نقول إن "جسده لم يرَ فساداً"، بل ظل فوق الفساد رغم الموت ورغم انفصال النفس عن الجسد "يا أبتاه في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦)، فإننا نعني أن القيامة هدمت ذلك الانفصال. لقد زال الموت تماماً، فلا يجب أن تغيب هذه الحقيقة الأبدية عنا، تلك الحقيقة التي يحملها قول الرب نفسه: "قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى حدث (كان) تؤمنون" (يوحنا ١٤: ٢٩).

لقد عاين الأنبياء آلام الرب وقيامته، فكيف لا يعرف رب الأنبياء ما عرفه الأنبياء. لقد قال الإنجيلي إن الرب بعد العشاء "خرج وهو عالم بكل ما يأتي عليه" (يوحنا ١٨: ٤)، وقال لتلميذي عمواس: "أيها الغبيان والبطيئا الفهم (القلوب) في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، إن كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده، ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا ٢٤: ٢٥ – ٢٧).

جبل طابور، والجلجثة والقبر[٥٢]

ثلاثةُ أحداثٍ ... تبدو –حسب الفهم ومسيرة التاريخ– تسير في تسلسل ..

– تجلي الرب على الجبل أمام تلاميذه الثلاثة.
– صُلِبَ ودُفِنَ، ... ثم قام.

نحن فقط بشر، لكن يسوع هو إلهٌ بشر. نحن تُحرِّكنا أحداثُ الحياة، ولكن يسوع هو الذي يحرِّك الوجود كله. ففيما كان في الجسد، كان يحفظ ويسوس ويرعى الخليقة وهو متجسد (القديس أثناسيوس – تجسد الكلمة).

جاد علينا الآباء بكلمةٍ تُعد مفتاحاً لفهمٍ أفضل، وهي: "**التدبير**". وقد وردت هذه الكلمة في العهد الجديد نفسه (أفسس ١: ١٠)، وهي تعني خطة تسير نحو هدفٍ معين. وما يجب أن ندركه فوراً، هو أن خطة الله لتجديد الإنسانية في يسوع لا يحركها الزمان، فليست أية حقبة أو فترة زمانية هي التي تصنع الحدث أو حتى تُسهم فيه. لذلك، فإن عبارة أوغسطينوس التي يقول فيها إن الزمان هو فقط "المسرح" الذي يحرك الله عليه الأحداث، هي عبارة شديدة الوطأة على آذان فاقدي حرية الاختيار الذين يظنون أن الزمان هو مصدر التغيير مع أن الزمان *Time* بلا عقل وبلا إرادة، هو مجرد مقياسٌ فقط.

عندما رتَّب الهراطقة حياة الرب ترتيباً زمانياً (كرونولوجياً)، وجعلوا الزمان هو أول أساس لهذا الترتيب؛ سقطوا في إنكار الأزلية، وحتى العبارات الربانية التي تؤكد الأزلية: "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)، أرجعوها إلى وحدة الإرادة فقط لا إلى وحدانية الحياة الواحدة مع الآب قبل الزمان.

(٥٢) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢ مارس ٢٠١٣.

"ما قبل، وما بعد" في يسوع:

لا يوجد في أقنوم الكلمة ابن الله ما هو قبل وما هو بعد، أي ما قبل الزمان وما بعد زمان معين. أزلية الابن دخلت زمان الإنسان لكي تحوِّل زمان الإنسان إلى أداة استعلان ما هو كائن. يسوع يُولد في بيت لحم، ويجمع بذلك ميلاده الإلهي بدون أُم إلى ميلاده الإنساني بدون أب؛ لكي يكوِّن الإنسان الجديد، لكي يعيد خلق آدم أي الإنسانية، ولكي يصبح الخلاص والتجديد حقيقة كيانية إنسانية، فهو يأخذ ناسوتاً واحداً لأنه لو أخذ اثنين واحد قديم (عتيق) وآخر جديد لَضاع القديم والجديد معاً.

ولو كان الابن قد أخذ آدم العتيق، وتوقف عند هذا العتيق؛ لَضاع الخلاص.

ولو كان الابن قد أخذ آدم جديداً من لحظة ميلاده حتى قيامته، رغم أن القيامة هي بالضرورة قيامة المائت، وقيامة المائت تعني قيامة العتيق، أقول لو بدأ يسوع بإنسان جديد له كيان جديد يختلف عن كياننا الإنساني؛ لأصبح تجديد الإنسان هو في **يسوع وحده**، وليس للجنس البشري. عندئذٍ يصبح لدينا إنسانٌ جديدٌ لا ينتمي إلى البشر، ويصبح لقبُ "ابن الإنسان" خدعةً، بل تصبح حياة يسوع مسرحية هزلية أمام البشر المائتين الذين لا رجاء لهم في أن ينالوا حياةً جديدةً.

لو كان يسوع قد أخذ ناسوتين معاً في نفس الوقت، أحدهما كيان قديم، والآخر جديد لَكان الاتحاد الأقنومي مآله إلى انقسام؛ لأن القديم هو نحن، هو "اللحم والدم"، ومن أين يأتي الجديد إن لم يكن بتجديد القديم؛ إذ لا يمكن لأي كائن حي له وجود إنساني حقيقي أن يعيش بنوعين من الوجود. تصوَّر أن يكون لشخصٍ واحد نوعين من الوجود، وجود قديم ووجود جديد، فهل يكون كلاهما معاً في صراع، أم في اتحاد، أم ... الخ. فما الذي يمكن لهذا الشخص أن ينجزه من تقدم؟ وما هو مصير القديم؟ ومن أين يجيء القديم والجديد معاً في ذات كيان هذا الشخص؟

الحقيقة هي أن القديم جُدِّد في يسوع لأنه صار الإنسان الجديد.

كراهية الجسد – كراهية القديم في مدرسة الغنوسية:

القديم ليس مشكلة لاهوتية فقط، بل هو مشكلة عقلية – نفسية – ثقافية أيضاً. قد يكون القديم مصدرُ إلهام، وقد يصبح قيداً وسلاسل. فالدعوة إلى السلف الصالح هي دعوة إفلاسٍ إنساني بكل معنى الإفلاس وجوانبه. لم نعد نستطيع أن نعيش حياتنا بقدراتنا، وبما نجده في الواقع، وبما نريد أن نكون، بل علينا أن نقدم استقالة جماعية من الحاضر لأن الماضي أعظم وأفضل. وعندما نستقيل من الحاضر نفقد المستقبل؛ لأن العودة إلى القديم = الماضي هو وضع الحياة في "قبر" لكي تتعفن.

والماضي له علاقة وثيقة بجسد كل إنسان. الجسد هو ملف الماضي، هو الشاهد على أننا كُنا هذا أو ذاك، وهو يحمل بصمات الفشل والنجاح والخوف والرجاء. وكل إنسان يتمنى أن يكون له جسد آخر غير ذلك الذي له؛ طمعاً في جمال أو قامة أو قوة جسدانية.

ويأتي الكلمة ابن الله متجسداً لكي يدخل دنيا الأجساد حيث الوجع، البكاء، والموت، والحروب وكل أنواع الصراعات .. بل والأهم، حيث الشر نفسه مُستعلناً في حياة البشر وبصورة مرئية متعددة.

الحل الغنوسي هو حذف الجسد، واعتباره شبحاً وخيالاً لا قيمة له ولا وزن. احذف الجسد من الوعي بكل آليات العقل القادرة على إنكار ***Negation*** ما هو كائن لكي يمكن أن يحيا الإنسان صراعه بالأفكار، وهكذا كتب إريك فروم *Fromm* كتابه "النفي – *Negation* " محذراً من أن إنكار شيء هو مجرد تأجيل الحل أو الحلول.

يسوع في الغنوسية كما وصلنا في المصادر القبطية واليونانية، هو روح. والمدهش أن أوراق الكتب الغنوسية وصلتنا بالقبطية، أمَّا ما نعرفه عن تاريخ هذه الشيع، فقد نقله إلينا الآباء أكليمنضس – أوريجينوس وترتليان، وقبل كل هؤلاء القديس ايريناوس في مجلد كبير عن الغنوسية. إلى أي درجة تأصلت الغنوسية في الشرق؟ لا نعرف، فليس لدينا إحصاءات. كانت مدرسة مارقيون حية حتى آخر القرن الثالث، والجدير بالتأمل أنها حاربت الزواج، فوضعت بذلك حداً لوجودها.

يسوع الحقيقي ابن الإنسان:

صعبٌ علينا أن نتصور أن يسوع عاش حياةً إنسانيةً حقيقيةً مثل حياتنا، وأنه كان يأكل مع الزناة وشاربي الخمر، بل ويسير بين الذين تسلطت عليهم الأرواح النجسة. وصعب علينا أن نتصور ذلك للأسباب التالية:

١- نحن نشعر بأن الشر آتٍ إلينا من الداخل، من صور عقلية، وخبرة قديمة، وأحياناً تندفع من الذاكرة والمخيلة، وتحرك إرادتنا ويبدو لنا أننا أسرى .. فهل كان يسوع في نفس هذا الوضع المهين .. فقدان الإرادة الحرة؟ أم أنه كان يختلف عنا في أن الأفكار كانت تأتي لكي تطرد فوراً ولا تجد لها جذراً أو ركناً؟

تعلمنا من الأدب النسكي المسيحي أن بعض رواد الحياة النسكية تطهروا مثل أوغريس (ايفاجريوس) وغيره، حيث كان **يرى** الأفكار قبل أن تنبت، مجرد بذرة في هواء الحياة العقلية، ولعل هذا يكون أقرب إلى حياة المتجسد رب المجد الذي له رؤية أعظم لأنه عرف المحبة غير المنقسمة بين الله والذات والقريب، فمن الانقسام، أي انقسام المحبة يدخل الشر بكل أنواعه.

٢- وقيل عن الرب يسوع إنه: "مجرب مثلنا في كل شيء" (عب ٤: ١٥)، والتجربة هي صراعٌ داخلي يُحسم، والحسم هو الحرية، ولكن يسوع الذي يحسم تجاربه، يحمل العطف والحنان؛ لأنه "يقدر أن يعين كل المجربين" (عب ٢: ١٨).

فإذا جاء يسوع بكيانٍ واحدٍ إنساني حقيقي من القديسة مريم، هو ذات كيان كل إنسان، فهل يقع يسوع في تجريد إنسانيته من الوجع والألم والموت، و"ينزل عن الصليب"، أم يأخذ هذه الإنسانية في مسيرة التجديد نحو حياة حرة جديدة في تجديد الفكر والإرادة والشعور بل وفي تجديد محبة البشر، محبة الإنسان لله وهي المحبة الغائبة؟

وكيف يجدد يسوع هذا الكيان؟ إن عاش حياة تجديد فكرية فقط كان التجديد خيالياً وعقلياً فقط حُوصِرَ فيه وحده. إذن لابُد من تغيير في الإرادة، في خلايا الجسد، في العظام واللحم، وكل الكيان. والتمسك بهذا هو تمسُّكٍ بأصل خلاصنا

نحن؛ لأننا ننال تجديد كياننا الجسد والنفس معاً، لأننا نتأمل أو نفكر، أو حتى نصلي؛ لأن الحياة الإنسانية يجب أن تدخل مجال حياة جديدة أعطاها العهد الجديد "الخلقة الجديدة".

الحل الغنوسي هو "بتر" و"قطع – *amputation*" ولكن قطع وبتر القديم يعني حتماً أن القديم لم يتجدد. ولكن هل الجديد ينمو موازياً للقديم؟ بكل تأكيد لا، بل ينمو من داخل القديم بالشكل والمضمون الذي نراه في خلع الإنسان القديم أو العتيق، هو عملٌ مستمر، ولبس الجديد الذي دائماً في الحاضر يتجدد "حسب صورة خالقه"، والذي "ينمو نمواً من الله". وفي عبارة بليغة تحمل زخم وكثافة التجديد يقول الرسول إن حياتنا هنا هي مثل خيمة أرضية (٢ كو ٥: ١)[٥٣] ولكن لنا رؤية "بناء من الله" غير الخيمة، ثم "فَإِنَّنَا فِي هذِهِ أَيْضاً نَئِنُّ مُشْتَاقِينَ إِلَى أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا (فوق الخيمة) مَسْكَنَنَا الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ"، ولكن ذلك الأنين هو ثقيل علينا – ولاحظ السبب "لَسْنَا نُرِيدُ أَنْ نَخْلَعَهَا بَلْ أَنْ نَلْبَسَ فَوْقَهَا، لِكَيْ يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ (الخيمة) مِنَ الْحَيَاةِ" (٢كو ١ – ٤)، وهنا ليس لدينا برنامج يومي، بل لكل إنسان برنامج حياته للتجديد في المسيح.

الاتحاد الأقنومي وتحول ناسوت الرب:

في الصراع ضد تقسيم المسيح الذي جاءت به المدرسة النسطورية، قدم القديس كيرلس الكبير عدة أمثلة لشرح الاتحاد الأقنومي:

المثال الأول: تابوت العهد المصنوع من الخشب والمغطى بالذهب من الداخل والخارج، هو خشبٌ وذهبٌ معاً، ولكنه **تابوت واحد** (شرح تجسد الابن الوحيد فقرة ١١) وعلى نفس المثال الرب يسوع إلهٌ متجسِّدٌ، ربٌ واحدٌ.

المثال الثاني: الحجر الثمين له لمعان وجمال يشع نوراً، ولكن الحجر واحد لا يمكن فصل الحجر عن لمعان وبهاء الحجر (العظة ١٧ مجلد ٧٧: ٧٧٦).

---

(٥٣)"لأَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ".

المثال الثالث: ورد في شرح تجسد الابن الوحيد عن رائحة الزنبقة التي لا يمكن فصلها عن الزنبقة (راجع فقرة ٩).

المثال الرابع: اتحاد النار بالخشب، مع ملاحظة أن النار تقضي على الخشب، ولكن هذا المثال قيل لهدف واحد، وهو اشتعال الخشب (شرح تجسد الابن الوحيد ٩).

المثال الخامس: جمرة النار التي مست شفتي اشعياء (أش ٦: ٦) هي مثال الاتحاد الذي لا انفصال فيه.

المثال السادس: العليقة، وهي مثالٌ قديم عُرِفَ عند هيبوليتوس ومار افرام، وهو خاص بسكنى اللاهوت في أحشاء القديسة مريم، ويظل الناسوت ناسوتاً، ولكنه مشتعل بنار اللاهوت (جلافيرا على سفر الخروج ١٣: مجلد ٦٩: ٢٠٤).

ولكن **المثال الجدير بالاهتمام** حقاً هو اتحاد النفس بالجسد في الإنسان الواحد، وهو المثال الوارد بوفرة في كل النقاط الدفاعية عن الرب الواحد غير المنقسم إلى اثنين، فالنفس هي قوام الجسد والوحدة العضوية بين الاثنين النفس والجسد، هي أقرب مثال على اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأن الجسد بلا نفس ميتٌ، والنفس بلا جسد ليست إنساناً كاملاً؛ لأن كمال الوجود الإنساني هو الإنسان الواحد نفساً وجسداً.

يقول القديس كيرلس الكبير عن تجسُّد الابن له المجد:

> "وُلِدَ من امرأة كإنسان، وهذا لا يعني أبداً أنه فَقَدَ ما له، وعندما جاء إلى اللحم والدم ظلّ الإله بالطبيعة والحق" (الخطاب الثالث لنسطور فقرة ٣٥).

وفي الخطاب ليوحنا الأنطاكي فقرة ٩ يقول:

> "الله لا يتغير ولا يتبدل، ونحن جميعاً نعترف بأن الكلمة الله لا يتغيَّر، وحتى في سر التدبير الفائق الحكمة، هو (المسيح) ينسب إلى نفسه الآلام التي حلَّت بجسده (١ بط ٤: ١)، هو يحمل هذه الآلام في جسده حسب التدبير الذي ارتضاه لذاته".

الطبيعة الواحدة المتجسدة Mia Physis

الطبيعة هي الكيان. هي الوجود. الطبيعة هي الحياة الواحدة غير المنقسمة إلى كائنين في صلة أو مصاحبة أو علاقة، بل في اتحاد: "طبيعة واحدة للكلمة أو أقنوم واحد إذا أردت هو الكلمة ذاته"، وهو ما يؤكده كيرلس في الرسالة الثالثة لنسطور:

"كل ما كُتب في الأناجيل هو خاص بأقنوم واحد *Prosopon* الذي اتخذ جسداً وهو أقنوم الكلمة" (فقرة ٣).

وفي الرسالة إلى رهبان مصر يقول:

"هم مثل مَن يريد يُقسِّم شعرة الرأس عندما يتحدثون عن آلام طبيعة الناسوت، لأن هذا يخدم الهدف الذي يسعون إليه، وهو فصل الناسوت عن الكلمة؛ لكي يتصور مَن يسمع، أن الخطاب هو عن اثنين وليس الواحد الكلمة من الله الآب الذي تجسد وصار إنساناً" (فقرة ١١).

ويجيء التحذير من هدم تجسد الرب في عقول المؤمنين:

"لأن الكلمة أقنومياً وحَّد كينونة الإنسان بكيانه"؛ لأنه لأجلنا ولأجل خلاصنا وُلِدَ من امرأةٍ، ولذلك قيل عنه إنه وُلِدَ حسب الجسد .. أمَّا إذا أنكرنا الاتحاد الأقنومي واعتبرناه مستحيلاً أو لا يليق، فإننا نسقط في قول بأنه يوجد ابنين" (فقرة ٦ الرسالة الثانية لنسطور).

هل منع الاتحاد الأقنومي الموت؟

هل حجب الوجع والجلد والتعب والجوع، بل والحزن الشديد، وهو ما تسجِّله رسالة العبرانيين: "الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. **وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ** لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ" (عب ٤ : ٧ – ٩). وعن ما سجَّلته الرسالة للعبرانيين يقول كيرلس في ايجاز:

"الكلمة ... اشترك في كل ما يخصنا وأخلى ذاته فصار في أيام جسده" (عب ٥: ٧) مثالاً لنا. وما هو وجه الخطأ إذا تصرف حسب المقاييس الإنسانية مثل إطالة الصلاة وسكب الدموع .." (المسيح واحد ص ٧٥).

لقد تقدم الناسوت بلا شك في المعرفة، ولهذا يقول كيرلس:

"ونحن بكل يقين نعتقد أنه في العلو الإلهي، ولكنه ظهر كإنسان، وهي حالة تستدعي الأخذ والحصول على كل الأشياء، ولذلك هو الملء الذي يعطي الكل من ملئه، ولكن عندما تجسد وصار إنساناً، صار فقر الإنسانية فقره. والمسيح حقاً هو سرٌّ عجيب مدهش، ففي صورة العبد نجد الربوبية، وفي الكيان الإنساني نجد مجد اللاهوت، والذي تحت نير مقاييس الناسوت هو في نفس الوقت يلبس إكليل اللاهوت الملوكي، والفائق الذي يعلو على الأشياء، هو في عمق الاتضاع .. ولكنه لم يبق دائماً في حالة الإخلاء، بل لكي يأخذ الذي لنا فنعرفه الإله المتجسد .." (المسيح واحد – ص ٧٢ - ٧٣)

التجسد هو اتحادٌ حقيقيٌّ بين لاهوت الله الكلمة، وناسوتٍ واحدٍ ينتمي إلينا:

يكتب القديس كيرلس الكبير قائلاً:

"من الواجب علينا أن لا ندعي وجود ابن آخر أو رب آخر غير الكلمة. والإنجيلي الحكيم قال أولاً إن الكلمة صار جسداً مؤكِّداً أن جسده سوف ينمو وفق قوانين الجسد؛ لأنه ينتمي إلى الإنسانية، ولذلك يتقدم في القامة والحكمة وأيضاً النعمة، كل هذه تسير معاً عندما ينمو الجسد في القامة حسب مقاييس الطبيعة الإنسانية. فجسد الأطفال شيء وجسد البالغين شيء آخر، والفرق هو النمو الذي يحدث للكل. ولم يكن مستحيلاً ولا غريباً أن يأتي الكلمة ... ويتنازل لكي يُقمَّط بالخِرَق التي يُقمَّط بها الرضعان. فهو قد اتحد بالجسد وجعل جسده ينمو لكي يصل إلى حد كمال القامة... وسمح تدبيراً أن تنطبق عليه مقاييس الطبيعة الإنسانية، وكل هذا تمَّ بترتيبٍ لائقٍ ليكون فعلاً مثلنا في كل شيء. وان يتقدم قليلاً إلى ما هو أعظم، حسبما تستدعي مراحل العمر، وأن تنمو القامة مع الإدراك في انسجام. والكلمة كاملٌ في كل شيء ولا يحتاج إلى النمو ولا إلى الزيادة. بل تعد وُصِفَ بهذه الكلمات لأنه جعل ما يخصنا يخصه هو، لأنه صار مثلنا ..". ثم يعود ويكرر: "الناسوت يخصُّه تدبيراً، ومع الناسوت كل ما يخص الناسوت من صفات، وهذا يمنعنا من أن نعتقد بابنٍ آخر .." (المسيح واحد ص ٨٢ - ٨٣).

التسليم الكنسي السابق على القديس كيرلس السكندري:

إن ما يحدث للجسد هو ما حدث لله المتجسد وقبول الابن له المجد، وهكذا يشرح أثناسيوس العظيم آلام الرب:

"الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص، بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته. أمَّا الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان كإله أن يفصل النفس عن الجسد وأن يعيدها أيضاً حينما يريد.." (ضد الأريوسيين ٣: ٥٨ ص ١٠٨).

"تألم في الجسد لكي يجعل الجسد من الآن فصاعداً غير متألم وغير مائت" (المرجع السابق ص ١٠٣).

"الأوجاع وكل الأمور الأخرى التي أتت عليه هو .. قد أبيدت تماماً" (المرجع السابق ص ١٠٣).

"حينما صار إنساناً، فقد أخذ جسداً يخاف، ولأجل هذا الجسد وحَّد إرادته الذاتية بالضعف البشري؛ لكي يبيد هذا الضعف ويعطي للإنسان أن يكون شجاعاً أمام الموت .." (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧ ص ١٠٠ - ١٠١).

أباد الموت بالموت (ضد الأريوسيين ٣: ٥٧):

الموت حقيقةٌ لا يمكن أن تغيب، وواقعٌ مؤلم، والموت لا يُباد من الطبيعة الإنسانية بفكرة؛ لأنه - كمرضٍ - لا يُعالَج بالكلام ولا بالوعظ ولا بالفكر، بل مثل كل مرضٍ يعالَج بدواء يقضي عليه.

قَبِلَ الربُ الموتَ في جسده القابل للموت لكي يفرز من ألوهيته عدم الموت. يقبل الموت من أيدي البشر لكي يعطي الحياة.

يقول القديس كيرلس السكندري أيضاً:

"الابن الوحيد الكلمة خلصنا وأخذ شبهن؛ لكي إذا تألم في الجسد وقام من الموت يعيد طبيعتنا إلى الحياة، ويجعلها أقوى من الموت والفساد. وما حققه كان قوة وتجديداً للخليقة" (المسيح واحد ص ١٠٣).

لقد بذل الرب حياته، ولذلك يشرح القديس كيرلس الإيمان:

"من ذا الذي يستطيع أن يبذل ذاته ويعيدها مرةً ثانيةً إلى الحياة سوى الابن الوحيد بالحق، فهو الذي بذل ذاته وأعادها مرةً ثانيةً إلى الحياة وجعلها فوق سلطان الموت" (المسيح واحد ص ١٠١).

الطبيعة الإنسانية تحولت فيه:

"هو يُدعى آدم الثاني لأنه جاء من نسل آدم الأول حسب الجسد، وصار البداية الثانية (الجديدة) للذين على الأرض؛ لأن الطبيعة الإنسانية تحوَّلت فيه إلى الحياة الجديدة، حياة القداسة وعدم الفساد بالقيامة من الأموات" (المسيح واحد ص ١٠٠).

ولكن ذلك يجب أن نراه باستقامة، أي بأرثوذكسية؛ لأن:

"كيف أمكننا أن نقول إن سر تدبير تجسد الابن الوحيد قد أعان الإنسانية ... ما لم يصر جسده هو جسد الحياة الذي خضع للفساد؛ لكي نصبح نحن فيه أقوى من الموت والفساد" (المسيح واحد ص ٨٨).

فقد كانت حالتنا نحن هي التي استدعت هذا التنازل، وأن يأتي آدم الثاني الذي من السماء (١كو ١٥: ٤٧) .. لكي يحررنا من الدينونة. يقول كيرلس:

" .. لأنه لم يفعل خطية؛ فكسبت الطبيعة الإنسانية غنى عدم الفساد، وصارت بلا لوم، وهو ما يجعلها قادرة على أن تصرخ بكل جرأة "إلهي إلهي لماذا تركتني" (متى ٢٧: ٤٦) ... لماذا صدرت عنه هذه الكلمات؟ لأنه صار كواحدٍ منّا، ونائباً عن الإنسانية، فقال هذه الكلمات؛ لأن الإنسان الأول تعدَّى وسقط في عدم الطاعة ولم يسمع الوصية التي أُعطيت له .. فصار أسيراً للتعدي ولذلك بكل حق أُخضع للفساد والموت، ولكن الابن صار البداية الجديدة على الأرض ودعي آدم الثاني" (المسيح واحد ص ٧٨).

جبل طابور – جبل التجلي:

سبق تجلي الرب موته وقيامته. وحسب التدبير لا يمكن للزمان فرض شرحٍ أو تأويلٍ على شخص المخلص:

أولاً: لأن الرب يسوع ليس بشراً ساقطاً تحركه وتسود عليه طبيعة تتحكم في إرادته وتحركه وتسوقه كما يحدث لنا نحن البشر. حقاً أخذ الرب الطبيعة الإنسانية الساقطة لكي تتحول فيه أي في أقنومه من الموت إلى الحياة، ومن الفساد إلى عدم الفساد، ولكن هذا التحول يتم **حسب التدبير**، أي يأخذ قوته من إرادة وحرية اختيار وحياة الأقنوم الإلهي. خضوع الرب لحياتنا نحن ليس خضوع الأسير، بل هو خضوع طاعة حر. حتى الطبيعة المائتة التي أخذها وماتت، لا تحكم إرادته حسب كلمات الرب نفسه: "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها"، بل أضاف الرب ما يُسكِت غباوة العقل المستعبد: "ليس أحدٌ يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي" (راجع بدقة يوحنا ١٠: ١٧–١٨). لم يكن أحد قادراً على أن ينزع حياته، أي حياة يسوع لا اليهود ولا الرومان، ولكنه هو الذي "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

ثانياً: وسلطان الموت نافذ علينا، بل كما تقول كلمات الحق في القداس الإلهي: "هذا الذي كُنّا ممسكين به مبيعين من قِبَل خطايانا"، وهو ما لا ينطبق على يسوع بالمرة لأن حريته من الموت ليست فقط بسبب حريته من الخطية، فهو "بلا خطية" وبلا عبودية للموت، ولكن لأنه الحياة حسب قوله الإلهي، وهو الذي يقول: "أنا هو القيامة والحياة"، ولذلك عندما أذاع رسوله بشارة الخلاص يوم العنصرة قال: "الذي أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً (للموت) أن يُمسك به" (أع ٢: ٢٤).

وعندما ينقض أوجاع الموت فهي ليست الآلام وحدها، بل الفساد وتحلل الجسد، وافتراق الحياة تماماً عن الجسد، وهو ما لا يحدث لنا لأننا نعود إلى التراب في انتظار القيامة، ولكن الرب لم يرَ جسده فساداً (أع ٢: ٢٦). فكيف يجمع الرب في إنسانيةٍ واحدةٍ وحيدة المجد والهوان، الجسد القابل للموت والجسد الذي – بسببه – حتى الثياب التي كانت عليه صارت أكثر لمعاناً من نور الشمس؟

ما يجب أن نراعيه هو مناسبات استعلانات الخلاص:

لم يكن التجلي حادثاً عرضياً تم بشكل فجائي استعراضي، فهذا لم يكن بالمرة من سمات يسوع. كيف قدمت الأناجيل التجلي؟

حسب لوقا، بدأ الرب بسؤال: مَن تقول الجموع؟ ثم جاء اعتراف بطرس وقال: "مسيح الله"، ولكن الرب "انتهرهم، بل أوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد"، وشرح الرب نفسه السبب قائلاً: "أنه ينبغي أن ابن الإنسان يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ .. ويُقتل وفي اليوم الثالث يقوم" (لوقا ٩: ١٩-٢٢). المسيح الملك محرر اليهود من الرومان هو سبب انتهار الرب كما هو واضح؛ لأن المناسبة هي: ماذا تقول الجموع التي تبعت يسوع ورأت فيه المخلص السياسي والملك مثل شمشون وداود وغيره من أبطال العهد القديم. هنا صدمة وعثرة الصليب: أن يسوع المسيح سوف: يتألم – يُقتل – يقوم في اليوم الثالث.

هذا هو الحوار القصير الذي دار بشأن الاعتراف. ولكن الأمر لم يقف عند هذه النقطة الحاسمة إذ يقول الإنجيل: "وقال للجميع"، وهذا يعني الشعب والتلاميذ: "إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه **كل يوم** ويتبعني" (لو ٩: ٢٣)، فكيف انتقل الخطاب من الاعتراف إلى حمل الصليب كشرطٍ للتلمذة؟ لأن المسيح كان يضع التعليم والحياة معاً في وحدة واحدة لا تقبل التقسيم. وشمشون يحارِب، لكن يسوع يقول: "من أراد أن يخلص نفسه يبذلها أو يقدمها أو يهلكها. ومن يبذل نفسه من أجلي فهذا يخلصها"، ثم يأتي الإنذار: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك (خسر) نفسه". وبقوة تجرف كل طياشة الفكر: "لأن مَن استحى بي وبكلامي فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين". وجاءت مناسبة استعلان المجد: "حقاً أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله. وبعد هذا الكلام بنحو ثمانية أيام أخذ بطرس ويوحنا ويعقوب .." (لوقا ٩: ٢٥-٢٨).

المناسبة هي:

- الاعتراف.

- الصلب الذي يلوح في الأفق.
- الموت، ثم القيامة.

ولذلك يشرح ذهبي الفم في العظة ٥٦: ٣ على إنجيل متى هذه المناسبة بالذات قائلاً:

> "لقد تجلى لكي يُعلن مجد الصليب، ولكي يعزي بطرس والآخرين الذين خافوا من خطابه عن الآلام لكي يرفع إلى فوق إدراكهم لأنهم ساروا معه خائفين وكانوا عاجزين عن الكلام عن مجده الذي سوف يكمله في أورشليم، أي آلامه ومجد الصليب".

لقد قال الرب إن الذين معه سوف يرون مجده الآتي، وهذا المجد يُستعلن لمن اختارهم. لأن التجلي كان كما ذكر لوقا عن "خروجه"، أي "خروج يسوع نفسه، الذي كان عتيداً أن يكمله في اورشليم" (لوقا ٩: ٣١)؛ لأن الصلب هو الخروج الحقيقي من عبودية الموت.

وشرح ذهبي الفم ليس قطعةً فريدةً، بل هو الشرح العام عند كل الآباء الذين شرحوا حادثة التجلي. يشرح القديس كيرلس الكبير في العظة ٥١ على إنجيل لوقا عبارات ربنا يسوع على هذا النحو:

> "أقول لكم إن مِن القيام (الوقوف هنا أمامي) مَن لا يذوقون الموت .. حتى يرون ملكوت الله .. وملكوت الله هو استعلان المجد الذي سوف يُستعلن لكل أهل الأرض. هو سيأتي بمجد الله الآب وليس في تواضع حقارتنا نحن .. لقد صعد إلى الجبل وتجلى ببهاءٍ إلهيٍ فائقٍ حتى أن ثيابه أضاءت بنور ونار .. وظهر معه موسى وإيليا وتكلما معه عن خروجه الذي سوف يكمّله في أورشليم. هذا يعني سر التدبير في الجسد والآمه المجيدة على الصليب".

ومع هذا البهاء كما يلاحظ جيروم في شرح إنجيل متى لم يفقد يسوع إنسانيته، ولا شكله رغم البهاء الذي سطع منه (شرح إنجيل متى ٣: ١٧)، فقد قُبض عليه في البستان وجُلد وصُلب ومات، ويبقى سر التدبير كما يقول العلامة أوريجينوس مخفياً عن الذين يطلبون يسوع الإنسان فقط، أمَّا الذين يصعدون مع يسوع على الجبل، هؤلاء يرفع يسوع إدراكهم لكي يعاينوا مجده (شرح انجيل متى ١٢: ٣٧).

حتى لا نعثر في سر التدبير:

١- يجب أن لا نضع الرب تحت أحكام الزمان، وما تأتي به أحداث معينة هو صانعها ولم تُفرض عليه. يسوع ليس ضحية شغب جموع، بل كاهن وذبيحة. يسوع ليس مجرد بشر تسوقه أحداث التاريخ، بل هو رب التاريخ وسيده. هو ليس **محصلة** اتحاد طبيعتين تعملان حسب مقاييس، بل هو الأقنوم الذي وحَّد في كيانه الطبيعة الإنسانية معلِناً فيها على مراحل ما سوف تؤول إليه حسب تدبيره الأزلي.

٢- يحفظ الرب ناسوته بشراً كاملاً بكل ما في هذه الكلمة من حقائق: الوجع - العذاب - الدموع - الصراخ - الخوف - الحزن - ثم الموت. هذه هي السمات التي يجب أن **تتحول فيه** هو أولاً كباكورة أو آدم الجديد إلى سمات المجد والقوة والعزة والبهاء؛ لأن هذا هو حال الإنسانية الجديدة التي وصفها رسوله بولس باسم: "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١) والتحول حقيقي خاضع لحرية اختيار الرب وحسب مناسبة الاستعلان.

"ما قبل وما بعد"، لا مكان له في التدبير:

١- ما قبل الولادة في بيت لحم، هي الولادة الأزلية، ومع ذلك هي قاعدة وأساس الخلاص. وما بعد الولادة في بيت لحم هو مسيرة الحياة التي تجمع بيت لحم - الأردن - البرية - الكرازة - الصلب - الموت - القيامة ... هذه كلها خاصة بالاتحاد الأقنومي بالرب الواحد الذي لا ينقسم؛ لأن الانقسام هو مأساة الخطية والموت، وكلاهما الداء الذي جاء من أجله المخلص لكي يقدم الشفاء منه والتجديد.

٢- سبق الرب وأعلن مجده قبل الصلب لكي يؤكد للتلاميذ أنهم سوف يشاهدون مجد قيامته ولن يذوقوا الموت حتى يروا ملكوت الله آتياً بقوة .. جاء الملكوت في التجلي وفي الصلب وفي القيامة وفي الصعود .. فهو آتٍ دائماً حسب قدرتنا اللغوية على التعبير، مستعلنٌ مسبقاً لكي نراه كاملاً في يوم بهاء مجد الابن الوحيد.

- جاء متجسداً في تواضع لأجلنا ..

- سيجيئ متجسداً في مجد لكي يعطي لنا مجده (يوحنا ١٧: ٢٢).

- مُسِح في الأردن لأجلنا لكي ننال مسحته (١يوحنا ٢: ٢٠، ٢٧).

- صُلِب لكي يبيد موتنا نحن، ولكي نُصلب معه ونقوم لحياة عدم موت.

- قام من الأموات لكي يعطي لنا قيامة.

- المحور هو نحن، لا الزمان.

- المركز هو احتياجات الإنسانية، لا ترتيب الأحداث.

- الهدف هو الخلاص الأبدي.

مناجاة

- على جبل طابور سطع مجدك

- قبل موتك وصلبك

- الصليب خزي وعار عند الهالكين

- هو موت القوي في أشد حالات الضعف

- بالضعف غلبت ما لا يُغلب بالقوة

- سحقت الموت

- كان مجدك في كيانك

- يشرق حينما تريد

- أشرق حتى على الجلجثة

- عندما فاض نهر غفران

- جرف كل خطايا البشر

- أشرقت المحبة من القبر

- لأنك لم تترك جسدك للانحلال

- أحببتنا وأعطيت كل شيء حتى جسدك ودمك

- وعند الكأس، وفي صينية القربان، تتجلى

- عطية الحياة التي لا تموت

أمانة اللص[٥٤]

رسالة إلى الأخ مينا قليني

أسعدتني كثيراً روح الكنيسة الأرثوذكسية في رسالتك. أتمنى أن يكون لدينا رؤية موضوعية تسود على التبعية للأشخاص، وبريق الأسماء، لا أن يكون لدينا أقلام مأجورة تقطع ما تشاء من السياق لخدمة السيد الذي يدفع الأجرة الأكبر.

على أن هناك ألمٌ دفين يعرفه الذين تخصصوا في دراسة التاريخ واللغات القديمة واللاهوت وتاريخ العقائد. فنحن لدينا مشكلة عمرها لا يقل عن ألف سنة، منذ أن صارت اللغة العربية وحدها هي لغة التأليف واللاهوت في كنيسة مصر. فمع اللغة دخلت مفردات قرآنية في الكتابات المسيحية، وكانت البداية ترجمة الأسفار المقدسة، لا سيما العهد الجديد إلى اللغة العربية مع نهاية القرن الثامن، وهي الترجمة الأقدم التي نشرها المستشرق هارفي ستال H. Staal وأشرف عليها أستاذنا العظيم الدكتور عزيز سوريال عطية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، لا تعرف المسيحية مطلقاً كلمة "التوبة"، فهي من الفعل "تاب"، وتابَ إِلى اللّهِ يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إِلى الطاعةِ. وقبل أن يصرخ صوت الجهل، علينا أن نذكِّر بأن العهد الجديد لم يُكتب باللغة العربية، بل باليونانية، ثم وصلنا في ترجمة قبطية ربما في بداية القرن الثاني، وربما قبل ذلك – هذا خلاف تاريخي، ليس هنا مجال حسمه.

التوبة حسب يونانية العهد الجديد هي Μετάνοία وهي تعني تغيير الفكر والقلب، وقد ورد الفعل اليوناني في العهد الجديد على الأقل ٢٠ مرة، وعلى لسان الرب نفسه، وصار من الشائع أن نقول عربياً: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات" (مت ٤: ١٧)، بينما المقصود هو تغيَّروا لأن الملكوت أصبح عندكم، وهو ما يعنيه الرب بكلمة "اقترب"، لأن الاقتراب هنا ليس اقتراباً جغرافياً أو

(٥٤) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٧ نوفمبر ٢٠١٣.

زمنياً، بل هو الإشارة إلى الرب نفسه. كذلك أصبح شائعاً أن نقول: "توبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر ١: ١٥)؛ لأن البشارة أو الخبر السار هو ضد كل ما يقال عن التوبة في العهد القديم – لاحظ أن كلمة التوبة غير معروفة في اللغة العبرانية.

ومن هنا يظهر لنا أن "أمانة اللص" والتي تقرأ في يوم الجمعة الكبيرة، والتي تقول: "بأمانته سرق ملكوت السموات وفردوس النعيم. ... وبكلمتك استحققت النعمة .... ولسانك الحسن النطق الذي به تأهَّلت بالحقيقة لملكوت السموات ... اعترفت بالمسيح المصلوب بالجسد ... بكلمة واحدة قلتها للرب أرسلك إلى الفردوس ... **اللصُ آمَنَ**". أقول إن ما يظهر لنا من نص "أمانة اللص"، هو أن التشديد هنا على **الإيمان**، أمَّا كل حديث عن **توبة اللص**، فأقل ما يقال عنه إنه نوعٌ من خداع البصر، وهو حديثٌ بلا جدوى؛ لأنه كان معلقاً على الصليب ومات.

والحقيقة أن هذا النص يُظهر ما لدينا ونعانيه –بخصوص هذا الموضوع– من عدة مشكلات:

أولاً: يبدو أننا لم ننتبه إلى أن كلمات الترنيمة لم تذكر "**التوبة**"، ولكن ذكرت "**الإيمان**"، وهو المقصود من كلمة "**أمانة**"؛ لأن هذه الكلمة وردت إلينا من محاولات الترجمة إلى اللغة العربية بعد القرن العاشر، حتى أن قانون الإيمان يُسمى في كل كتب الخدمة بـ "الأمانة". إذن هنا التركيز على إيمان اللص.

ثانياً: يبدو أننا لم ننتبه إلى أننا لا نرث ملكوت السموات بالتوبة، بل بالإيمان بيسوع المسيح، فالتوبة ليست هي البديل للإيمان، ولا هي جواز السفر إلى الملكوت؛ لأن الملكوت هو عطية الله. أمَّا الـ "Μετάνοία" أو تغيير الفكر أو القلب، فهو انفتاح الحياة الداخلية –التي تُسمى قبطياً "**ϩⲏⲧ**"، أي القلب– على ما يقدمه الآب في يسوع المسيح، وهو ليس محل مقايضة أو مبادلة، بل هو الدخول في حياة جديدة.

ثالثاً: نحن لم ندرس بإمعان كتاب مرقس المتوحد: "ضد الذين يظنون أنهم بالأعمال الصالحة يرثون ملكوت الله"، وهو من مؤلفات القرن الرابع[٥٥].

(٥٥) تم ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونُشِر في بيروت ضمن منشورات النور.

فالإيمان هو تجديد الحياة لأنه اختيار لِما هو مُغاير من سلوك.

رابعاً: يبدو أننا وقد تأسلمنا، أخذنا مصطلحات القرآن والفقه الإسلامي واستخدمناها في شرح العقائد، وهذا ما نراه عند الكل، حيث تحول نص الكتاب المقدس إلى "آيات"، بينما كلمة "آية" هي خاصة بالقرآن وحده باعتباره تنزيل. ومن الجدير بالذكر أن هذا الاستعمال لم يكن لدينا حتى في العصر الوسيط، ولكنه دخل إلى لغتنا المعاصرة مع حركة الإرساليات الغربية، وقد نقلنا عنهم دون تمييز.

أخيراً: لقد ضاع منا كل ما يمكن أن يُوصَف باسم "النعمة"، وتدليلاً على ذلك أرجو منك أن تحاول أنت –كقارئ مجتهد– أن تقدم لي دراسة –غير ما ورد عند الآب متى المسكين– عن النعمة في السنوات الـ ٤٠ الأخيرة.

أعتقد أنك لن تجد سوى الفراغ وانعدام الرؤيا.

لقد جاء هذا العصر بتقسم الكنيسة إلى شيع وأحزاب. أنت مع أو ضد، واختفت الكنيسة جسد المسيح الواحد، بل نالت كتابات الآب متى المسكين عن الكنيسة هجوماً افتقر –أحياناً– إلى الأدب الذي يجب أن يتميز به المسيحي.

ثم ماذا نقول عن عصرٍ حلَّت فيه التوبة محل المسيح، وحلَّ فيه الطقس محل العقيدة، وحلَّ فيه الاجتهاد الشخصي محل التسليم الكنسي، وأخذ بعض الإكليروس مكان المسيح رب المجد نفسه، واكتفوا بأن جعلوه ثمناً يُقدَّم للآب، أو محرقة تحترق بنار العدل الإلهي، كما جعلوا خشبة الصليب هي حطب المحرقة، وبذلك تم تزييف العهد الجديد، بل والتجديف على ابن الله الذي احترق يوم الصلبوت، ثم صار رماداً.

وتبقى ملاحظة هامة جداً: لا يكفي أن نقول إن عبارةً ما هي خطأ، بل علينا أن نقول ما هو الصواب. ومجرد أخطاء في عبارات –كما ذكرت– فهي لا تكفي مطلقاً للقطع من شركة الكنيسة؛ لأن القطع خاصٌ بإنكار الثالوث، أو ألوهية الرب، أو ألوهية الروح القدس، أو سائر ما ورد في قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني. أمَّا التوسع في أن يشمل "الحرم" كل من نختلف معه، فهو عمل شيطاني بكل ما

تحمله هذه الكلمة من معنى ومن شر؛ لأن الحرم هو اعتداءٌ صريح على عضوٍ في جسد المسيح نفسه، أي الكنيسة، وهو اعتداءٌ على الرب نفسه، لا يشعر به المعتزُ بسلطانٍ استقل به عن صاحب السلطان، الذي أقام الخدام من وحدة الكنيسة لا من أجل تحقيق أطماع شخصية.

وصدقني، لقد تجدد الهجوم عليَّ برسالة تهنئة لقداسة البابا تواضروس الثاني بمناسبة تعيين ثلاثة من الدارسين بالكلية الإكليريكية، فتحولت التهنئة إلى محاولة للنيل من قداسة البابا نفسه، وشملت إلى جواره نيافة الأنبا باخوميوس، وذلك لتصفية حسابات قديمة.

هذا ما آلت إليه الأمور.

خميسُ العهد،
العطاءُ الحرُّ لبذلٍ حقيقيٍّ(٥٦)

لا تعرف الأرثوذكسية ذلك الاسم الغريب الذي وفد مع الإرساليات: "العشاء الأخير"؛ لأن كل قداس هو عشاءُ الرب، فهو الذي يشكر ويبارك ويقدِّس. وهو الذي يوزِّع جسده على كل المؤمنين. فَعَلَ هذا يوم الخميس الكبير، أو خميس العهد. وقد سبق تقديم جسده ودمه للتلاميذ قبل الصلب والقيامة؛ لأن العطاء والبذل هو عطاءٌ شخصي، أي أقنومي (لا داعي للتستر وراء كلمة شخصي للابتعاد عن أقنوم الابن الكلمة المتجسد).

ولأن العطاءَ الشخصي الذي يكون وليد الأحداث، وتتحكم فيه المصادفات وتدابير البشر، لا يكون عطاءً حراً، بل لا يعدو أن يكون محصلة أو نتيجة لهذه الأحداث؛ لذلك سبق الرب وقدَّم ذاته بذاته تقدمةً حرةً في العلية، وعبرَّ عن ذلك بكلمات قوية: "شهوةٌ اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم. لأني أقول لكم إني لا آكل منه بعد حتى يكمُل في ملكوت الله، ثم تناول كأساً .." (لوقا ٢: ١٥-١٧). فقد اشتهى أن يقدِّم ذاته حسب حريته: "لهذا يحبني الآب لأني أبذل ذاتي (أضع ذاتي) لأخذها أيضاً" (يوحنا ١٠: ١٧). أي أنه اشتهى أن يضع محبة الآب في مكانها الصحيح، أي العطاء، مستعلَناً في تقديم الذات، وهكذا وضع ذاته فوق كل الحدود التي نعرفها عن الحياة: "ليس أحد يأخذها مني"، وفوق موانع الموت: "بل أضعها أنا من ذاتي". وقد شرح ذلك على قدر ما نعرف نحن بكلماتٍ نطقها هو تُعلن شخصه، أي أقنومه المتجسد: "لي سلطان أن أضعها". ومعلومٌ أنه ليس لأي إنسان -مهما كان- القدرة على أن يقول: "لي سلطان أن

(٥٦) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٥ إبريل ٢٠١٤.

أضع حياتي"؛ لأن الحياة تُنتزع منَّا رغم إرادتنا. وعندما أضاف الرب: "ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي" (راجع يوحنا ١٠: ١٧-١٨)، فقد أزال كل الحدود التي تقيِّد الحرية.

هنا يخضع الزمان للسلطان الإلهي. وهنا تعبُر المحبةُ كل العوائق؛ لأن البذل الحر، يعود إلى المحبة الحرة. فلا محبة حقيقية بدون حرية.

وبعد قيامته، أكل يسوع مع تلاميذه (أع ١٠ : ٤١)، فقد تم الفصح الحقيقي في الملكوت بعد حلول الروح القدس. فبعد أن أكل التلاميذ وشربوا مع الرب طعاماً يؤكد قيامته، في ضوء كلمات الرب نفسه، كان هناك عشاءٌ للرب بعد القيامة، وإلَّا ما معنى الكلمات: "لا آكل منه حتى يكمُل في ملكوت الله" (لوقا ٢٢: ١٥-١٧)؟ فقد جاء المعزِّي، وأكمل التدبير.

ولذلك، الذين يحاولون وضع يسوع في قفص التاريخ، يفقدون ما قاله الرب نفسه في (يوحنا ١٠: ١٧-١٨)، فسلطان خالق التاريخ هو الذي يُحرك التاريخ.

الخبز -في الآرامية- هو "لخم" (ل خ م)؛ لأن الكلمة الآرامية تعني أيضاً لحم. كما أن الخمر من عصير العنب الأحمر هو "دما" (د م ا)، أي دم. وعلى ذلك، فلا ازدواجية بين الجسد واللحم، ولا بين الدم والخمر. ولكن الجدل الفلسفي أضاع منَّا هيبة وقوة العطاء؛ لأن يسوع يعطي ذاته خبزاً، والخبز حسب كلمات يسوع: "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم" (يوحنا ٦: ٥١)، وحسب الآرامية، الخبزُ = الحياة = جسدي، ولاحظ قوة الكلمات: "الذي أبذله من أجل حياة العالم"؛ لأن العالم لا حياة فيه. ولذلك لا نستغرب -في ارتباطٍ بين الخبز والحياة- أن نقول في مصر عن الخبز: "عيش"!

والبذلُ عطاءٌ لا دخل لخيانة يهوذا، أو كراهية اليهود وبطش الرومان، به، ولا بتقديمه تقدمةً حرةً. والغاية من البذل هنا هو أن يعبر يسوع أكبر مانع، وهو الموت، أي لكي يزيل الموت، فيحيا كل من يأكل هذا الخبز. وبكل يقين يقول الأقنوم: "أنا هو خبز الحياة" (يوحنا ٦: ٣٥)، ويشير إلى الآب كما في (يوحنا ١٠: ١٧-١٨)، فهو خبز الله النازل من السماء، من عند الآب الواهب حياةً سمائيةً للعالم، حياة لا تموت.

ولأن يسوع كان يعلِّم في المجمع بعد مناسبة إشباع الخمسة الآلاف (يوحنا ٦: ١٠)، وقد تزامن ذلك مع عيد فصح اليهود، ومعلومٌ أن الاحتفال بنزول المنْ، كان جانباً هاماً في العيد، لذلك يقول يسوع -لافتاً نظرهم- ولكن بشكل آخر أعظم: "أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء" (يوحنا ٦: ٣٢)، فهو "المنُّ الحقيقي".

يسوعُ هو الواهب، وهو العطية:

علينا أن نتحاشى السقوط في بئر العصر الوسيط، بئر الثنائيات الذي يفصل بين الواهب يسوع، وبين العطية، أي يسوع نفسه. لا يمكن لأحد أن يعطي يسوع إلَّا يسوع نفسه. هو وحده الذي له سلطانٌ أن يُسلِّم ذاته. وفي وحدانية المحبة والشركة مع الآب، يتم استعلان هذا السلطان في الزمان، ولذلك يعبر الأشخاص، لكن يبقى يسوع وحده، صاحب العطية والواهب.

وتمر الأيام والقرون، ولكن يظل يسوع هو "الخبز الحقيقي"؛ لأن الخبز الذي هو من ثمار الأرض يُشبع الجسد، ولكن "الخبز الحقيقي" السمائي يعطي الروح حياة، وهو لا ينفذ؛ لأن الروح حياةٌ معلَنةٌ بالكلمة: "الكلام الذي أتكلم به هو روح وحياة" (يوحنا ٦: ١٣)، فالروح يُحيي (يوحنا ٦: ٦٣)، ولكن الاستعلان بالكلمة ليس بديلاً عن "الخبز الحقيقي"؛ لأن هذه هي ثنائية العصر الوسيط التي دخلت لاهوت عصر الإصلاح، ولا زالت ترتِّل في الاجتماعات.

يسوع، وكلام يسوع هو حياة؛ لأن "يسوع هو الحياة والقيامة"، فكلام يسوع ليس صوتاً مثل أصواتنا، بل هو كلام ابن الله النابع من الحياة، ومن سلطان الخالق. وما يأتي من سلطان الخالق، وحياة الخالق الكلمة ابن الله، يهب الحياة. قال أبونا فليمون المقاري في إحدى المرات: "قل لعازر هلم خارجاً"، وشوف كام واحد هيقوم من الموت ويطلع من القبر. ولكن يسوع لو قال هذا مرة واحدة، فالموت يهرب.

حقاً "الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة"؛ لأنه آتٍ من الروح، وهو يفوق كلام الروح الذي أعطاه الروح للأنبياء؛ لأنه كلام يعطي الحياة، وليس للنبوة. كلام يسوع يحمل قوة وحياة يسوع، أمَّا كلامنا نحن، فهو لا يحمل إلَّا ما يجود به الروح من استنارة.

يسوعُ في كل قداسٍ

كمالُ السرِّ هو ما يعلِنه الترتيب الكنسي، حتى عندما يحذف بعض عبارات من قانون الإيمان وصلاة الصلح -في قداس الخميس الكبير- مؤكِّداً في نفس الترتيب، أن هذا هو جسد ودم عمانوئيل إلهنا.

وحتى لا نفقد الوحدة السرية التي تجمع ترتيب الخلاص أو الايكونوميا؛ فإن الخميس الكبير وجمعة الصلبوت والسبت العظيم، أي سبت النور، وأحد القيامة، وإن بدت لنا أحداثٌ متعاقبة، إلَّا أن الشخصَ أو الأقنوم واحدٌ، وهو يسوع رب المجد والحياة. هذا الترتيب ضروري، ولكن الجسد والدم واحد؛ لأن يسوع لا يمكن أن ينقسم.

هو يأتي في كل قداس لكي يوزِّع حياته علينا. يُوزَّعُ حملُ الله ولا يُستهلَك. يؤكل ولا ينتهي. يُعطى لكي يبقى فينا. يُبذَل لكي يحرِّر. يقدَّم لكي تدوم المحبة.

يسوعُ يا حمل الله، يا مَن نقلتَ عنَّا الموتَ والدينونة، انقل فكرنا المقيَّد بالموت وبالزمان إلى ما هو فوق الموت، أي الحياة، وإلى ما هو فوق الزمان، أي تدبير محبتك الأزلية السابقة على خلق العالم (أفسس ١: ٣). لك المجد الدائم إلى الأبد آمين.

الصليب والمصلوب،
وقفةٌ على الجلجثة(٥٧)

١– أسألُ في دهشةٍ لا أجدُ لها تفسيراً، إلَّا محبتُكَ للخطاة: لماذا صُلِبتَ بين لصين؟

أراد الرومان واليهود تحقيرَكَ، ولكنك من وراء الزمان، وحسب التدبير الأزلي، كنتَ ترقبُ ذلك اليوم، واخترتَ أن تدبرِّ خلاص العالم، وأن تموت بين أحقر البشر؛ لأنك لأجل هؤلاءِ أتيتَ يا محب الإنسان الضائع والفاشل والزاني والزانية والقاتل والمجدِّف والمرائي، هؤلاء كانوا هناك في عصابة الرومان واليهود.

وغفرت للذين جدَّفوا عليك وصلبوك. ولكنك عندما طلبت الغفران من الآب؛ أعلنت أنك الوسيط والمصالِح: "يا ابتاه أغفر لهم"؛ لأنهم بجهلٍ صنعوا تدبير الشرِّ الذي تحول إلى تدبير خلاصٍ للإنسانية.

٢– تحدَّثتَ عن "حَملِ الصليبِ" قبل أن تُصلبَ، وكنت تراه قبل تجسدكَ. كان الألم الروحي أعظم من آلام الجسد. سبقه رفضُ الذين جئتَ لأجلهم "خراف بيت اسرائيل" الذين جئت لكي تعطي لهم "خبز البنين". ومن داخل جماعتك ذاتها، هرب واحدٌ عريانٌ خوفاً، وباعكَ آخر، وأنكرك أكثرهم حماسةً، ذلك المندفع بطرس الذي لعنكَ، وهو يراك تحاكَم؛ لأنه كان غارقاً في وهم القوة، تلك التي سمع عنها في شمشون وداود، ولم يميِّز القوة الخالقة الحانية التي تقبل الألم، وتدخل عرين الموت لكي تقتل الموت.

٣– لم أعرف آلام دق المسامير في الجسد، ولكني وعرفت آلام المرض الطويل. لكن ألم المسامير لم يمنعك من أن ترى أُمَكَ الحنون، وأن تتركها في رعاية "التلميذ الذي تحبه". لم يغلق الألمُ قلبكَ ولم يحاصرك.

(٥٧) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ابريل ٢٠١٤.

حقاً يا يسوع، لم تعش لنفسك. أنت ابن الإنسان الوحيد الذي لم يعش لنفسه.

٤- في تدبير الخلاص لم تخجل من أن تقول: "أنا عطشان". ولم تحاول أن تخفي خوفك وجزعك في البستان. كان الموتُ ضد طبعك، فقد صرعتَ الموتَ عند قبر لعازر، وطردته من ابن الأرملة، كان حنانك أقوى من الموت.

ولكنك الآن أردتَ أن تسير في "وادي ظل الموت"، وأن ترى ظلام الحياة، وأنت الحياة .. هذا ضدك .. كنت كمن قَبِلَ طعاماً لا يُحبه، فأصابه بوجعٍ هائلٍ .. وهكذا سال عَرَقُكَ في البستان.

تسأل ذلك السؤال الذي تردد في المزامير: "لماذا"؟ لماذا تتآمر الشعوب (مز ٢: ١)؟ ولماذا يختفي الرب صانع العجائب في يوم الضيق (مز ١٠: ١-٢)؟ ولكن بعدها يصرخ داود في ذات المزمور: قُم يا رب (١٠: ١٢ وما بعده).

في الهيكل كانوا ينشدون مزمور (١٣) "حتى متى يا رب تحجب وجهك"، وهو صراخ المساكين. "إلى متى يرتفع عدوي عليَّ، أنظر واستجب لي يا رب إلهي. أنر عيني لئلا أنام نوم الموت" (١٣: ٢-٣)، ولكن المزمور ينتهي بالفرح: "أغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ" (مز ١٣: ٦). ويرنم داود مزمور خلاص، يوم أنقذته يا رب من يد شاول: "اكتنفتني حبال الموت وسيول الهلاك أفزعتني. حبال الهاوية حاقت بي. أشراك الموت انتشبت بي" (مز ١٨: ٤-٥)، ولكن المزمور يبدأ "أُحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي إلهي صخرتي به أحتمي". وفي صرخةٍ أخرى (مزمور ٢٦) يصرخ داود "أقضِ لي يا رب بكمالي"، ثم "افدني وارحمني" (٢٦: ١-١١).

لماذا صرخت وقلت: إلهي إلهي لماذا تركتني؟

قبل ذلك علينا أن نفهم مشاعر القلب المحاصَر بالهموم وبالأحزان، والوحيد، ومع ذلك فهو يخاطب الله "أقول لله صخرتي"، ولكنه يقول بعدها مباشرةً: "لماذا نسيتني" (٤٢: ٩)؟

لمن تركتني؟

في العبرانية أداة الاستفهام التي تبدأ بها تلك الصرخة، هي مثل العربية: "ل م ه" (لمه – أي "لمن"، وليس "لماذا" كما هي في العربية). وأداة الاستفهام "لماذا" وردت (لمه) في تك ٢٥: ٣٢ – تك ٣٢: ٢٩ – تك ٣٣: ١٥ – أيوب ٩: ٢٩ – أرميا ٦: ٢٠ – أرميا ٢٠: ١٨ – عاموس ٥: ١٨.

"لمه" تعني "لمن تركتني"؛ لأن الفعل "ص و ب خ" هو سؤال عن الرعاية: لمن تركتني يرعاني، كما في (تك ٣٩: ٦ – أيوب ٣٩: ١١ – أو مثل ارميا ٤٩: ١١) "اترك أيتامك أنا أحييهم، أراملك عليَّ يتوكلن"، وهو سؤال الرب للنبي أرميا.

لمن تُرك المسيحُ على الصليب؟ وهو سؤالٌ ورد في افتتاحية مزمور ٢٢، ومن خلال المزامير يجب أن نفهم أن الذي يصرخ يقول:

"إلهي في النهار أدعو فلا تستجيب.

في الليل أدعو فلا هدوء لي".

فهل تركه الله؟

أبداً. لأنه بعد ذلك يقول: "أنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل. عليك اتكل آباؤنا فنجيتهم".

ماذا يحدث حول الصليب؟ الاستهزاء والشتائم، ثم سخرية الواقفين: "اتكلَ على الرب فلينجيه. لينقذه لأنه سُرَّ به" (مز ٢٢: ٣-٨).

ولكن بعد هذا الوصف الدرامي لما يحدث من استهزاء وسخرية، يقول المزمور: "لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين. ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع" (٢٢: ٢٤). وبقية المزمور هي عن استعلان الرب في المصلوب والمحتَقَر "قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب ...الذرية تتعبد له يخبر عن الرب الجيل الآتي" (مز ٢٢: ٣-٣١).

لمن تُرِكَ المصلوبُ اليوم؟

لرعاةٍ لا يخدمون الإنجيل، بل يسعون وراء السلطة والمال .. لكل مَن تحول من راعٍ إلى جزارٍ يذبح الأبرياء .. للقتلة الذين يقتلون مَن يختلف معهم على حقٍ معلَنٍ في الأسفار، ويظل القاتل يلبس ملابس مزيَّنةٍ بالصلبان.

لا زلتَ تصرخُ يا يسوع ذات الصرخة، عندما يقدَّم جسدكَ ودمكَ لمن لا يعرف المحبة ولا الغفران، ولمن يكذب ويدلِّس ويمسك بالكأس ويقول "إن هذا هو دمك الذي يعطى لمغفرة الخطايا".

ألم تكن هذه الصرخة الآتية من مزامير إسرائيل هي صرختك النبوية؛ لأنك نبيٌّ وملكٌ وكاهنٌ، وكنتَ ترى "أحاطت بي كلاب، جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يدي ورجلي" (٢٢: ١٦)؟

اليوم يقف معك على الجلجثة في وادي النيل الذين فقدوا بيوتهم، والذين قُتلوا في الشوارع، وهُتِكت أعراضهم، واحترقت كنائسهم. لا زالت الجلجثة تطل علينا. ولا زال قبر الكراهية يفتح فمه، ولكنك أيها المصلوب في شوارعنا، وفي قرى مصر ومدنها، وفي الأحاديث حيث يجدِّفُ عليك الذين يكرهون المحبةَ، ويشتمون الصليب، وهو موت البريء وعلامة الغفران.

لقد أصبحنا نقرأ أحداث الخميس والجمعة في تاريخنا المعاصر، ولكن رجاء القيامة آتٍ؛ لأن الجلجثة لم تكن النهاية؛ لأن المحبة هي الحياة التي لا تموت، وإن صُلبت فهي تقوم حيةً.

إفرامية الصلبوت يوم المحبة الباذلة
للفاهمين فقط[٥٨]

– ١ –

ليتكَ تبقى أيقونة حياتي
تذوبُ الحياةُ القديمة
حياةُ آدم الأول
وتصبحُ أنت في صلبكَ
ينبوعَ المحبةِ الباذلة
معطاءةٌ بغير حدود
بلا مراسم
بدون طقوس،
فأنت الطقس (الترتيب)
وترتيب ذلك
التخلّي عن ذاتك
لم تَعِش لنفسك قط
فكنت حراً
لكي تزرع ذات الحرية

(٥٨) إهداءٌ إلى أرواحٍ أنارت حياتنا: مينا المتوحد – متى المسكين – فليمون المقاري، نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في إبريل ٢٠١٤.

فينا
أوجاعُ ذاتي
ليست سوى
تلك الحياة
تهربُ من العطاء
تخافُ المحبة
تحوِّلُ الصليبَ إلى فكرةٍ
وصارت أيها المصلوب
مقالاً مطبوعاً
أيقونةً نحملها
ندفنها بالورود
ونبكي مثل بنات اورشليم
الجاهلات.

– ٢ –

لكنني أريد أن أدفِن فيكَ
كلَّ ما أعرف
لكي تبقى المعرفةُ الحق
ناهضةٌ بنور محبتك
أدخلُ معكَ قبرَكَ
حيث دُفن آدم
وليدُ الأرض
لكي أنهض معك

حراً

فأصير سليلَ السماءِ

يتحول كياني فيك

وبك دائماً

إلى مجدك

بالوجع

بعذاب ترك الذات.

-٣-

أيها الحيُّ

غالبُ الموت

يومُ الصلبوتِ

هو الحياةُ بأسرها

نموت معك

كل يوم

نموت بمحبتك

لكي نقوم.

-٤-

يقولون لحن الجلجثة

يبكون

يشربون المر

آه يا سيدي

المرُّ الحقيقي

هو الأنانية

قاتلةُ المحبة

قابرةُ العطاء

في قبر الذات

التي تحصَّنت في خلودٍ

اخترعته

من الذات وإلى الذات

مثل بئر يضخ الماء

فيعود إليه

مياهً آسنة

***

الجلجثةُ يا يسوعُ

في القلبِ

على اليمين

إرادةٌ تطلبك

على اليسار

فكرٌ يسخر من تعليمك

يظن أن الخلاصَ قوةٌ

خَلِّص يا يسوعُ مَن يعبد القوة

أوثانٌ تلبس ملابس خدمتك

ويسجد لها عابدي الأوثان

كراهيةٌ وبغضة تحت تاج الأسقفية

تعنُّتٌ واستبدادٌ من تحت الصليب

مَن لَبِسَ الصليب جَحَدَ العالم[٥٩]

من تزيَّن بالصليب جَحَدَ المحبة[٦٠]

الصليبُ بذلٌ

انكسارُ كل قوةٍ

لكي تبقى قوة جحد الذات

وحدها

– ٥ –

وندفن الأيقونةَ على المذبح

لأن الاسم وحده يكفي

ذبحٌ تمَّ قبل الزمان

استُعلِن في العلية

وعلى الجلجثة

وفي كل مرة يأتي يسوع

ليغسل خاطئاً بدمه،

يذبحُ مجدَه

ويخلي ذاته لكي يخدم

الساقطين

ويحمل معهم النير

آه يا سيد متى ندفن

في يوم الصلبوت

السنوات الماضية كلها؟

(٥٩) عبارة القمص مينا المتوحد.

(٦٠) عبارة أبونا فليمون المقاري.

ليشرق نهار قيامتنا،

ذلك النهار الذي ترقبه

وتحيا له

تحرك القلوب

والضمائر

لعلها تفيق

من سكرة الأنانية.

إفرامية من سبت لعازر إلى السبت الكبير
للفاهمين فقط[٦١]

– ١ –

رقدتَ في القبرِ بجراحِ الصليبِ
انحدرتْ نفسُكَ بقوةِ لاهوتكَ
إلى الجحيم (يو ١٠: ١٧ – ١٨)
سكنَ جسدُكَ سكونُ الأمواتِ
لم يقترب منه الفساد؛
فقد كان ينبوعَ حياةٍ لِمَن لمسه
لمستْ المرأةُ نازفةُ الدمِ
هُدبَ ثوبه
شُفِيَت من نزيف الحياة
في الجحيمِ تقابلتَ مع مَن تحب
آدم وإبراهيم ويعقوب واسحق
حواء وسارة وراحيل وليئة
اجتمع حولك القضاةُ والملوك
فقد أنار برقُ ألوهيتك
الذي سطعَ من نفسِكَ الإنسانية
ظلامَ الهاويةِ

(٦١) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في إبريل ٢٠١٤.

من الجحيم جئتَ بلعازر
رأيته في ظلام الشيئول (الهاوية في العبرانية)
عرفتَ أين ستذهب بعد أيام
بكيتَ لمَّا غطَّى الظلامُ صديقكَ
رأيته مع السابقين
هم لم يعاينوك متجسداً
لكن لعازر أضافكَ
أكل معكَ
تحدَّث معكَ
آمن بكَ
فكيف يبقى في ظلام الجحيم؟

– ٢ –

كلُّ شيءٍ حسب التدبير
يسيرُ
علاماتُ الخلاصِ تسبق
استعلانات أساس الملكوت
حوَّلتَ الماءَ خمراً
والخبزُ يتحول إلى جسدكَ
فتَّحتَ أعينَ العميانِ
وانفتحتْ عيني التلميذين
الغبيين وبطيئي الفهم (لو ٢٤: ٣١)
ليؤمنا بالقيامةِ

ترى نثنائيل تحت التينة (يو ١: ٤٨)
لأنك صرتَ سُلَّم السماءِ
ورأيتَ الآتينَ إليك
قبل أن تُولدَ في الجسد
لأنك اخترتنا قبل خلق العالم (أف ١: ٣)
وها يوم انتصارِكَ
عندما دخلتَ أورشليم
جالساً على عرشِ
التسبيحِ
لأنك ستدخلَ السمائيةَ،
أُمنا الحقيقية (غلا ٤: ٢٦)
التي لم يدخلها أحدٌ
كانت ستبقى عاقراً؛
لأن فمَ الجحيمِ
كان مفتوحاً

–٣–

دخلتَ أورشليم يوم الأحد
في يوم الجمعة
فتَّح الزلزالُ القبورَ
قامت أجسادُ القديسين
وخرجوا من القبور
بعد قيامتك (مت ٢٧: ٥٣)

ولأنك البكرُ؛ دخلوا أورشليم
بعد قيامتكَ
سبقتَ ورسمتَ كلَّ شيءٍ
رسمتَ اغتسالَ النفوسِ
بغسلِ الأرجلِ
استنارت النفوسُ
بشفاء وردِّ البصرِ للعميان
رفعتَ حكمَ الشريعةِ
عندما أطلقتَ سراحَ التي أُمسكت في الفعل (يو ٨: ٢ – ١١)
دُستَ الموتَ في الآخرين
ابن الأرملة ولعازر
لكي تدوسَه في جسدكَ
فلا يبقى خاضعاً للموتِ
ويكمُل بوجع الصليبِ
الخلقُ الجديدُ
وظلَّتْ الجحيمُ مكانَ الأسرى
جئتَ لتحرر الأحياءَ من الأسرى
لكن الذين في سلاسلِ الظلامِ
انتظروكَ
عبرتَ بالموت حاجز الموت
لم يعبُره إنسانٌ من قبل
فأنرتَ الجحيمَ ببرقِ لاهوتكَ

– ٤ –

يا ملكَ القلوبِ
المتوَّج بتاجِ المحبةِ
غَرَسَ الجنودُ ذلك الإكليل
على رأسكَ
ليعرف الكلَّ أن المحبةَ
قاسيةٌ على الذات
للبذلِ أشواكٌ
وأنتَ متوَّجٌ بشوكِ المحبةِ
مَن آمن بكَ؛ صار عضواً في جسدكَ
تغسله وتمسحه بالروح
تغذِّيه بجسدِكَ ودمكَ
تُصارِعُ معه عنادَ الذاتِ
وسطوةَ ظلمةِ الكراهيةِ
باركتَ الرحمَ بمولدكَ
المياهَ عندما اعتَمَدتَ
الهواءُ والريحُ سمعَ صوتكَ
ولم تحرم الحيوان
من بركة التدبير
فدخلتَ راكباً جحشاً
لأنك خالقُ الكلِّ
جمعتَ الكلَّ حولكَ
الرعاةَ والحكماء

جامعي الضرائب

والزناة

صيادي الأسماك

وتلميذ التوراة

شاول

***

القلوبُ يا سيدي جحيمٌ

تنزل إليها

ببشارة الحياة

لكي تقيم موتها.

لك القوة والمجد والبركة والعزة[٦٢]

– ١ –

لكَ القوةُ في المحبة

قوةُ الشيطانِ بلا محبة

لكَ المجدُ في تواضعكَ

مجدُنا المزيَّف سريع العطب

أمَّا مجدُك فأبديٌّ

لا تحفظه لذاتك

بل تعطيه لغيرك (يو ١٧: ٢٢)

ليس للإنسان مجدٌ

(٦٢) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في إبريل ٢٠١٤.

مجدُ الإنسانِ كَعُشبِ الحقلِ
لكَ البركة
لأنك الكرمة التي أخصَبَتْ
امتدت فروعُها
من أورشليم واليهودية
إلى أقاصي الأرض
لكَ العزةُ
في ميلادِكَ؛
لأن الروح القدس
أعطاك الجسدَ
لكَ العزةُ
يومَ مُسِحتَ؛
لأنك تمسحُ
الآتين إليكَ

***

لكَ القوةُ في صَلبِكَ
لأنك غلبتَ الموتَ
لكَ المجدُ في نزولكَ إلى الجحيم؛
لأنك حررت المأسورينَ
لكَ البركةُ في قيامتكَ
لأن قوة حياتك أقامت المائتين
لكَ العزةُ في عطائكَ
لأنكَ منحتَ كلَّ ما لديك، حتى جسدك
ودمك

-٢-

لكَ القوةُ لأنك تدخل قلوب العُتاةِ
من لصوصٍ وقتلةٍ وزناة
وتجعلهم أبناءَ الآبِ
الأحرارِ
لكَ المجدُ؛ لأنك تجمع ولا تفرِّق
تسودُ بالمحبةِ ولا تهدم
توحِّدُ بالعطاء؛ فتحرر
لكَ البركةُ؛ لأن حياتك لم تعد ملكاً لك
وحدكَ
بل شاركتَ الكلَّ فيها
فنال الكلُّ نصيباً منك
ولا زالت هناك أنصبةٌ
في انتظار الآتين بعدنا

-٣-

لكَ القوةُ؛ لأن نبتةً لكَ في مصر
لم تَمُتْ
عَجَزَ الموتُ عنها
وقفَ عند أبوابها
لكَ المجدُ في النُّسَّاك
والعذارى والديارات
وكنائسَ دُشِّنت بالدم

لكَ البركةُ؛ لأن أم الشهداء
لا زالت تشهد
لكَ العزةُ؛ لأن محبتك
لا تزال تصطاد سمكاً
في شِباك الإنجيل
في نيل مصر
زرته وشربت منه

***

اللِّصُ يتحدى الأصولية[٦٣]

يا سارقَ الفردوسِ
بالأمانةِ دخلتَ
أيُّ تناقضٍ أعظمُ من هذا!!
لن تنلْ معموديةً
ولا مِسحة الميرون
ولا أكلتَ خبزَ الخلودِ
كان في قلبكَ حبةُ خردلٍ
رآها المصلوبُ معكَ
عَرِفَ ربُّ الزمانِ
أنْ لا زمانَ لكَ
لكي تنمو حبةُ الخردل
فأعطاك أن تدخل الفردوسَ معه
هل سبقتَ الأنبياء والبطاركة؟
كان داود زانياً وقاتلاً
ومثلك سمع البشارةَ في الجحيمِ
لا أدري مَن سبقَ الآخر
أنت أيها اللص، أم قديسي العهد القديم؟
تدخل مع أشعياء وحزقيال وأرميا!

(٦٣) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في إبريل ٢٠١٤.

عجبي على ما يبدو أمام العقلاء تناقضاً!
وفي نهر المحبةِ المحييةِ لا تناقض
الكلُّ موتى،
وهبةُ الحياةِ مجاناً تُعطى
أذكرني يا ربُّ كما ذكرت اللص اليمين
عبارةٌ سمعتها من المتوحِّد(٦٤)
كيف تذكرُ لصّاً،
ليس له ما يقدِّمه؟
عريانٌ مثل آدم بعد سقوطه
لم يسمع تعليمكَ
لم يراك على طابور
ولا شاهدَ الرعاةَ
ربما سمعَ ما يردده الناسُ عنكَ
ولكن أين وجدكَ؟
مقيَّداً بالمساميرِ
ومصلوباً
مجرد وجودك يا يسوع
حضورُكَ يخترق ظلمة القلبِ
متى جئت في ملكوتكَ
لكي تملك
وأعطيت اللص أن يملك
في الفردوس

(٦٤) القمص مينا المتوحد، والعبارة من صلاة الساعة التاسعة.

مع ملوك إسرائيل

وسيأتي معك في مجدك

ليقف شاهداً

أمام العالم

أنك لست مخلِّصاً

وفقاً لنظام وأفكار

بل بالمحبة؛

لأن مَن لا يحب

لا يعرف الله (١ يو ٤: ٨).

كل عام وأنتم بخير

الألسنة السبعة للمصلوب[٦٥]

تكلَّم المصلوبُ بسبعةِ ألسنةٍ،
والمساميرُ في جسده

***

* لسانُ الغفران
يغفرُ لمن صَلَبَه

***

* لسانُ المصالحة مع لصٍّ،
فقد رأى أن بذرة الحياة فيه
لن تنمو إلَّا في الفردوس؛
فترك له الماضي كله،
من أجل حياة الأبد.

***

* لسانٌ لا يخجل من احتياجات الجسد:
أنا عطشانٌ
لعل الصالبين يدركون أن نارَ الوجعِ
تحتاج إلى ماءٍ يرطِّبُ القلبَ الذي يحترق.

***

(٦٥) نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في إبريل ٢٠١٤.

* لسانُ محبة الأم

لسانٌ خاصٌّ يعرف كرامة الرَّحِم، الباب الذي منه جاء إلى العالم

وهو لسانُ الاحترام والاهتمام بمن أعطت له الحياة الإنسانية

محبةُ المصلوب للإنسانية، لم تدعه يترك أُمه بلا رعاية.

***

* لسانٌ ينطق بما تعجز عنه الأنام:

اليومَ أنتْ معي في الفردوس،

رؤيةٌ تعبرُ حدودَ الوجع

بصرُ المحبة الذي لا يجد في الحدود موانع

مصيري ومصيرُكَ واحدٌ

اليوم نحن معاً في الفردوس.

***

* لسانٌ يعترف بكمال خدمته:

قد أكملتُ السعي

تعلَّمها بولس من معلِّم الحق

اليوم عُلِّقَتْ كل أحكام الدينونة

مع الموت

حُكمُ الصليب الواحد

سدَّ فمَ الهاوية

مزَّقَ صكَّ الدين

صالحَ الأعداء

قتَلَ الموت

ذَبَحَ قوة الشيطان

فتَحَ الفردوسَ للخطاة

سبى الهاوية

أطلقَ السجناء

التابعين في الظلام.

***

* يا أبتاه في يديك أستودع روحي

لمن تركتني يا إلهي

لوحوشٍ في شكل البشر؟

رآها داود في المزمور (٢٢)[٦٦]

لكن الوجع وشماتة الرؤساء

وفرح بيلاطس؛ لأنه صَلَبَ ملكاً

ينافسُ قيصر

وهروب التلاميذ

ما عدا واحداً كان على صدرك ينحني

لا يريد أن يكون بعيداً عنك، حتى بالجسد

ومع صرخة داود في المزمور تدخل صرختك

فقد يهجم علينا الشر بقوة الموت

ولكن حضن الآب مفتوحٌ.

***

يا لسان المصلوب الواحد

---

(٦٦) يجب أن يُترجَم نص مزمور ٢٢: ١ إلى: لمن تركتني؛ لأن هذا هو معنى كلمات المزمور في اللغة الآرامية، أي لهؤلاء المحيطين بي ومن هم حولي كما هو واضح من كلمات المزمور كله.

بلغاتٍ سبع تحدَّثتَ معنا

* لغةُ الغفران النادرة

لا نسمعها إلَّا مع التهديد بالعقاب

لا تاتي إلينا صافيةً مثل لسانك النقي

الذي لم يُهدِّد

* لغةُ المصالحة الغريبة في أرض العداوة

لأنك لم تعرف البغضةَ، وأدخلتَ اللِّصَّ معكَ إلى ميراثك

* لغةُ احترام الجوعى والعطاش والعرايا

الذين أذلَّهم الفقر

نخاف أن نقول إنك صُلِبْتَ عارياً تماماً

لأن صورة عُريك على الصليب

خزيٌ وعارٌ يحطِّم مشاعرنا

* لغةُ الاهتمام بالأسرة وبالأُم بشكلٍ خاص،

فقد جئنا للحياة،

ومن لا يكرم أُمه لم يعرف عمق الولادة الجديدة؛

لأننا من رَحِمِ الروح وُلِدنا ولادةً روحية

ومن لا يحترم الأم، وينحني أمامها

لم يقبل أن يكون انساناً.

* لغةُ الرجاء في المواعيد الصادقة؛ لأنك يا يسوع

جئتَ لنا، ليس بالفردوس وحده، بل بميراث الملكوت

تُقدِّم مع كل وعدٍ، عطيةً، وبالهبة تزرع الرجاء

* لغةُ الاعتراف بأننا فعلنا ما يريده الآب،

وهي ليست لغةٌ نادرةٌ فقط، بل هي غريبةٌ على اللسان وعلى الوجدان.

* لغةُ التسليم المطلق الذي يرى الألم ومؤامرة الأشرار
وعندما يسأل: لمن تركتني، فهو يضيف على الفور
في يديك استودع روحي يا أبتاه.

***

الألسنةُ السبعةُ هي عطايا مسحةٍ واحدةٍ للمواهب السبعة، نتكلم بهذه الألسنة الجديدة لكي يُشرق نور الإنجيل.

ولسانُ روح الحق لا يعطي إلَّا: الغفران والمحبة والمصالحة والاهتمام، وقبول المارقين والأشرار، ولا يُهدِّد، بل هو لسانُ الرجاء لا لسان الحكم. هو روحُ الحق المنبثق من الآب، والذي به نعود إلى الآب. هو وحده قوة التسليم المطلق؛ لأنه من الآب وبه نعود إلى الآب.

لسانُ الاعتراف بالحق؛ لأن روح الحق الرب المحيي ينطق بالحق، ولا يعرف "اللسانين". ليس له باطن وظاهر، فالحق متجسِّدٌ، ولم يعد خفيَّاً.

وحقاً صرخ الرسول: "حاشا لي أن أفتخر إلَّا بصليب ربنا يسوع المسيح"، فقد رفعَ الصليبُ وساطة الشريعة، وجلسَ الغفرانُ على عرش الرحمة، وأنارت المحبةُ السماء والأرض بالسلام الأبدي. وعندما يسكن روح الحق فينا، نحني الرأسَ مع المصلوب، ونُسلِّم الروح والجسد، فقد صُلبنا لكي نحيا، ليس الحياة الأولى الآدمية، بل الحياة الجديدة.

يا لسانَ الحياة المتنوع الواهب كل صلاح، إنَّ لغتك السمائية تعلو على كل ما نعرف، وفوق النطق بحروف وكلمات نحن اخترعناها، لكن نطق المحبة الثالوثية في قلوبنا يعطي لنا الحياة.

حقاً يا رب إننا بنعمة روحك القدوس، سوف نتكلم بألسنةٍ جديدةٍ.

مع المسيح من العلية إلى الجلجثة
ومجد القيامة(٦٧)

ابتهالاتُ قلبٍ

-١-

أشرقَ نورُ محبتِكَ الأزلية في زماننا العتيق لمَّا جلستَ مع تلاميذك وسلَّمتهم حياتك.

ورَسَمتَ يا سيدي التسليمَ بنفسِكَ، فلا سلطانَ لأحدٍ على جسدِكَ ودمِكَ سواكَ.

لقد نظرتَ إلينا قبل خلق الكونِ، وعرفتَ الضعفَ الذي فينا.

من العدم جئنا، فإذا لم تحفظنا نعمتك عُدنا إلى العدم.

رسمتَ لنا العطاء الأقنومي لمحبتكَ المتجسدة، بالخبز والخمر، فلم تعد لعنةُ الأرضِ تمنع عنَّا نعمتك.

من التراب الذي منه خُلِقنا، وهبتَ لنا أن تنمو الحنطةُ وتصير خبزاً.

بالعرق والتعب نأكل الخبزَ.

ووضعتَ عَرَقَ محبتِكَ، وتعبَ انتظارك في عشاءك الفائق، لمَّا أمسكت بالخبز، وبالكلمة التي أقامت الموتى قلت: "هذا هو جسدي".

جسدُكَ الذي وهبَكَ إياه الروحُ القدس من العروس مريم.

---

(٦٧) مقالات نُشِرت متتابعة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في أسبوع الفصح ٢٠١٥.

تُقدِّمه بصوتِكَ المحيي خبزاً للحياة، وقوتاً للخلود.

لم تعد الخِلقة الأولى التي تمَّت في ستةِ أيامٍ، دائرةٌ مغلقةٌ، بل صارت تُقدِّم للخلقة الجديدة عطيةَ الوجود لِترقىَ إلى الحياة الغير الفانية، ولكي يصبح طعامَ الحياةِ بديلاً لطعام الموت.

أكلنا جميعاً من شجرة معرفة الخير والشر، ولكننا لم نأكل من شجرة المحبة؛ ولذلك غرستَ ذاتَكَ شجرةَ محبةٍ تعطي جسدكَ ودمكَ لحياةٍ لا تموت.

عندما سبقَت المعرفةُ الثنائيةُ كلَّ شيءٍ؛ تعذَّر علينا أن نحبَ حتى أنفسنا.

وهكذا جئتَ يا سيدنا بالعطاء الذي يسود بالمحبة؛ لكي تنمو محبتُكَ فينا، شجرةُ محبةٍ وحياةٍ تسبقُ المعرفةَ، فننال من المحبة معرفةً نقيةً من الاحتياجات والشهوات.

-٢-

أنت جالسٌ عند المائدةِ السماوية.

في شوقٍ توِّزعُ حياتَكَ التي لا تموت؛ لأنها هي المحبة غالبة الموت.

لم تنقسم بالعطاء، بل بالعطاء أنت توحِّدُ المنقسمين.

ولم يكن لك -في التدبير- سوى جسدٌ واحدٌ، من الروح القدس والبتول، أخذته.

وحَّدته بلاهوتكَ، فصار هيكلَ المحبةِ عندما اتحد به "ملءُ الألوهةِ". ومن الاتحاد سَرَت حياتُكَ الواحدةُ التي جاءت لتشفي الانقسام.

أنت لا تنقسم. أينما كنت، فأنت الإله المتجسد، في المزود، وفي الأردن، وفي البرية، وفي العلية، والجلجثة والقبر.

يتحركُ جسدُكَ بالإرادة التي لا تعرف إلَّا العطاءَ والرحمة. إرادةٌ واحدةٌ لإرادتين.

خضعَ اللاهوت لاحتياجات الجسد لكي يحوِّل الجسد من الضعف والفساد إلى القوة، ومن الخوف إلى جُرأةِ البذلِ.

وخضعَ الجسدُ إلى اللاهوت، فصار جسداً محيِّياً؛ لأنه جسد الكلمة المحيي واهب الحياة.

-٣-

أنظرُ إليكَ يا عريسَ البيعةِ، وأنت ممسكٌ بالخبزِ، صانعاً ترتيبَ العطاء لكل الدهور: "هذا هو جسدي".

والذين عاينوك في العلية، شاهدوك وأنت تقدِّم. والذين سمعوك تقول: "هذا هو جسدي"، لم يدخلوا في سجالٍ وحوار، بل كانت إطلالات الفصح تمر أمام عيونهم، فأدركوا أن "الحَمَل" الجديد لفصحٍ جديد أبدي، والذي يعبر بنا من الموت إلى القيامة، هو ذلك الجالس معهم.

-٤-

لا ثنائيةَ في العطاءِ، ولا مسافةَ تفصل من يملأ السموات والأرض عن الأحباء.

المحبةُ لا تعرف أيَّ بُعدٍ من أبعاد الزمان. ليس فيها ماضٍ؛ لأنها لا تبدأ من المعرفة، بل من اللقاء. وليس فيها حاضر؛ لأنها لا تعرف للعطاء قيداً. ولا تنظر إلى المستقبل؛ لأنها هي المستقبل.

-٥-

هكذا باليدين، وهما حركةُ الإرادة الإلهية عندكَ، قدَّمتَ ذاتكَ ....

نحن ننسى أنكَ خالقُ الحنطةِ والماء والعنب والأرض وكل الفصول من شتاءٍ إلى ربيع ... ننسى ذلك عندما نسأل: كيف قدَّمتَ ذاتك في العلية؟ وكيف قدَّمت ذاتَكَ على الجلجثة، ولماذا قمت؟ ألم تكن القيامةُ تقدمةَ الغلبةِ؟

أكلنا من شجرة المعرفة، فنظرنا يسوع والخبز. ولكن عندما نأكل من شجرة المحبة، نرى أن يسوع هو الخبز.

الازدواجيةُ نابعةٌ من تسلط الحواس على الفكر. أما الوحدانيةُ، فترفعُ الحواسَ إلى مدارجِ الفكرِ، فيرى ما تعجزُ الحواسُ عن إدراكه.

-٦-

يا يسوع. أنا جالسٌ معكَ في العليةِ، حيث تقدِّمُ في كلِّ يومٍ، حياتَكَ.

المحبةُ لا تكفُّ عن العطاء، إذا كنت تموت، وأنت في شوقٍ أزلي استُعلِن في زماننا المحاط بالموت تعطي ذاتك.

بالكلمة تدخل الفكر.

بالجسد والدم توحِّد كياننا بكيانك.

الفكرُ يظلُّ دائرةً مغلقةً حتى إن كان محور اهتمامه هو أنت وحدك. لكن في عطاء الجسد والدم، أنت كُلُّكَ الألوهة المتجسدة تعطي كيانك، عندئذٍ يكفُّ الفكرُ وتختفي الكلمات.

آهاتُ الشوق الإلهي، شوقُكَ أنت إلينا، وآهاتُ شوقِ القلب الذي يرى العطاء قبل الفكرة، ويشرب من المحبة قبل أن يشرب من ينابيع الفكر، يمُدُّ الكيانُ يده إليك لكي يأكل ثمرة الأرض التي نالت نفحة وهبة حياة، فنالت بداية القيامة قبل يوم مجدك الإلهي.

أكل آدم وحواء وانفتحت أعينهما وعرفا العُريَ.

لكن لـمَّا جلستَ بعد قيامة الحياة مع تلميذي عمواس وقدَّمتَ عطاء المحبة، انفتحت أعينهما وعرفاك. لم يعرفا العُريَ، بل تعريا من عدم الإيمان.

أصبح الأكلُ هبةَ حياةٍ للمائتين، يأكلون لحياةٍ لا تموت.

لـمَّا جئتَ أيها المخلص، أقمت الحياةَ، وصرت الحياةَ بعد غلبة الانفصال بالاتحاد الأقنومي وغلبة الموت على الصليب وقيامة للخلود بقيامتك.

لـمَّا جلستَ في العلية، ورسمت سر التدبير السابق للذبح علانيةً على الجلجثة، أعلنت قبل العلية أنك أنت "الخبز الحي النازل من السماء" من عند الآب. ولـمَّا حلَّ الفصح القديم، قدَّمتَ ذلك الخبز "بإرادتك وحدك وسلطانك"، فصرت أيها المخلص عريسَ البيعةِ في ليلة زواجك السِّرِّي ومخدع اتحاد الإلهي مع عروسٍ مشتتةٍ مذعورة تضم الخائنَ والخائفَ، وتغسل عروسَكَ قبل الاتحاد بها، لعلها تعرفُ من

غسل الأرجلِ، أن المحبةَ ينبوعُ الخدمة الحقيقية.

كنت تعرف العروسَ قبل أن توجد.

يا خالق الكلِّ وفاحص القلوب، وضعتَ محبتَكَ قبل معرفتك لكي تخلِّص الكلَّ.

وحتى بعد أن سلَّمتَ جسدَكَ، لا تزال أدناسُ العروس كما هي. أنت وحدك تعرف كم يهوذا بيننا يأكل معك. يدخله الشيطان؛ لأنه أكل بنفاق، فتحولت العطية إلى حكم، ولمَّا سقط تحت الحكم كان العدو في انتظاره.

المعنى المقصود بين حُسن النية والتعسف ...[٦٨]

قامت الأخت مريم سالم بالتعليق على مقال "مع المسيح من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة، ابتهالات قلب"، قالت:

"الابتهال حلو خالص من أعمق وأبسط الكتابات ف نفس الوقت بس لي تعليق على آخر جملة (فقد أصبح قتلنا أفضل من الحياة مع وحوش لها أشكال البشر)

احنا المفروض أصحاب رسالة وسط الوحوش دي وعلينا مسئولية والسيد المسيح قال (لست أسال أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير) وعلى حد ما فهمت المعنى المقصود ف الابتهال غير (لي اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدًا) المعني إللي وصلني إن فيه تأفف ونفور من الوحوش".

وإلى الأخت مريم سالم أقول:

لا عتاب على جيل شبكة المعلومات الذي يغرق كل يوم في طوفان الكلمات والأفكار وأصبح له رد فعل سريع، وُلِد من نفس سرعة تدفق المعلومات، ليس فقط يومياً بل كل ساعة.

المقطع الذي كُتب تحت عنوان "ابتهالات قلب"، لم يكن يقدِّم الموت كنصيحة أو طلب، بل تحدَّث عن "شهداء المنيا راكعين مثل حملان ..."، هؤلاء أعادوا إلينا روح الاستشهاد الذي كادت أجيال شبكة المعلومات أن تراه أو تعرفه على أنه فكرة.

فأمَّا كلمات الرب يسوع: "لست أسأل أن تأخذهم من العالم"، فقد تمَّت

(٦٨) تعليق منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية بتاريخ ١٤ إبريل ٢٠١٥.

فعلاً؛ لأن مجمع اليهود لم يقتل إلَّا الشهيد يعقوب، وأنقذ الرب بطرس، وبهذا ظلَّ الشهودُ أحياء. أمَّا عبارة رسول المسيح بولس: "لي اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح"، هي طلبة مَن رأى السماء الثالثة، وبالتالي لا علاقة بين العبارتين.

أتمنى على الأخت مريم سالم مراعاة: المناسبة التي قيل فيها أي كلام إلهي في الأسفار، وأيضاً مراعاة الهدف. أتمنى أن لا يؤخذ جزءٌ من مقطعٍ لمجرد تسجيل اختلاف، أو لمجرد كتابة رد، بل يجب أن نقرأ كل شيء بعناية وبدقة؛ لأن سرعة رد الفعل لا تساعدنا على الفهم وكثيراً ما تقود إلى أخطاء يقود إليها رد الفعل.

عبارة "أصبح قتلنا أفضل من الحياة مع وحوش لها أشكال البشر"، عبارة تعني أن الموت أفضل من فرض الإسلام بالقوة والسيف؛ لأن السيف ليس دليلَ صحةٍ على شيء مهما كان هذا الشيء. وفرض الإيمان بالقوة أو بالقتل معناه أن نفقد حريتنا التي لا يؤمن بها الوحوش المفترسة التي ينسبون ما فيهم من وحشية إلى الإسلام.

ما علقت به الأخت الفاضلة مثالٌ –كما قلنا– على رد الفعل السريع وعدم التروي، يجعلني أسوق مثالاً آخر صارخاً وموجعاً جداً، جاء أيضاً كردٍّ سريع، فقد اعتبر أحد القراء أن نمو إنسانية المسيح من الميلاد إلى الصعود، هو نموٌّ في الاتحاد، وإن ذلك –كما قال هذا القارئ– هو بشكلٍ أو بآخر، يتقاطع مع النسطورية. ولكنه لم يوضح لنا ما هو هذا الشكل؟ وما هو الآخر. ولم يتذكر أن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو موضوعٌ مرفوضٌ لفظاً ومعنى عند كل النساطرة.

وذهب قارئ آخر إلى أن آلام المسيح كانت بحسب ما رآه البشر، كانت ظاهرية أما هو في الباطن لم يتألم، بل لم يمت. وقد تعذَّر الرد على هذا القارئ لأنه أحد ضحايا شبكة المعلومات. الرب أخذ الطبيعة الانسانية الساقطة –ما عدا الخطية– لأنه هكذا لخَّص أثناسيوس تجسد الكلمة في أن الرب أخذ طبيعةً قابلةً للموت. وطلبت من هذا القارئ أن يدرس كتاب تجسد الكلمة، فجاء رده بأن المسيحية "ليس فيها فقه"، أي أنه تحاشى الموضوع الأصلي.

التجسد لم يكن تمثيليةَ شخصٍ أخذ طبيعة لها شكل البشر وهي ليست بشرية،

تعيش حياةً ظاهرة وتخفي حياةً باطنة. الأمر الذي يعني ضياع الإيمان بالتجسد، إذ لم يشاركنا الابنُ "اللحم والدم" (عب ٢: ١٤)، ولم يجرَّب مثلنا في كل شيء، بل كان يتظاهر، ثم الأسخف، أنه لم يمت ولم تنفصل نفسه عن جسده. ويدَّعي هذا القارئ أن نفس المسيح لم تنفصل عن جسده، فكيف إذن مات؟ ومَن هو الذي صرخ وقال: "في يديك استودع روحي"؟ وما هو مغزى "السبت الكبير" ونزول الرب بنفسه الإنسانية إلى الجحيم، وفي ادعاءاته هذه يحشر اسم كل من أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير. وكان جدير به أن يقرأ، ولو بسرعة، الرد على الأريوسيين ٣: ٥٤ "حتى أن بوابوا الجحيم لما شاهدوه ارتعبوا"، وهو نفس ما تذكره الابصلمودية السنوية بالحرف، بل كان عليه أن يقرأ في عظة عيد القيامة لذهبي الفم: "ولذلك ليس لدينا في الحقيقة أيقونة قيامة، بل هي "سبي الجحيم"، وقد ذكره بولس (أف ٤: ٨-١٠ – ١بطرس ٣: ١٨-٢٢)، وفي شرح نبوة زكريا الفصل ٣ ص ٤٧ يقول كيرلس الكبير: "عاد المسيح إلى الحياة بعد أن سبى الجحيم لأنه كان من المستحيل على من هو الحياة أن يقع تحت قوة الموت (أع ٢: ٤) وهؤلاء الأسرى الذي أطلق الرب سراحهم من الهاوية (فصل ٣ ص ١٩٢).

ليست المشكلة هي جمع النصوص، بل المشكلة هي إنكار الموت، وبقاء قوة الجحيم؛ مما دفع قس انجليكاني لكي ينشر رسالة الدكتوراة عن إفرام السرياني بعنوان: "مبارك الذي أتى بآدم من الهاوية".

Thomas Buchan, Blessed is He who has brought Adam from Sheol, 2004. ISBN 1-59333-228-9.

إذا لم يكن للربِّ حبٌّ حقيقيٌّ للبشرية الساقطة، فمتى أحبنا الرب؟ الذين أنكروا من المتطرفين الإنجيليين تجسد الابن بذات طبيعة آدم الساقطة كانت لديهم خلفية لاهوتية معينة، وهي أن الابن جاء فقط لكي يقدِّم ذاته ذبيحةً نقيةً طاهرةً، ولذلك ولِدَ بإنسانيةٍ ليست مِنّا نحن البشر. هذا الهراء يعني أنه في حقيقة الأمر مات عن ولأجل بشرٍ أطهار، في حين أنه أمات الخطية في الجسد بالموت. وقَبِلَ الموت لأن له طبيعة البشر.

حتى د. سامح موريس قال في عظةٍ له إن اللاهوت انفصل عن الناسوت على الصليب، ثم عاد وصحح نفسه بعد اعتراض أرثوذكسيين عليه.

واللاهوتي الالماني المشهور Moltmann يقول إن كلمة الرب "في يديك استودع روحي" هي إعادة الروح القدس للآب. هذا محضُ خيالٍ؛ لأن الروح هو مسحة يسوع الذي صار المسيح، أي الممسوح، فلو كان الروح القدس قد فارق يسوع، لَمَا عاد يسوع هو المسيح؛ لأن هذه مسحة أبدية.

مزيد من التدقيق والتروي:

أطلب من جميع الأخوة التدقيق والتروي ومراعاة مناسبات النصوص، والتحقق أولاً من أن يكون الهدف من التعليق أو الرد واضح في ذهن القارئ. هل هو مجرد تسجيل اعتراض لكسب الشهرة، أم لمجرد المعارضة، وإلا يكون قلبه يحتاج إلى تنقية للبحث عن سبب حقيقي للاعتراض.

ثانياً: هل دراسة مقال أو أكثر هي للبحث عن خطأ، وكأن المقال تم حصره في سطر أو أكثر؟ هذا هدفٌ شرير؛ لأن ترصُّد الأخطاء هو عمل شيطاني تسلل إلينا بشكلٍ رهيب عندما ادَّعى بعضهم وجود أخطاءٍ اختلقوها في كتب الأب متى المسكين، عندما اقتطعوا عبارات متناثرة، قُطِعَت من سياق الشرح، وكانت تختلف مع التعليم الشعبي السائد. والمثال الصارخ على ما نقول، هو ما قاله معارض شهير من أن عبارة "بيت لحم مسقط رأس البشرية المفتداة" تعني أننا وُلِدنا من العذراء مريم مثل الرب. هكذا وصل الاعتراض إلى درجة من الجنون مصدره الحنق والعداوة. فالعبارة لا تعني ما قال هذا المعارض أنها تعنيه، إنما آدم الثاني وُلِدَ في بيت لحم لكي يبدأ بميلاده، ميلاد الخلقة الجديدة.

غسلُ الأرجلِ[٦٩]

–١–

نسمِّيه اللقان، وهو أحدُ الأسرار. عاشقوا الرقم ٧ حذفوا، إلى جوار سر غسل الأرجل، حذفوا السر الأول، سرَّ الثالوث نفسه.

عندما نتجادل حول عطاءٍ، يتحول العطاءُ من ينبوع حياةٍ إلى أفكارٍ في عقولنا ندركها حسبما نشاء.

مَن نَظَرَ إلى الماء وظنَّ أنه سرابٌ؛ لن يشرب. ومن رأى السرابَ وظنَّ أنه ماءٌ يموت من العطش. نحن يا سيد الحياةِ أسرى مفاهيم وتحديدات ورؤى، من ينابيع الخوف والشك والموت وقساوة القلب تصدرُ.

في شوارع فلسطين، الأرض الحجريةُ يعلوها التراب. والأقدام العارية تمتلئ من تراب الأرض وطينها.

مع الطين كان لك لقاءٌ، عندما أخذته لتكمل به خلقة الناقص في المولود الأعمى. لكنك في العلية صرتَ مثل العبد، تخدم وتربط وسطك بمنشفةٍ، تغسل طين أقدام أحبائك. هذا مثالٌ للخدمة حقاً، ولكنه جاء من نبع داخلي، من يد الخالق الذي خلق آدم من تراب وطين. وها هو هنا يمسح ذات الطين العالق بين أصابع أقدام التلاميذ، حتى يهوذا.

إفرام السرياني يرى في انحنائك أثناء غسل أرجل التلاميذ، انحناءُ الخالقِ المتجسد أمام الخليقة.

لا يجب أن نخاف من ذلك؛ لأن المحبة لم تصل فقط إلى حدِّ غسل الأرجل،

---

(٦٩) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

وإنما وصلت حتى إلى الجحيم نفسه؛ لأن الرب "نزل إلى الجحيم من قبل الصليب".

لذلك، في العلية، تجلَّى ذلك السر العجب، سر تنازل المحبة الإلهية.

-٢-

اِغسل نفسي الجريحة، التي جرحها العالم والأصدقاء والأعداء. نحن نأتي إلى عالمٍ يموج بالكراهيةِ ولا يعرف إلاَّ القسوة والانتقام.

شاهدتُ شهداء المنيا راكعين مثل حملانٍ. وشاهدتُ عملية الذبح نفسها على شبكة المعلومات قبل حذف هذا الفيديو ... لقد غسل هؤلاء الأبطال الكنيسةَ، بل غسلوا مصر كلها من الخوف والتردد. عادت إلينا حيوية الشهادة.

غَسَلَ دمُ هؤلاء الأرواحَ التي أصابها التردد، فاشعِل يا ابن الله نارَ محبتكَ الإلهية فينا، فننحني بمحبةٍ بلا خوف أمام الجزار والقاتل، فقد أصبح قتلَنا أفضل من الحياة مع وحوشٍ لها أشكال البشر.

ليلة الصلاة في بستان جثيماني(٧٠)

عَبرَ يسوعُ وادي قدرون (يوحنا ١٨: ١):

عَبرَ داود ذلك الوادي هارباً من أبشالوم (٢صم ١٥: ٢٣). وفي إشارةٍ ضمنيةٍ إلى حكم الموت الذي أصدره الملك سليمان على شمعي بن جيرا "في اليوم الذي تعبر فيه وادي قدرون يقيناً ستموت" (١ ملوك ٢: ٣٧). بل كان دمُ ذبائح الهيكل يُسكَب في هذا الوادي. تلك هي الخلفية التاريخية لمن يعبر لكي يموت، ويعبر الوادي حيث دم الذبائح التي لم يعد لها دور في التدبير.

عَبَرتَ أيها الفادي لأنكَ تعبرُ "وادي ظل الموت" لأجلنا.

البستان:

في البستان القديم سقط آدم، ولكن هنا في البستان ينتصر (كيرلس الكبير شرح يوحنا ١١: ١٢ – ٤٨: ٥٦٦). الاسم جثيماني وصلنا من المصادر اليونانية Γεθσημανή ولكنه عبراني الأصل Gat – Shamanim معصرة الزيت. كان في البستان العديد من أشجار الزيتون. أكد يوحنا الانجيلي أن المكان هو κήπος أي حديقة أو بستان.

لم تشأ أن يُقبضَ عليك في العلية. كان ذلك حرصاً منك على التلاميذ (شرح إنجيل متى أوريجينوس ٣٨: ٢-٢٠٤)، بل بحضورِكَ في البستان جعلتَهُ هو بدورِهِ مكاناً مقدَّساً؛ لأنه مكتوب "المكان الذي تقف فيه هو أرضٌ مقدَّسةٌ" (خروج ٣: ٥).

(٧٠) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

ذهب وحده ليصلي وأخذ معه ثلاثة:

مع الخاصة، ولكن وحدكَ كنتَ تصلي. حديثٌ خاصٌّ مع الآب. سمعنا عباراتٍ قصيرةٍ. الصلاةُ يا مخلِّصي أعلَنَت لنا العلاقةَ الأقنوميةَ الخاصة مع الآب. كشفت قدرتك الإلهية.

أكَّدَت لنا تجسُّدَكَ. حقاً صرتَ إنساناً مجرَّباً مثلنا في كلِّ شيءٍ، ولكنك لم تقذف بالتجربة إلى وهم الحياةِ بدون الآب، أو إلى زِيفِ الوجود الذاتي الذي ضَرَبَنا بالموت، وأبعدَنا عن ينبوع الحياة.

ابتدأ يحزن ويكتئب:

يحزن ويكتئب على اليهود الذين رفضوه، وعلى خيانة يهوذا، وعلى جحد بطرس (متى ٢٦: ٣٤). حذَّرتَ بطرسَ من السقوط، ولكنك كنت تصلي قبل أن ترتفع موجة الجحود بالقبض عليك، وصلبك؛ لكي تغرس فينا الصلاةَ الدائمة (هيلاري: شرح متى ٣١: ٤).

في أيام جسده قدَّم بصراخٍ شديد ودموع (عب ٥: ٧):

لو كان في أيام جسدك يا يسوع ما يستدعي الصراخ الشديد، والدموع، فإن بستان الصلاة هو ذلك المكان الذي وصفه جيروم بأنه كان قريباً من الوادي الخصيب (قدرون)؛ لأن جدَّكَ داود وهو يرتِّبُ مزاميرَ الخدمةِ: "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج"، يذهبُ إلى الحقل ليلقي البذار وهو يبكي، وعند الحصاد يجيء بالترنم حاملاً معه حِزَمِهِ" (مزمور ١٠٦: ٦ مدراش آرامي).

بكيتَ يا يسوع عند قبر لعازر، وأيضاً عندما نظرتَ إلى مدينة الملك رب السموات، بكيتَ عليها (مرقس ١٩: ٤١). كنت ترى ما سيحدثُ لها لأنها -حسب كلمتك الحق- لم تعرف "زمان افتقادها" (مرقس ١٩: ٤٤). يجيء زمانُ الافتقادِ وردُّ النعمة التي نرفضها، في كلِّ يومٍ، ولكننا لا نميِّزُ ذلك الزمان. لقد جاء زمان الافتقاد طوال ٥٠ عاماً مضت .. تُرى هل أدركناه؟

يسوعُ يا نور العالم، الظلمةُ غريبةٌ عليكَ وعلى نفسِكَ الإنسانية التي لا تعرف

الموتَ، ولكنك تعرف ماذا سيأتي عليك؛ لذلك تقول لنا: "نفسي حزينةٌ جداً حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨). يكادُ الحزنُ يقتلك.

ها أنت سوف تسير في وادي ظلال الموت (مزمور ٢٣: ٤)، وأنت تقول لتلاميذك: "لا تخافوا". وَجِدُّكَ داودُ يقول: "لا أخاف شراً" (مزمور ٢٣: ٤)، فلم يكن الموتُ الجسداني هو ما يُرعِبُ. الموت الجسداني يُرعبُنا نحن؛ لأننا لا نعرفُ حياةً غير تلك الحياة الجسدانية. الجسدُ هو كلُّ ما نملك. لكن جسدَكَ هبةُ الروح القدس لك، هو ما سوف تقدِّم.

لم يكن "وادي ظلال الموت"، بل الموتُ نفسه الذي لا أصلَ له في جسدك ولا في روحك الإنسانية، فقد قدَّمتَ الجسد والدم (الحياة) في العلية بتقديمٍ حُرٍّ إراديٍّ لا زلنا نردده في صلواتنا: "بإرادتك وحدك وسلطانك"، لكن رُعبَ الموت الأبدي، رُعبَ الاغتراب عن محبة الآب، ذلك هو الكأسُ الذي يجب أن تشرَبَه.

ولكن يجب أن "يعبر"، والعبور هو الاسمُ العبراني القديم للفصح؛ لأنك سوف "تعبرُ" الموتَ وتصلِّي لكي تكشف لنا ما هو حادثٌ.

الموتُ يا سيد الحياةِ غريبٌ حتى على الطبيعة الإنسانية التي أخذتها؛ لأنك عندما تقول: "أنا الحياة"، و"أنا القيامة"، فأنت لست كيانين -كما تصوَّر نسطور- كلاهما خاضعٌ لطبيعةٍ، بل أنت الأقنوم الواحد المتجسِّد من طبيعتين. "أنا" عائدةٌ إليك أنت كُلُّكَ. كيف تموت وأنت الحياة؟ كيف تدخل الظلمة وأنت النور؟

الخطيةُ لم تكن القوةَ التي جعلتكَ تختار طريقَ الموت، بل محبتك للبشر. لو كانت الخطيةُ هي سببُ تقديم ذاتِكَ، فأين المحبة؟ وكيف تقدِّم الخطيةُ تقدُمةَ محبةٍ؟ حتى تحت الشريعة، كان الخاطئُ بإرادته يقدِّم؛ لأن انعدام الإرادةِ يلغي التقدمة. حيث لا أرادة حُرة، تختفي المحبة.

نحن لا نعرف الموت الأبدي؛ لأن الحكم: "موتاً تموت" هو البقاء في الفساد والموت إلى الأبد (أثناسيوس تجسد الكلمة ٣: ٤).

طرحتَ الفسادَ وهزمته عندما أقمت لعازر.

هزمتَ الموتَ في موتي، مثل ابن الأرملة،

لكن ذلك الموت كان موتاً جسدانياً. كان انفصالُ الروح عن الجسد، وأنت يا سيد الحياة جئت بلعازر من هاوية الموت ذاتها إلى الحياة.

نحن لا نعرف الموت الأبدي؛ لأن رحمة الآب حفظت نعمة البقاء، ولم تسمح بأن نعود إلى العدم؛ لأن هلاك الخليقة يُظهِر إهمال الآب وضعفه (تجسد الكلمة ٦: ٨). فقد قال معلمنا العظيم أثناسيوس إن الآب "رَحِمَ جنسَنا وأشفق على ضعفنا وتراءف على فسادنا لأنه لم يحتمل أن يرى الموت قد صارت له السيادة علينا؛ لئلا تفنى الخليقة ويتلاشى عمل الله" (تجسد الكلمة ٨: ٢).

يا كلمةُ الآب الابنُ الخالقُ، لقد رأيتَ في البستان كلَّ شيءٍ، وجاءت قوة الموت وعرفتَ أنها معلَّقةٌ بقبولك لهذه القوة التي تهدم. كان التدبير معلَّقاً برضاك بالموت؛ لأن رفضكَ يعني الموت الأبدي لنا وليس فقط الموت الجسداني. لقد مُنِعَ الموتُ الأبدي؛ لأنك -تدبيرياً- ستأتي، ولكن متى جئت ورفضت التدبير أو تراجعت؛ سقطت الخليقةُ كلها في العدم، لذلك سقطت "قطراتُ العرق مثل قطراتِ الدم"، ولذلك ظَهَرَ لك ملاكٌ من السماء[٧١] (لوقا ٢٢: ٤٣)، فقد انزعجت القوات العلوية.

كنا نعيشُ مثل الله (تجسد الكلمة ٤: ٦)؛ لو أننا أبقينا معرفةَ الله في حياتنا. ولكننا سِرنا نحو العدم: "كان الجنس البشري سيهلك بالتمام لو لم يكن رب الكل ومخلص الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ٤).

لقد رأيتَ العدمَ، وأنت الحياة، وأنت تعرف أن العدمَ لا يستطيع أن يقترب من جسدك ولا من نفسك الإنسانية؛ لأن الخطية لم تعرف لها طريقاً لا في قلبك ولا في فكرك.

صراعٌ نزفتَ فيه العرق؛ لأن هذا الصراع كان في داخلك:

---

(٧١) هو حسب التسليم الكنسي، ميخائيل المحارب عن الشعب قديماً والمبشر بالقيامة، وهو الملاك الذي تذكره الليتورجية بعد توزيع جسد الرب بقولها: "يا ملاك هذه الذبيحة ....."، بسبب اتحادنا بالمخلص نصبح في معسكر الملائكة وننال الحماية السماوية (مينا المتوحد).

+ اللاهوت، الحياة التي لا تموت.

+ الانسانية القابلة للموت، والتي يمكن أن تموت، ولكنها الآن تموت بحريةٍ، واختياراً حسب قولك الإلهي: "لي سلطان أن اضعها وسلطان أن آخذها"، وأيضاً لا يوجد من يأخذها، أي حياتي مني (يوحنا ١٠: ١٨).

+ غيرُ قابلٍ للموت حسب أُلوهيتك.

+ وقابلٌ للموت حسب إنسانيتك.

تمزُّقٌ تقبلُه عبرَّت عنه صلاةٌ سريانية: "انفصلت نفسه عن جسده"، ولكن أكّدت ذات الصلاة: "ولكن لاهوته لم ينفصل قط لا عن جسده ولا عن نفسه". هكذا "فرّق" الموتُ كيانك. وجاء ذلك بإرادتك، ولذلك نحن نسجد قائلين طوال البصخة: "المسيح مخلصنا جاء وتألم عنا لكي بآلامه يخلصنا". وقد أضاف أبي الروحي هامساً: "يخلصنا من سكرات الموت، وعذاب تمزيق كياننا؛ لأننا نسلِّمُ النفسَ للرب، والجسدُ يرقد وديعةً عند روح الحياة الرب المحيي".

القادر أن يخلِّصه من الموت وسُمع له من أجل قداسته[٧٢] (عب ٥: ٧):

الخلاصُ من الموت هو طلبٌ من الآب. وأنت آدم الثاني تجوز هذه المحنة الكبرى التي لا ندرك نحن إلَّا بعضَ ملامحها. سمعَ لكَ الآبُ من أجل قداستك، تلك التي أعلنتها في أطول صلاة سُجِّلَت لكَ في العهد الجديد كله: "من أجلهم أقدس ذاتي" (يوحنا ١٧: ١٩). طلبةٌ بالعرقِ، ليس لأن الآبَ قاسٍ، أو لأنه يحمل سيفَ العدل كما توهَّمَ الذين فصلوك عن الآب، بل لكي تسمع الإنسانيةُ صراخَ قلبك.

"بصراخٍ شديد، ودموع" (عب ٥: ٧) كنت يا سيدُ ترى الهاويةَ التي سوف تسبيها، وتدخل هذه المحنة المظلمة وأنت النور .. سوف تنفصلُ نفسُكَ الإنسانية عن جسدك، وبهذا الانفصال لم تعد إنساناً؛ لأن الإنسانَ هو روحٌ أو نفسٌ وجسد. هكذا ينهار وجودك الإنساني الذي تقبله بإرادةٍ حُرَّةٍ لكي تعيد تكوينه من جديد بلا موت وبلا فساد؛ لكي ننال الثبات فيك.

(٧٢) كلمة "تقواه" الواردة ف ترجمة فانديك ليست دقيقة؛ إذ لا توجد تقوى في العهد الجديد. التقوى كلمة قرآنية، وتعني أصلاً مخافة الله، ولكن الكلمة حسب الأصل اليوناني تعني ما هو صحيح ومقدس وحق.

من المحكمة إلى يوم جمعة الصلبوت(٧٣)

-١-

أمامَ السلطةِ الدينيةِ تقف لتُحاكَم، ليس حسب الشريعة، بل حسب أهواء قيافا. الحقُّ يحاكَم في مجمع الزور (متى ٢٦: ٦٠)، وشهودُ الزورِ لم يقدِّموا دليلَ جُرمٍ واحدٍ. أنت قلتَ انقضوا هذا الهيكل.

شاهِد الزورِ قال: "لقد قال إني أقدر أن أنقضَ هيكلَ الله، وفي ثلاثة أيام أبنيه" (متى ٢٦: ٦١)، ولكنك لم تقل أنا أقدر، وإنما "انقضوا ذلك الهيكل" (يوحنا ٤: ١٩).

لم يكن في التوراة وصيةٌ ببناء هيكلٍ، بل كانت خيمةُ اجتماعٍ، ولكن داود لم يقبل أن يسكنَ في بيت، وأن يكون مكانُ حلول الربِّ هو خيمةً. وجاء شاهدٌ يقول إن "سليمان بنى للرب بيتاً. ولكن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بأيدي البشر، كما يقول النبي" (أع ٧: ٤٧-٤٨).

ورجموا اسطفانوس، الذي دخل إلى قدس أقداس السماء، وشاهدك واقفاً (أع ٧: ٥٥) لكي تستقبله كأولِ شهيدٍ للإنجيل.

-٢-

حكموا عليكَ بأنكَ مجدِّفٌ، وأنك تعدَّيتَ الشريعة. لهفي على تعليمٍ وضعَ موتَكَ المحيي تحت شريعة موسى، مرةً بأنك مثل ذبائح العهد القديم، ومرةً بأنك تُصالِح العدلَ مع الرحمةِ، وثالثةً بأنكَ تدفعُ الثمنَ!!! ... لكنكَ هنا أمام السُلطات الدينية التي لا تفهمك، والتي بعد انتشار الإنجيل، لا تزال لا تفهمك؛ لأنها وضعت الشريعةَ والقانونَ قبلَ المحبةِ الإلهيةِ. أنت -حسبَ رئيسِ الكهنةِ- "مُجدِّفٌ"، ولكن

(٧٣) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

كلامَكَ حقٌّ. أنت ابن الله، وبسبب هذه التهمة التي تمس كيانَكَ، حُكِمَ عليكَ، وكلُّ مَن نال نعمة التبني لا زال أمام السلطات الدينية مجدِّفاً وهرطوقياً.

لقد كتبتَ الصليبَ، ليس في كتابٍ، بل في جسدِكَ منذ أن حُوكِمتَ، ولا زال الأبرياءُ يحاكَمون أمام سُلطاتٍ تدَّعي أنها أخذت مكان الله، وتحكم باسم الله.

-٣-

نحن نسخر من بطرس، ونتكلم كثيراً عن خوفه؛ لأنه "لَعَنَكَ بقَسَمٍ" (مرقس ١٤: ٧١)، ونظنُ أننا أبرياءٌ من الخوف، وأننا شجعان، ولكن كَمْ من بطرس عندنا يُنكر الحقَّ، يصمتُ ثم يلعَنُ بقَسَمٍ، وهو قَسَمٍ يهوديٍّ: "ليحذفَ اللهُ اسمي من سفر الحياة". يطلبُ الموتَ إن كان كاذباً، وهو بالقطع كان كاذباً.

الكذبةُ يملؤون كنائسنا، وهؤلاء بقَسَم الولاءِ لأشخاصٍ يجحدونَ نعمتَكَ، لكن محبتَكَ لبطرس جعلتكَ تناديه ثلاث مراتٍ: أتُحبُّني؟ وبالمحبةِ أعدته إلى خدمته.

نختفي وراء الأعذار عندما يسود الخوف.

وتلك الجاريةُ التي أرعبت بطرس تقول: "أنت جليليٌّ ولغتُكَ تُظهِرك؛ لأنها ذات الآرامية التي يتكلم بها يسوع" (مرقس ١٤: ٧٠).

لغةُ الإنكار التي تطردك يا ربُّ من حياتنا الإنسانية. مرةً بإنكار أُلوهيتك، ومرةً ثانيةً بإنكار إنسانيتكَ، ومرةً ثالثةً بإنكار اتحادك بنا. لكن لغةَ هؤلاء الناكرين تُظهِرهم: محاولة طَرْدِكَ من دنيا الإنسان. لا يليق بكَ أن تتألم، العجرفة والقسوة والخُيلاء والقوة تتجمع معاً لتقول لنا: لا يليق، ولا يجب، وكأن حدودَ اللياقة والواجب، لا ترسمها ولا تحددها إلَّا القوةُ وحدها!!!

كيف تكون ابنُ اللهِ وتجرَّب من إبليس؟ أَمَا كان يجبُ عليكَ أن تسحقه؟

ولكن هزيمةَ الشرِّ والشرير كل يومٍ هي أشدُّ وقعاً من هزيمةِ مرةٍ واحدة. غَلَبَتَهُ علانيةً، ولا يمكن أن يُغلَبَ إلَّا علانيةً. وجاءت هزائمُ كثيرةٌ مع أنطونيوس وأثناسيوس وباخوميوس، وجيش الشهداء والمعترفين والنُّسَّاك والناسكات.

يسخرونَ من صلاحِكَ؛ لأن عشقَ القوةِ جعلهم يرفضون مقاومةَ الصلاحِ والمحبةِ بالرفضِ الهادئ الذي لا يحتاج إلى قوةٍ. عندما تتكسَّرُ كلُّ التجاربِ بالرفض، فإن المجرِّبَ يصابُ بكلِّ خيبةٍ وفشل. لذلك لم يدخل معه الرب في حوار.

"إن كنت ابن الله" قيلت في البرية، وقيلت على الجلجثة، ولا تزال تقال في شوارعنا ومنازلنا، ونكاد نسمع السؤال كل يوم: هل تخلَّى وتركَ الأبرياء؟ القسوةُ والقوةُ ترى في هدوءِ المقاومة ضَعفاً، ولكن بعد أن تقتل المعارِضَ، ماذا تبقَّى للقوةِ؟ لا شيء سوى أن تدِّمر نفسها، ولذلك قيل بحقٍ إن حتى الثورة "تأكل أولادها".

عبادةُ القوةِ تُسقِطُها، ليس على الله وحده، بل على البشر، وعلى النصوص، وتتحول عبادةُ القوةِ عند الضعفاء إلى ميزان الحق الوحيد الذي يحدِّدُ ويفرزُ ما هو صحيحٌ، ويصبح ما هو صحيح، التدمير والقتل والسحق!!!

كيف يتألم القوي، ذلك الذي يُمسكُ بكلِّ أطرافِ المسكونةِ، وهو القادرُ على كلِّ شيءٍ؟ ولكن، لماذا لا تكون المحبةُ قويةً إلى درجة قبول الضعف؟ مَن الذي يمكنه أن يقول: لا تستطيع المحبةُ أن تكون قويةً لكي تنزلَ إلى أدنى مستوى، وهو نزولُ قوةٍ لا يهابَ الموت.

– ٤ –

ورغم أن الربَّ أنذرَ بطرسَ، إلَّا أنه لم يوبِّخُه بعنفٍ. هذه هي قوةُ القادرِ أن يرى الضَعفَ، ويعطي رجاءً لمن سقط. فقد جَحَدَ بطرسُ –على الأقل– ثلاثَ سنواتٍ من العِشرةِ والتعليم والمعجزات. أكَّد في لحظةٍ تصوَّرَ فيها ما يتصوَّره عشاقُ القوةِ: كيف يفتح أعيُنَ العميان، ويقيم الموتى، ثم "يُقبَضُ عليه"؟

سمعتُ مَن لا يفهم التاريخ يعترض: هل سُلِّم المسيحُ بقبلةٍ؟ أم سُلِّمَ إلى الرومان؟ القانون الروماني يسألُ عن اسمِ المتهمِ قبلَ القبضَ عليه، وعلامةُ يهوذا، وهي القبلة في ظلام الليل، لا تكفي. كان سؤال يسوع: مَن تطلبون؟ وكان الرد: "أنا هو"، وسقطوا خوفاً، ولكن الخوفَ لا يغلبُ العَطَشَ للانتقام، ولا يقف أمام الكراهية. الخوفُ لا يمنعُ الشرَّ. قد يحِدُّ من انتشاره، ولكنه لا يقلعُ جذرَهُ. وتظل

العداوةُ نائمةً مهما كانت أمواجُ الخوف.

-٥-

لك القوة

هكذا نسبِّحُ في البصخةِ؛ لأننا يجب أن نتطهَّرَ من كلِّ حبٍّ للقوةِ، وأن نطلبَ القوةَ الحقيقيةَ، وهي القوةَ التي تشارِك، والقوةَ التي تنزل إلى ذات حُفرةِ المتألمين، والقوةَ التي تقبل كلَّ الهوانِ من أجل هدفٍ عظيمٍ، وهي قوة الاحتمال. فقد احتمل الربُّ وصَبرَ على الأوجاع لكي يقابلَ الموت.

-٦-

لكَ المجدُ

المجدُ هو البهاءُ والعظمةُ واستعلانُ النورِ الذي لا يخبو. هو تعبيرٌ عن الحضور الإلهي. ليس مجداً ما تعطيه الملابسُ والألقابُ وحفاوةُ الناس، فقد كان يسير بجسدٍ دامٍ مزَّقته السياط. لكن، لك المجدَ أيها القادرُ على الوجع؛ لأنك -حقاً كما قال القائد الروماني، وقد سمع كلامَكَ- وأنت مصلوبٌ، تطلب الاهتمامَ بأُمِّكَ، وتطلبُ الغفرانَ، وتعطي مكاناً في الفردوس للصِّ الذي آمن بك، وتسلِّمُ روحَكَ للآب .. حقاً كان هذا ابن الله".

مجدُ أُلوهيتِكَ سطعَ عندما وهبتَ الغفرانَ للصالبين، فلا مكان للحقد أو الانتقام؛ لأنك جئتَ لكي تحرر الإنسانيةَ من هذه السلاسل القديمة. حقاً لك المجدُ؛ لأننا لم نرَ إنساناً سلك نفسَ سلوكِكَ، ولم يقل أيُّ نبيٍّ: "اليومَ تكون معي في الفردوس". لقد شعَّ شُعاعَ أُلوهيتِكَ بمجدٍ؛ لأنك أردت أن تجعلَ من الصليب قوةً، لا قوةَ موتٍ، بل قوةَ حياةٍ.

لقد غلبتَ بالمحبة وبالصفح، وقبلتَ اللصَّ، فصار صليبُكَ رُعباً للشياطين.

-٧-

لكَ البركةُ

أسمعُ هذه التسبحةَ، ويتجلَّى أمامي كيف صار صلبُكَ بركةً. أخذتَ لعنةَ الموتِ ورفعتها كعائقٍ، بل أبَدتَ الدينونةَ؛ لأننا لا نُدرِكُ أن موتَكَ هو "الموت المحيي". كيف تبادُ لعنةَ الموتِ إلَّا إذا -كما قال المعلِّم الكنسي أثناسيوس- استُهلِكَت في جسد الرب (تجسد الكلمة ٨: ٤).

من الصليبِ نبَعَ نهرُ بركةٍ. فقد جاءت المصالحةُ بالشركةِ في حياة الثالوث؛ ولذلك نقبل مِسحةَ الروحِ بـ ٣٦ رشماً أو ختماً، هو ختمُ الصليب.

وعندما تُقدِّس أنت يا يسوعُ الخبزَ والخمرَ، نرشمُ علامةَ الصليبِ؛ لأنها علامةُ الحياة. وعندما نقول: "شَكَرَ"، نرشمُ علامةَ الصليب؛ لأن الصليبَ أعادنا إلى الحياة. وعندما نقول: "باركَ"، نرشم علامةَ الصليبِ؛ لأن العطاءَ يمتدُ إلى آخر الدهور. وعندما نقول: "قَسَّمَ"، نرشم علامة الصليب؛ لأنك توزِّعُ بيديكَ الحياةَ ميراثاً للمائتين.

-٨-

والعزَّةُ

يوصَفُ اللهَ بأنه "العزيز"، أو "عزيزُ إسرائيل" (في العهد القديم). والعزةُ ليست التعالي، بل الخصوصية التي لا يُشارِكُكَ فيها أحدٌ من الخلائقِ.

موتُكَ عِزةٌ خاصةٌ بكَ. عزةُ المحبةِ.

وخضوعُكَ للعذاب على يدِ البَشَرِ الذين لأجلهم جئتَ، هو "عِزةٌ"؛ لأن الذين تسعى لكي تحررهم، هم يسعونَ لقتلِكَ. ولكن، هذه هي عِزَّتَكَ يا شمس الحرية والمحبة التي لا يستطيع سحاب وظلمة الكراهية أن تحجبها.

+ لكَ القوةُ؛ لأن محبتَكَ دائمةٌ. رغمَ تحوُّلِ محبة البَشَرِ، تظل أنت دائماً محبُ البشرِ.

+ لكَ المجدُ؛ لأن كل ما لدينا من إنجازاتٍ، رغم أهميته، يجب أن يرقى إلى التضحية والبذل.

+ لكَ البركةُ؛ لأن ما نعمله معك ولأجلك، ينال الاستمرارية ويمتد لآخرين.

+ لكَ العِزَّةُ، فليس لدينا أعزُّ من اسمكَ، وما هو عزيزٌ عندنا، هو هبةُ الحياة نضعها تحت قدميك قربانَ محبةٍ، هو ثمرةُ محبتكَ التي تتأصل فينا بقوتك، لأنك أنت عمانوئيل إلهنا ومخلصنا.

-٩-

قوتي وتسبحتي هو الرب، وقد صار لي خلاصاً أبدياً.

لم يعُد الخلاصُ نظاماً ولا فكرة ولا كتاباً، بل الربُّ نفسه هو قوتي لكي أغلب بقوة محبته. وهو تسبحتي؛ لأنه قد صار هو الخلاص.

لا زلنا نسمعُ صدى تسبحة البصخة في أوشية الإنجيل، لحناً أبدياً:

"لأنك أنت هو حياتنا كلنا".

أركان التدبير السبعة
في كلمات الرب على الصليب[٧٤]

إلهي إلهي لماذا تركتني (مرقس ١٥: ٣٣):

في العبرانية والآرامية الاستفهام بـ "لماذا"، ليس رفضاً ولا تمرداً، بل هو سؤالٌ يعبِّر عن الواقع بكل ما فيه من آلام ورجاء، مثل: "لماذا تآمرت الشعوب" (مزمور ٢: ١ - راجع أع ٤: ١٥). أو: "لماذا تبتعد يا الله وتختفي في زمان الشدة..." (مزمور ١٠: ١-٢٠)، وهي صرخةُ رجاءٍ تنتهي: "قم يا رب. يا الله ارفع يدك. لا تنسى المساكين" (مز ١٠: ١٢)؛ لأن الصرخةَ تعبِّر عن إيمانٍ هو سببُ السؤال: "لماذا؟" إذ يقول بعدها: "قد رأيت لأنك ترى المشقة ..." (مز ١٠: ١٢)، بل تطلب المجازاة: "حطِّم ذراع الفاجر ...".

السؤال: "لماذا"، نجد له ذلك الصدى العجيب: "الربُّ ملكٌ إلى الدهر والأبد .. تأوه الودعاء قد سمعت يا رب. تثبِّت قلوبهم، تُميل إُذنك" (مزمور ١٠: ١٦). وكان مزمور ١٣ يرتَّل في الهيكل: "إلى متى يا رب تنساني كل النسيان. إلى متى تحجب وجهك عني .. إلى متى يرتفع عدوُّي عليَّ". وبعد السؤال: "انظر واستجب لي يا رب إلهي"، بل لعل كلمات مزمور ١٨ وهو "نشيدٌ في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول" (هذا هو عنوان المزمور) يبدأ: "أُحبك يا رب يا قوتي. الرب صخرتي وحصني ومنقذي" (١٨: ١-٢). ولكن بعد ذلك تأتي المحنة. وفي كلماتٍ قويةٍ: "اكتنفتني حبالُ الموت. سيولُ الهلاك أفزعتني. حبالُ الهاوية حاقت بي. أشراكُ الموت نشبت فيَّ" (١٨: ٤ - ٥)، فهل توقَّف داود عند ضيق المحنة؟ أبداً بل: "في ضيقي دعوت الرب وإلى إلهي صرخت. فسمع من هيكله

(٧٤) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

صوتي وصراخي قدامه دخل أُذنيه" (مز ١٨: ٦). صرخةُ البراءةِ قويةٌ في مزمور ٢٦ بل تصل إلى كمالها في مزمور ٢٧ حيث يقول: "الربُّ نوري وخلاصي"، ولكن بعد ذلك وهو يطلب حضور الرب الذي تعبِّر عنه كلمة "وجه": "يا رب أطلب وجهك لا تحجب وجهك عني .." (٢٧: ٩). هذه هي خلفية الصلاة كما وردت في مزمور ٢٢ الذي يبدأ: "إلهي إلهي لماذا تركتني". والتَّركُ هنا لا يفيد الانفصال، ففي كل الصلوات السابقة مَن يسأل لا زال مع الله؛ لأن مزمور ٤٢ الذي يبدأ بشوقٍ جارفٍ إلى الله: "كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه. هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله. عطشت نفسي إلى الله الاله الحي" (٤٢: ٢)، بل هو على ثقةٍ من حضور الله: "متى أجيء وأتراءى قدام الله" (٤٢: ٢). لكن بعد ذلك، الله هو صلاة الحياة كلها والشوق الجارف "اقول لله صخرتي لماذا نسيتني لماذا أذهب حزيناً من مضايقة العدو .. ترجي الله لأني بعد أحمده خلاص وجهي وإلهي" (٤٢: ٩-١١).

في العبرانية: ل م هـ למה هي تعني "لمن". وعيسو يقول ليعقوب: "لمن البكورية" بعد أن باعها (تك ٢٥: ٣٢). والسؤال "لمن أنت تسأل عن اسمي" (تكوين ٣٢: ٢٩ - راجع أرميا ٦: ٢٠ — ٢٠: ١٨ - عاموس ٥: ١٨). والفعل بعد علامة الاستفهام لا يعني الترك كما هو في العربية الشائعة لأنه في العبرانية "ل ز ب"، وهو تركُ إنسانٍ في رعاية آخر، ولذلك "ترك" سيد يوسف كل ما له ليوسف (تكوين ٣٩: ٦). وفي نفس المزمور السابق (١٠: ١١): "الله قد ترك أو نسى. حجب وجهه إلى الأبد" هذا ما يفكر فيه الشرير، ولكن الله لا ينسى ولا يترك. والشرير يظن أن الله يترك الأيتام (أرميا ٤٩: ١١)، ولكن الله يقول: "أنا أُحييهم" (أرميا ٤٩: ١١).

أنت آدم الأخير. وأنت عندما تصرخ أو تعلن شيئاً، فإن في صوتك ثلاث طبقات: الطبقة الأولى هي الابن الواحد مع الآب في الجوهر. والطبقة الثانية هي آدم الثاني الذي يمثل الإنسانية كلها وفي بوتقة الوجع ووادي الدموع يسير. والطبقة الثالثة هي رئيس الكهنة الذي يُقدِّمنا لله الآب.

الآن، أنت آدم الجديد ورئيس الكهنة معاً، تذكر: "لمن تركتني؟" صرتَ عاراً

عند البشر (مزمور ٢٢: ٦)، بل والمزمور يقول: "أما أنا فدودة لا إنسان" مصدر الاستهزاء، بل "أحاط بك الأشرار مثل ثيران هائجة" (٢٢: ١٢). في يد هؤلاء، وكآدم: "كالماء انسكبت .. صار قلبي كالشمع ... وإلى تراب الموت تضعني" (٢٢: ١٥). لكن يعود مثل كل المزامير: "لأن الله هو ملك كل الشعوب"، بل "قدامه يجثو كل من ينحدر إلى التراب .." (٢٢: ٢٩). ويرى الرب الكنيسة الآتية: "الذرية تتعبد له يخبر عن الرب الجيل الآتي" (٢٢: ٣٠).

يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤):

في ترتيلة جميلة لكنيسة اليونان الأرثوذكسية، تقول: "كَتَبَ الربُّ بيده الملوكية صَكَّ إطلاق سراح وغفران الكلِّ وخَتَمَه بدمه".

من الصعب علينا نحن الذين أصابتنا شيخوخة الفكر أن نرى أن الديان العادل، بعدلٍ يطلب الغفران من الآب؛ لأن العدلَ يُحيي، وهو عكس عدل المحاكم.

كم صرخنا بكل ما نملك من قوة بأن العدل = الصدق = الحق، وأنه ليس عدل القوانين الوضعية. لكن عُشَّاقَ الانتقام وعبيد التشفِّي لا يسمعون، وإن سمعوا لا يفهمون.

المساميرُ في يديه وقدميه، والشوكُ يعلو رأسه. والعدلُ الأرضي يطلب الانتقام، أما العدلُ الإلهي فيطلب الغفران. جعلنا من ميزان العدل عندنا، ميزاناً لعدل الله. ومَن حاول إصلاح مسار الفكر؛ قُطِعَ من شركة الكنيسة ظُلماً.

لكن ماذا نقول؟ علينا أن نقول مع المصلوب والحي فينا: "اغفر لهم"؛ لأننا بالغفران ننال نحن الحرية من شَرِّ هؤلاء، ولا نسمح لهم بالبقاء حتى في ذاكرتنا؛ لئلا تلوثُ أعمالُهم الشريرة قلوبنا التي نسعى كل يوم لأن تكون نقيةً أمام الله.

"اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (لوقا ٢٣: ٤٢):

لا يوجد ما هو أبلغ من أمانة اللص التي ترتلها أُمُّ الشهداء يوم الجمعة.

وتأخذ صرخة اللص لحناً جنائزياً. نحن لا نملك إلَّا طلب الرحمة. لكن "اذكرني"

ليست مثل اذكرني كما هو شائع عندنا عندما ننسى. "الذكرى" في العهد القديم هي استعلان عمل الله. تذكَّر اللهُ نوح (تكوين ٨: ١)، وهو يذكر العهد (تكوين ٩: ٥)، سمع الله صراخ الشعب (تذكر العهد خروج ٦: ٥)، وتذكُّر الوصية يعني الالتزام بها (يشوع ١: ٣) ويذكر الرب التقدمات (مزمور ٢٠: ٣).

ويقول المزمور عن طلب الرحمة: "اذكر يا رب مراحمك لأنها ثابتة منذ البدء" (مزمور ٢٥: ٦). وعندما يقول المزمور: "سوف أذكر اسمك في كل الأجيال .."، فهو يعني العبادة والتسبيح (مزمور ٤٥: ١٧)، بل وطلب تدخُّل الله في المزمور: "قم يا الله اذكر تعيير الجاهل إيَّاك اليوم كله" (٤: ٢٢). والاعياد هي ذكرى عجائب الرب (مزمور ١١١: ٤)، وهو ما يطلبه أشعياء من الشعب أن يمجد اسم الرب عندما يذكر اسمه (أش ١٢: ٤).

هكذا يطلب اللص العبراني أن يذكره الربُّ عندما يأتي كملكٍ، أي أن يكون له مكان في مُلك يسوع، ولذلك سمع القول الإلهي: "اليوم تكون معي في الفردوس"، حيث أملك على الأحياء، وعلى الذين سوف أُصعِدهم من الهاوية.

سَبَقَ الربُّ اللِّصَّ لكي يُعدَّ له مكاناً في الفردوس. وأمانة اللص كما تُرتَّل في الكنيسة لا يجب أن تُخضَع إلى لاهوت العصر الوسيط الذي يطلب التوبة والاعتراف للصفح. فاللصُّ لم يطلب الغفران، وإنما اعترف بأن صلبه هو العدل، عدل القانون الروماني، وجاء عدل المسيح:

اليوم تكون معي في الفردوس.

أحباء يسوع هم معه رغم الألم(٧٥)

رأى يسوعُ أُمَّه والتلميذَ الذي كان يحبُّه واقفاً (يوحنا ١٩: ٢٥):

لم تُحاصِركَ الآلامُ في كيانك الجسداني؛ لأن الآلام تُحاصر من يخاف من الموت. لا لأن الموت آتٍ، ولكن لأنك خرجت إلى معصرة الألم وأنت تعلم كل ما يحدث لك.

الألم الجسداني صعبٌ علينا؛ لأن الخطيةَ جعلت من الجسد الوجود الحقيقي، ويأتي الألم ويهدد هذا الوجود. لكنك يا يسوع تعاليتَ على الألمِ؛ لأن حياتَكَ هي مِلكٌ لك (يوحنا ١٠: ١٨)، هي تحت سلطانك، ولذلك، من الصليب ترى الأُم التي ولدتك. قبولٌ تام لتجسدك حتى وأنت في بؤرة الوجع.

قال لأُمه يا امرأة هوذا ابنك (يوحنا ١٩: ٢٦):

خاطب الأُمَّ قبل أن يخاطِب يوحنا. رغم المحبة الوثيقة التي بينه وبين يوحنا، إلَّا أن الأُمَّ لها مكانةٌ خاصة. تلك التي رَضَعَ منها اللبن –وكما يقول القديس كيرلس: وأنت يا يسوع تعطي الطعام لكل الخليقة. وتلك التي جلس على ركبتيها، وهو في نفس الزمان، بل والمكان، جالسٌ على العرش الإلهي الذي نخطئ إذا تصوَّرنا أنه كرسيٌّ له قوائم أربعة، بل هو القوة الإلهية التي تدير العالم؛ "لأنه لم يكن محصوراً في الجسد –كما يتوهم البعض– أو أنه بسبب في الجسد كان كل مكان آخر خالياً منه، أو أنه بينما كان يحرك الجسد كان العالم محروماً من أفعال قدراته وعنايته" (تجسد الكلمة ١٧: ١).

– على ركبتي البتول جلستَ.

– حملتكَ الأمُ العذراء

– أنت حاملُ كلَّ الأشياءِ بكلمة قدرتك (عب ١: ٣)،

(٧٥) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

- لكنكَ تُحملُ كطفلٍ؛ لأنك أحببت الإنسانية
- دعوتَ الأطفالَ إليك وباركتهم، فقد عرفت الطفولة.

يا سيدُ، تلك العلاقة الوثيقة مع أمك، لن يفهمها أيُّ رجلٍ؛ لأن الرجال لا يقدِّمون الحياة من كيانهم، بل يضعون البذرةَ في المرأةِ، ويتركون الحَبَلَ والولادة والرعاية للأم. مَن يفهم هذا إلَّا امرأةً صارت أُمًّا؟

قال للتلميذ هوذا أُمَّكَ (يوحنا ١٩: ٢٦):

عندما قيل لك هوذا أمك واخوتك يطلبونك (ليمنعوك عن التعليم)، قلتَ في حزمٍ: "مَن أمي واخوتي ... لأن مَن يصنع مشيئة الآب هو أخي وأختي وأمي" (مرقس ٣: ٣٤). مَن يصنع مشيئة الآب. ولكنك لم تجعل مِن أيِّ صانعٍ لمشيئة الآب، أباً لك، بل كلُّ إنسانٍ هو أخ وأخت وأُم لك ... هذه المشيئة هي قبول مشيئة الآب، أي تجسدك: "هانذا مكتوب عن أني أجيء لكي أفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٧). وعندما جئت لكي تفعل مشيئة الله، نزعتَ العهد الأول لكي يثبُت العهد الجديد، أو الثاني حيث للآب والابن والروح القدس مشيئةٌ واحدة.

تَبِعَكَ يوحنا الحبيب من المحكمة إلى الجلجثة، كان يتكئُ على صدرِكَ. تلك هي العلاقة الحميمة. محبةٌ هي التي توحِّد الإرادةَ أو المشيئة.

صارت العذراء أُمًّا ليوحنا، وصارت أُمًّا لكل مَن يفعل إرادة الرب. هي أُم النور وأُم الكنيسة. ومَن يمجِّد التجسُّد سوف يجد أنه يمجِّد الأُمَّ البتول.

يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦):

هذه الروح الإنسانية عطيةُ الروح القدس لك. وُضِعَت في جسدك عندما قدَّمَ الروحُ بمسرة الآب، جسدكَ.

تُقدِّمُها أنت وديعةً للآب؛ لكي تصبح كلُّ روحٍ وديعةً.

بسطتَ يديك للمسامير، ووحَّدتَ إرادتك منذ أن تجسَّدتَ، بالآب.

الآن شربتَ الكأسَ، وصارت صلاةُ البستان مسموعةً.

فقد كان الاستعلان لنا؛ لأنك تصلي للآب، ولكي نسمعك.

نحن شركاءُ حياتك في تجسُّدِكَ، وشركاءُ موتك في صلبِكَ.

إن لم نشترك، نصبح مثل متفرِّجٍ، أي مثل اليهود والرومان الذين كانوا واقفين حولك يراقبونك.

يا يسوع، ما أكثر المراقبين الباحثين عن الأخطاء، هم وحدهم جلوسٌ على عرش المعرفة والعدل قوائم عرشهم يحكمون قبل أن يسألون.

أبطلتَ الحكمَ، فكل الأحكام لا تقاس بالموت: "مات لأجل الجميع لكي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل للذي مات لأجلنا وقام ربنا يسوع المسيح (٢كو ٥: ١٤-١٥ تجسد الكلمة ١٠: ٢). ولكن الذين لا يعرفون كيف توحِّدنا المحبة، قالوا إننا لم نُصلب معكَ. ولكن معلِّم الانجيل يقول:

- إننا اعتمدنا لموتك

- متَّحدين معه بشبه موته (رو ٦: ٢-٥).

وقد سلَّم لنا أثناسيوس العظيم أن موتك هو "موت الجميع قد تم في جسد الرب" (تجسد الكلمة ٢٠: ٥).

وسلَّم إلينا أنك قدَّمت ذاتك للآب عندما بذلتَ جسدكَ للموت من أجل محبتك للبشر أولاً: لكي إذا كان الجميع قد ماتوا فيه (في المسيح)، فإنه يُبطل عن البشر الموت وشريعة الفناء لأن سلطان الموت قد أهلك في جسد الرب فلا يعود للموت سلطان على أجساد البشر" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

مات بإرادته وحده وسلطانه:

نحن نموت؛ لأن الحياةَ هبةٌ، ولا سلطانَ لنا على هبة الحياة.

يذكِّرُنا العظيم أثناسيوس بحقيقة هامة في التدبير:

"المسيحُ هو واهب الحياة للآخرين لا يمكن أن يسود عليه الموت، ولو كان إنساناً مثلنا -كما تعتقدون (أيها الأريوسيون)، بل هو بالحقيقة ابن الله؛ لأن جميع

الناس خاضعون للموت" (ضد الأريوسيين ٢: ١٦).

بإرادته وسلطانه وحده جاء؛ "لأن المخلِّصَ لم يأتِ لأجل ذاته، بل لأجل خلاصنا، ولكي يبطل الموت ويدين الخطية" (ضد الأريوسيين: ٥٥).

ويؤكد قوة وسلطان الرب في أكثر من موضع في المقالة الثانية، ولكن هذه العبارات تكفي:

- كان الجميعُ خاضعين للموت
- كان هو مختلفاً عن الجميع
- فقد قدَّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع
- وحيث أن الجميع ماتوا بواسطته (فيه)، هكذا قد تم حكم الموت (٢: ٦٩).
- "لأنه بذبيحة جسده الذاتي، وضع نهايةً لشريعةٍ تحكمُ بالموت، كانت ضدنا. وبسبب تأنس كلمة الله، فقد تمت إبادة الموت، كما تمت قيامة الحياة .. نحن لا نموت الآن لأننا لسنا تحت حكم الموت (أو لا نموت بعد كمدانين)، بل كأُناسٍ يقومون من الموت، ننتظر القيامة العامة للجميع ... التي وهبنا إياها الله" (تجسد الكلمة ١٠: ٥).

سلطان الرب ليس فقط لأنه إلهٌ متجسد، بل لأنه ربُّ الحياة:

أُبيد الموتُ على الصليب؛ لأن جسد الرب القابل للموت (تجسد الكلمة ١٣: ٩ — ٢١: ٥) لأن المخلص لم يأت لكي يتمم موته هو، بل موت البشر (تجسد الكلمة ٢١: ٣). ولذلك "مات الموت" (تجسد الكلمة ٢٧: ١). لقد مات، ولكنه قام؛ لأن الرب بقوته وهو الحياة، "نال الجسد منه قوة" (تجسد الكلمة ٢١: ٥). لقد صار ذلك الجسد القابل للموت هو "جسد ذاك الذي هو الحياة عينها" (تجسد الكلمة ٢١: ٧). ولذلك نقول في القداسات الأرثوذكسية كلها إنه "الجسد المحيي"، فهو ليس حياً فقط، بل "محيياً" أيضاً.

بموتك المحيي وبانفصال روحك الإنسانية عن جسدك، هدمتَ الانفصال. يجب أن نكون على حَذَرٍ يا أحبائي مِن فرض الأفكار الفلسفية القديمة على

التدبير، فالنفس الإنسانية هي الروح الإنسانية. لا يعرف الكتاب المقدس ثلاثية أرسطو وأفلاطون وكبار فلاسفة اليونان القديمة.

يقول الرب في البستان: "نفسي حزينة جداً حتى الموت" (متى ٢٦: ٣٨).

يقول الرب في إنجيل لوقا: "في يديك أستودع روحي" (لوقا ٢٣: ٤٦).

والثلاثية التي نذكرها في صلوات القسمة: "أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا"، ذكرها الرسول بولس العبراني المولد واليهودي سابقاً: "إله السلام نفسه يقدِّسُكُم بالتمام ولتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (أفسس ٥: ٣٣)، وهي التفسير المسيحي للوصية: "حب الرب إلهك مِن كل قلبك ومِن كل نفسك ومِن كل قدرتك" (تثنية ٦: ٤-٥)، وصارت الحقيقة الواضحة هي أن:

- القلب هو الروح
- النفس هي المشاعر
- القدرة أو الإرادة هي التي تُستعلن في الجسد.

ولذلك صيغت الوصية حسب إنجيل مرقس: "حب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك وبكل فكرك وبكل قدرتك" (مرقس ١٢: ٢٨-٣١).

الشرح ضروري من أجل شمولية المحبة، فلا تقف المحبة عند العواطف، بل تصبح في القلب أو الروح وفي النفس حيث المشاعر ومن الإرادة، لذلك نصلي في القداسات من أجل أن يتقدس الكيان الإنساني كله.

أنا عطشان – قد أُكمل:

يقول الشاهد الأمين يوحنا الانجيلي: "بعد هذا رأى يسوع أن كلَّ شيءٍ قد كَمُل" (١٩: ٢٨)، سُلِّمَ إلى الموت، وترك أمه في رعاية يوحنا، واقتسم الجندُ ثيابَه. تماماً كما جاءت كل هذه التفاصيل في المزامير، قال: "أنا عطشان"؛ لكي تتم كلمات المزمور (٦٩: ٢١).

"أكمل التدبير بالجسد" حسب صلواتنا الأرثوذكسية

قال واحد من الإكليروس إن "قد أكمل" تعني أنه دفع الثمن كاملاً. وعندما نَشَرَ ذلك التفسير الغريب حلَّت ظلمةٌ حول المحبة، فلم يكن هناك ثمنٌ يُدفع للآب؛ لأن هذه ليست تجارةً، ولا هي جلسةَ حكمٍ للعدل والرحمة، بل كان فيضُ الصلاح الإلهي الذي سُلِّم إلينا في كتابات الآباء. وعندما نختم صلواتنا بعبارة: "يسوع المسيح الذي تألم بإرادته"، فان الآلام الطوعية ترفض تماماً كل تفسير تجاري لموت الرب:

أولاً: لأن تسبحة البصخة "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد. آمين".

وبعد ذلك:

"قوتي وتسبحتي هو الرب وقد صار لي خلاصاً مقدساً".

نحن في أقداس الثالوث نمجِّد القوي الذي غلب بالضعف، وبالمجد الذي لا يضمحل، أزال هوان الجنس البشري.

والبركة؛ لأنه صار الكرمةَ التي أثمرت وأعطت أغصاناً جديدةً.

والعزة؛ لأنه هو على الصليب هو نفسه "في حضن الآب كل حين" (قسمة عيد الميلاد). لكن الذين يجدون في الانتقام لذةً، وفي السطو على حرية الآخرين سعادةً، هؤلاء لا يقبلون أن يكون التعليم عن الخلاص هو تعليمٌ عن مجانية الخلاص، بل يجب أن يكون مدفوع الثمن —كما قال واحدٌ آخر من الإكليروس أيضاً.

ثانياً: دفعُ الثمن هو تدميرٌ للمحبة الإلهية التي لا تُحاسِب، وهو دستورٌ رسولي (١كو ١٣: ١-٨).

عندما أهملنا الكلام عن المحبة، هدمنا صرح الحياة الأرثوذكسية.

لقد حلَّت الظلمة من الساعة السادسة، وانشق حجاب الهيكل الذي كان يفصل قُدس الأقداس عن القُدس، وهو أي قدس الأقداس الذي يدخله رئيس الكهنة مرةً واحدةً في يوم الكفارة، ولأن الرب يسوع قد ذُبح وهو حمل الفصح الحقيقي. ويوم الصلبوت كان في أسبوع الفصح اليهودي. لذلك دخل المسيحُ

إلى الأقداس غير المصنوعة بيد وانشق حجاب الهيكل الذي كان من المفروض أن يبقى في مكانه؛ لأن الكاهن الحقيقي دخل إلى السماء، حيث "في يديك استودع روحي"، ودخل قدس الأقداس (عب ٩: ٢٣-٢٤).

يقولون لنا دائماً: لماذا يوضع حجابٌ على الهيكل، والحجابُ قد انشق؟ سؤالٌ غير بريء؛ لأن الاسم القديم ليس "حجاب"، بل حامل الأيقونات، ولكن لأن لنا تاريخَ عذابٍ وآلام وهجومٍ متواصلٍ على الكنائس في كل عصور الذين حكموا مصر من الأمويين إلى العباسيين والمماليك وكان عصر العثمانيين هو أسوأ الكل على كل مصر وليس على الأقباط فقط ... كان الترتيبُ هو حفظ الشهادة لوضع الأيقونات أمام المتناولين لكي ندرك أن طريق الشهادة هو طريقنا، والستارة كانت في العصر الوسيط هي لحفظ السر، والتحفظ على الأسرار والخدمة في لحظات الهجوم على الكنائس.

لقد شاهدتُ بنفسي بعض السراديب الممتدة من هيكل الكنيسة إلى مكان آمن يعلو الهيكل ... إن بقاء رسوم التاريخ القديم، هو ذكرى وشهادة؛ لأن "الطريق الضيق" له امتدادٌ في كل العصور.

المسيحُ حيٌّ معنا وفينا[٧٦]

المسيحُ حيٌّ معنا

من السهل علينا أن نقول إن المسيحَ حيٌّ في وسطنا ومعنا حسب الوعد "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر آمين" (متى ٢٨: ٢٠)، ذلك إيمانٌ عام شائعٌ عند كل المؤمنين. لكن "معنا" حسب أسفار العهد الجديد، ليست فكرةً أو إشارةً لفظيةً إلى قدرة الرب الإلهية. حسب التسليم الكنسي، "عمانوئيل" هي "معنا الله"، أي المتجسِّد. ولذلك، للقديس أثناسيوس تعبيرٌ مشهور ورد في أكثر من موضع هو تعبير "الحضور المتجسد"، أو "حضوره متجسداً"، فلا فرق (راجع تجسد الكلمة ١٨ - ضد الأريوسيين ١: ٢٣ — ٢: ٥٥ — ٢: ٦٦). فهو قام حيَّاً من الأموات، وأحيا الجسد لكي يكون معنا إلهياً وإنسانياً في شخصه الواحد غير المنقسم إلى اثنين.

قيامة المسيح جعلته رأسَ الجسد، أي الكنيسة:

بداية الكنيسة هي في مسقط رأس الإنسانية المفتداة في بيت لحم[٧٧]. ففي بيت لحم تمَّ اتحادُ اللاهوت بالبشرية في الشخص الواحد لكي يفتح لنا نحن باب الاتحاد. هو في "حضن أبيه كل حين" حسب قسمة عيد الميلاد، وكان من الضروري أن يفتح لنا نفس الحضن الأبوي لكي نستقر نحن فيه **معه وبه**.

كانت البشريةُ غريبةً عن الله، **أولاً**: لأنها مخلوقة من العدم. **وثانياً**: لأنها اختارت طريق الموت، وهو ذاته طريق الخطية.

وإذا كان طريقُ الموت عائقاً أمام "معيِّة" الله، فالخلقُ من العدم أيضاً عائقٌ لها؛

---

(٧٦) تابع مقالات "مع المسيح، من العلية إلى الجلجثة ومجد القيامة.

(٧٧) عبارة مأثورة للقمص متى المسكين.

لأنه لا يؤهِّل للخلود، ولا يمنح للإنسان حياةً أبديةً. هذا الاغتراب، كان يمكن التغلُّبُ عليه؛ لو ظلَّ الإنسانُ صورة الله (تكوين ١: ٢٦-٢٧ – تجسد الكلمة ٤: ٦). ولكن الإنسانَ اختار طريقاً آخر، وهو أن يكون صورةً لذاته التي لا تملك الوجود الذاتي فسقط في الموت.

جاء ابن الله ونقض العائقين معاً..

+ فقد وحَّد المائتَ بغير المائتِ، أي البشريةَ بالأُلوهةِ.

+ وأباد الموتَ بقبوله الموتِ، وأباد العدمَ بعطية الحياة الأبدية، ونقل أصل الجنس البشري من آدم الذي جلب الموت، إلى كيانه الذي فيه الحياة الأبدية (١كو ١٥: ٤٥ – ٤٧، الرسالة إلى أدلفوس: ٩، ضد الأريوسيين ٣: ٣٣).

ذلك التحوُّل، كان ضرورياً لبقاء الجنس البشري حيَّاً إلى الأبد، ولكي لا يفنى بالموت؛ "لأن الجنس البشري كان سيهلك بالتمام لو لم يكن ربُّ الكلِّ ومخلِّصُ الجميع ابن الله قد جاء ليضع حداً للموت" (تجسد الكلمة ٩: ٤).

لكن جاء الصلبُ ورفَعَ عائقَ الموت والدينونة، وفتح بابَ الشركة. فكيف ينقلُ إلينا المسيحُ ربُّ الحياةِ هذا التحول النهائي؟ التعليم السائد منذ عصر الإصلاح، والذي تفشَّى في مصر هو أن الإيمان بما حدث، لا سيما الصلب، كافٍ جداً، ولكن هذا التعليم مزيَّفٌ بكل ما تعنيه كلمة مزيَّف، للآتي:

أولاً: لأن التجسُّد لم يكن تعليماً فقط، بل حقيقة تأنس ابن الله.

ثانياً: التحوُّل هو تحول كياني تمَّ في آدم الأخير، فقد أخذَ الكلمةُ ابن الله "جسداً قابلاً للموت حتى يمكن أن يُبيد الموتَ فيه، ويجدِّدُ خلقة البشر الذين خُلِقوا على صورته" (تجسد الكلمة ١٣: ٩)، والمقصود هنا هو إبادة الموت من البشرية أو "من داخلنا نحن" (تجسد الكلمة ١٦: ٥).

الاتحاد بالرب يسوع هو اتحادٌ إلهيٌّ سِرِّيٌّ:

أُلوهية هذا الاتحاد عائدةٌ إلى القوة الإلهية التي أبادت الموت، وإلى شخص المخلِّصِ نفسه الإله المتجسد الذي حوَّل كيانه هو بقبوله الموت في جسده. حقاً

نحن نأتي إلى هذا بالإيمان، ولكن الإيمان هو قبول نعمة التحوُّل. هو قبول الحياة الغالبة الموت؛ لذلك تُوِّجَ المسيحُ ملكاً على الجسد، وصار "رأسَ الجسد"؛ لكي من الرأس، تنمو كل الأعضاء، كما ذكر معلم الإنجيل (كولوسي ١: ١٨).

ما حدث للربِّ هو ما يُسلِّمُ لنا باسم "التدبير" من الولادةِ إلى الصعود. هو مراحل تكوين الإنسانية الجديدة، أي إنسانية يسوع. والأمر لا علاقة له بعلم الحركة، فالذين يطبقون ما تعلموه من قوانين ميكانيكا الحركة على تدبير الخلاص، يقعون في أخطاءٍ جسيمة، يظنون بناءً عليها أنه يمكنهم اتهام غيرهم بالهرطقة!!

هذا الاتحاد يسمحُ للجسد بأن ينمو حسب القانون الطبيعي، وحسب نموه الطبيعي، ولذلك هو ينمو مُتَّحداً؛ لأن النمو من خصائص البشرية، وهبةُ الاتحاد هي هبةُ المحبة الإلهية. محبةُ البشر هي محبةُ الطبيعة البشرية، وهي بدورها محبةُ الاشخاص أيضاً؛ لأن محبة الطبيعة بدون محبة الشخص، هي محبة مجردة عقلية ترفض الكيان الإنساني – اللحم والدم، وفي القيامة تحوِّل ذلك اللحم إلى عدم الفساد، وهو ما ندركه سرائرياً في الإفخارستيا عندما نأخذ الجسد الذي لا ينقسم ولا يفسد. وكل الذين حاولوا تحليل السر كيميائياً سقطوا في خطأين:

الأول: أنهم لم يدركوا أن أدوات التحليل هي أدوات مادية فقط، بل والمنهج نفسه أيضاً، فقد سمعنا أن أسقفاً إنجليزياً قدَّسَ كمَّاً من الخمر، ثم أخذه إلى المعمل بحثاً عن كرات الدم، فلم يجد. وبالطبع هي لن تكون؛ لأن هذا الدم ليس دماً بشرياً فاسداً مكوَّناً من عناصر مائتة نراها تحت الميكروسكوب، بل هو هبة الحياة غير الفاسدة المستعلَنة بالروح القدس. هذا ليس هرباً من الإجابة، وإنما هو الواقع الحي: حياةٌ إلهيةٌ لا تسمح بعودة ما هو إلهي إلى ما هو بشري بعد القيامة. ولذلك، الأخوة الذين يظنون أن التناول يجعل بعضَ أجزاءٍ من جسد المسيح يظل بين أسنانهم، عليهم أن يعلموا أنهم قد أعادوا المسيح إلى الموت، فصار يتجزَّأُ إلى أجزاءٍ، وصار قابلاً للفساد بالانقسام. هؤلاء لم يُدركوا حقيقة القيامة بعد.

والثاني: لم يدرك هؤلاء أيضاً أن المجال الإلهي لا يتفوق فقط ويعلو على المجال المادي

بسبب المصدر والقوة المانحة، بل لأن للمجال الإلهي هدفاً أبدياً، وهو إعادة الإنسان إلى حياة عدم الموت، أي الحياة الخالدة الأبدية التي تُعطى لنا في زمان التجديد (متى ١٩: ٢٨)، أي زمان وجودنا على الأرض. هذا المجال الإلهي هو عمل الكلمة المتجسد، وقد فُتِحَ لنا بالقيامة. فالمسيح يدعونا إلى أعماق الله، أعماق المحبة الثالوثية، وإلى السكنى في الثالوث، وبه، أي بيسوع الحي؛ ندخل إلى هذه الحياة الجديدة جداً (رو ٦: ٣)، والتي لا مقاييس أرضيةً لها، بل لا توجد لها مقاييس بالمرة. هذا ليس هروباً من السؤال أو التخفِّي وراء ما هو إلهي، بل هو حقيقة استعلان ما هو سمائي وحي وأبدي في زماننا الذي يعاني من الموت، ويعرف البداية والنهاية، بل البدايات والنهايات كلها. هو زمانٌ عتيقٌ انكسر بالموت، ودخلت فيه الأبدية مستعلَنةً في المتجسِّد ربنا يسوع، وجاء يسوعُ وجلسَ على عرش الألوهةِ بالصعود، حاملاً معه إنسانيةً حيَّةً خالدةً مجيدةً متَّحدةً به؛ فصارت المسافات هي إبراز الاختلافات، والتمايُز لا الفصل بين الكائنات، وصارت السماءُ تُعايَن في الخدمة الإلهية بتسبيح الشاروبيم والقوات العلوية. وعندما نسير في موكب الحياة في الخمسين المقدسة حاملين الصلبان وأيقونة القيامة، فنحن بكل تأكيد نقول إننا دخلنا الميراثَ السماوي بالصليب والقيامة، وإننا في موكب نصرة الحياة(٧٨) مرتِّلين مع "كل صفوف السمائيين"، فقد جاء الذي وحَّدنا بالحياة غير المائتة.

في الحياة الجديدة ندرك ثلاثة أبعاد أساسية، وهي:

أولاً: أنها ليست مِنَّا، ولذلك عندما نبحث عنها فينا، قد لا نجدها؛ لأن مصدرها المسيح والروح القدس.

ثانياً: أنها تُدرَكُ بالمعايشة، وبرفض تطبيق آليات الحياة الاجتماعية واليومية ومثالياتها على الحياة الجديدة. مثل استخدام كلمة "الاستحقاق" بمعناها السياسي، وهو أن تكون قد أديت خدمة شاقة مشرِّفة، في مجال الحياة الجديدة،

(٧٨) للأسف، يُوصف هذا الموكب شعبياً، بأحط وصف: "زفة القيامة".

بينما الملكوت ليس استحقاقاً بهذا المعنى، بل هو للمساكين، والغفران هو للخطاة، والمحبة هي للبشر المنكسرين.

ثالثاً: ما ليس مِنَّا، وما لا يؤخذ حسب معايير ومقاييس الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية، يجب أن يعود إلى مصدر واحد فقط، هو الحي يسوع رب الحياة.

ومعيار الحياة القائمة، ليس أنه بلا موت(٧٩) بل أنه كما نقول في الأوشية: "أيها الطبيب الحقيقي الذي لأنفسنا وأجسادنا يا مدبِّر كلَّ جسدٍ تعهَّدنا بخلاصك".

+ نحن مدعوون إلى اكتشاف القيامة، وإلى اكتشاف حركة الحياة التي جاء بها المسيح الحي، ونقلُهُ لِما في كيانه إلى كياننا الميت.

+ نحن مدعوون إلى الولادة من فوق، ومشكلة معمودية الأطفال التي تتم بدون إعداد يجب أن تُحل على وجه السرعة؛ لكي يدرك الأطفال أنهم جاءوا إلى الحياة الجديدة، ليس من الأب والأم، بل من الله.

+ نحن مدعوون إلى ذات الاتحاد الذي أكمله الرب يسوع في جسده، أي اتحاده بالبشرية، فقد وحَّد أُلوهيته بالبشرية لأجلنا. وعندما يشرد الفكر بعيداً، يظل الكيان الذي وُلِدَ من جديد، هو كيان من نال التبني.

+ نحن مدعوون إلى البحث عن الآثار السلبية التي تركها الموت فينا، وكيف أن الخوفَ على الجسد هو علامةٌ خطيرةٌ تجاوزها شهداء سمالوط، فانقذوا الشجاعة التي نامت تحت ركام الكسل والتراخي.

+ نحن أغصان الكرمة الحقيقية، ومهما حَرَّكَ الريحُ الغصنَ، فإنه يظل ثابتاً في الأصل. إن أفكارنا ومشاعرنا ليست هي مصدر الاتحاد، بل يسوع هو المصدر. ولعل أفدح الأخطاء هو التعبير عن ذلك من خلال العلاقة العاطفية التي تخضع لعواصف العواطف، وهو ما يجعلني حذِرٌ جداً من تراتيل تقال في الاجتماعات لتحريك العواطف الراكدة. لكن اتحادنا بالمسيح هو اتحادٌ إراديٌّ، سواء وُجدت العواطف والمشاعر أو لم توجد؛ لأن يسوع هو "صخر الدهور"، ليس مِن صُنعِ أو فعلِ الإنسان، بل هو هبةُ الآبِ لنا، وهو هبة محبة.

---

(٧٩) أي سلبي، بل إيجابي.

المسيحُ حيٌّ فينا:

إذا كنت أظنُّ أن التوبةَ عن الخطايا هي التي جعلتني مسيحياً، فأنا قد وقعت في عدة أخطاء جسيمة. الذي جعلني مسيحياً هو الولادة من فوق، وهي ليست التوبة، بل تجديد الكيان؛ لأن الذين وُلدوا ليس من دم ولحم، هم بالتالي، ليسوا الذين قرروا بالإرادة أن يتوبوا. والذين ولِدوا ليس من مشيئة رجل، أي نتيجة الزواج، لم يُولدوا ولادةً بيولوجية، بل ولادة من الله، أسَّسها ربنا يسوع المسيح ليكون هو "بكراً بين أخوة كثيرين" (رو ٨: ٢٩). وعليك عزيزي القارئ ألَّا تعبأ بما يلقيه الشيطان نفسه من كلام عن الجوهر والأقنوم والنعمة .... الخ تلك ألاعيب لفظيةٍ لها قصدٌ واحدٌ، هو تشتيت خبر الإنجيل السار، ونقل العطية من الثالوث إلى الصراعات اللفظية الجوفاء، لكي يصبح كل ما لدينا هو إنساني فقط، أي اللغة والمصطلحات والمفردات والمبادئ الفلسفية، بينما يضيع الاتحاد، أي اتحاد المحبة الأبدي.

+ المسيحُ فينا؛ لأننا بدون وجوده فينا، لسنا أبناء، فلا شيء يجعلنا أبناء الله إلَّا حلول المسيح فينا.

+ المسيحُ فينا؛ لأنه حسب صلواتنا: "هو قيامتنا كلنا وحياتنا كلنا".

+ هو فينا إلهياً؛ لأنه الإله، وهو فينا إنسانياً؛ لأنه ينقل من بشريته الحيَّة بالاتحاد بلاهوته إلينا الخلودَ وعدم الموت، وقبل هذا وذاك، المحبة.

+ هو ينقل إلينا المسحةَ التي أخذها من الآب، أي الروح القدس. ويجعل هذه المسحة فينا لكي نتعلم من الروح القدس كيف نحيا، وكيف نعيش، وكيف يثبِّتُنا الروح في الابن المتجسد (٢كو ١: ٢١).

هذا هو زخم القيامة.

جلسَ الربُّ على عرش اللاهوت حيَّاً بعد قيامته وصعوده، وكان يتردد على الأرض لكي يسلِّم التعليم للرسل طوال ٤٠ يوماً، ولا زال يفعل ذلك مع كلِّ إنسانٍ، فهو:

– الراعي الصالح الذي يبحث عن الخروف الضال.

– نورُ العالم الذي يُنير كلَّ مَن غلبته ظلمةُ الشك.

– خبزُ الحياةِ الواهبُ الحياةَ للعالم.

هذا قليلٌ من كثيرٍ نتركه للقارئ، ولكن الأساس الذهبي هو أن كل ما في حياة الرب قد وُهِبَ لنا بالقيامة؛ إذ صار المسيحُ الحيُّ يسكن فينا لنُولَد ونحيا ونتحرك به وفيه.

+ أنت فينا ومعنا، ولا فرقَ بين الاثنين.

+ أنت معنا مَلِكٌ، وفينا حياة.

+ أنت معنا إلهٌ على الكلِّ، وفينا لأننا جسدُكَ.

+ أنت معنا الوسيط، وفينا لأننا أعضاءُ جسدِكَ.

المجدُ لكَ؛ لأنك أحييتنا.

كل عام وأنتم بخير

مع المسيح في تجاربه في البرية(٨٠)

-١-

بعد نداء الآب واستعلان بنوتك: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"، بعد مسحة الروح القدس لتصير المسيح، يقودك الروح نفسه الذي مسحك إلى البرية. لم تكن في البرية شجرة معرفة الخير والشر. أنت تعرف ذاتك ولا تسعى لأن تبرهن لأحد على أنك ابن الله. سؤال الشك: "إن كنت ابن الله" يسعى إلى استعراض القوة. الشيطان محب للقوة، محبة للقوة بلا رحمة، ومحب للقوة بلا حكمة، ومحب للقوة للاستعراض الرخيص. لكنك يا سيد ورب المحبة لم تأتِ لكي تعلن قوةً بل محبة.

محبة الحياة تدعو المجرِّب أن يطلب قوة تحول الحجارة خبزاً (متى ٤ : ٣). التحوُّل هو شيمة الشيطان. في الآرامية، كلمة "شيطان" تعني المتحول دائماً، الذي بلا ثبات. ليس رفضاً لمشورة ولا خضوعاً للوصية، فكلاهما لم يكن المحرك الحقيقي لرفض الطلب، وإنما لأنك جئت لا لكي تحيا لذاتك، الشيطان يحيا لذاته، أنت الوحيد في تاريخ الانسانية الذي عاش لغيره.

"ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". مركزية الخبز هي مركزية الأنا التي تحيا لذاتها من أجل ذاتها، ولكن "يحيا الإنسان ليس بالخبز وحده، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (متى ٤ : ٤). الانسان الجديد يحيا بالخبز وبالكلمة، تلك القوة الفاعلة في لغة الشعب القديم ففي العبرانية "د ب ر" أو "د ف ر" هي عمل وليس كلمة فقط. لقد جئت لكي تحيا للآب وتنقل وعي الإنسان من الذات المنغلقة إلى الذات المنفتحة على عمل الله الذي تظهره الكلمة.

(٨٠) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٦ مارس ٢٠١٥.

-٢-

على جناح الهيكل، وتحت هذا الجناح وادٍ عميق. أخذك المجرِّب (متى ٤: ٥). لم تذهب طواعيةً، بل قادك، وقبلتَ مثل مصارعٍ نبيل كريم، يقبل أن يمسك به الخصم لكي يصرعه (تجسد الكلمة ٢٤: ٣). وسؤالُ الشكِ لم يعد خاصاً بالهوية وحدها، بل شمل مواعيد الله. فلماذا لم ترمِ نفسكَ وتعلن أنك ابن الله؟ من المستفيد؟ الشيطان لن يستفيد؛ لأنه متحول دائماً، والبشر قد ينتابهم الذهول والدهشة، ولكن الشر الأكبر هو أنك دُعيت لأن تتحدى الآب، وأن تدعوه لأن يبرهن على صدقه وأمانته ... في ثنايا هذا التحدي امكانية أن تشكَّ أنت في صدق الآب.

"لا تجرب الرب إلهك"؛ لأن تجربة الرب تعني انعدام الثقة، وانعدام المحبة، بل هي جهلٌ بأمانة الله في صدق ما وعد به.

-٣-

على جبلٍ عال حيث الرؤيا أعظم، وفي منظر ممالك العالم يقول: مَن لا يملك هذه الممالك أنا أعطيها لك. دخل عنوة إلى الكون فاسد المقاصد، لا يريد سوى السرقة، وأن يأخذ ما لا حق له فيه، ولم يخلق له أصلاً. أُعطيك ما لا أملك إذا قدَّمت السجود. هنا، لم يكن الرد كافياً. كان الانتهار ضرورياً: "اذهب يا شيطان" (متى ٤: ١٠). انتهار اللص المخادع الذي لا يملك الأرض. هو يجول كما قال في سفر أيوب، ويزمجر مثل أسد، ولكن عجباً، المتواضع القلب يقف أمام الأسد المفترس؛ لأن المتكبر تخلى عن قوة من يملك كخالق، وهو الله، والمتواضع يضع نفسه في معسكر الحياة والحق في "معية الخالق".

السجود -يا أحبائي- هو تسليم الذات. ليس هو الانطراح على الأرض بعقل يفكر في غير الله ورحمته، من يسجد يُسلِّم لمن يملك كل الكائنات، أي "به نحيا ونوجد ونتحرك".

-٤-

برية العالم يا يسوع ممتدةٌ في البيت والعمل والكنيسة. وفي كل مكان نعيش فيه، تجربة، بل تجارب تحيط بالقوت، بالطعام، وأخرى بمواعيدك، وثالثة بما يجب أن نملكه، لكن مع كل تجربة تظل أنت الراعي الصالح الذي يعطي استنارةً، يتقدم أمام الخروف لكي يقوده ويناديه باسمه؛ لأنك تعرف كل من في قطيع ميراثك.

-٥-

لقد دحرت الشيطان في البرية، وجاء نفس الصوت وأنت معلَّقٌ على عود الصليب: "إن كنت ابن الله خلِّص نفسك وآخرين"، أو "انزل عن الصليب". إنه صوتٌ آتٍ من البرية، ولكن الآن بواسطة البشر من السلطة الدينية الفاسدة، ومن قوة روما الحاكمة، ومع نغمات الاستهزاء والسخرية: "خلَّص آخرين في معجزات الشفاء"، و"أمَّا نفسه فما يقدر أن يخلصها" (متى ٤: ٤١). ولكن الذي جاء، لا لكي يحيا لنفسه، بل لنا، ويعطي حياته طعاماً للآخرين، كان الصليبُ وحده هو طريق العطاء. ومن عرف طريق العطاء الحقيقي، وجد أنه طريق الصليب، ومُعلَن في تعليم المصلوب، فلم ينزل عن الصليب؛ لأنه رغم سخرية وعداوة وشماتة كل من حوله، لم يترك الهدف الذي جاء لأجله؛ لأنه ببذل ذاته سوف يفيق البعض ويعود إليه. قبولُ الشماتة والتعيير، سوف ينهي الشماتة عندما يتحقق الهدف الذي جاء لأجله، وفي نفس مكان صلبه، ارتفع الصليبُ فوق قبة كنيسته تعلِن أن البذلَ أثمر، وأنه لم ينزل عن الصليب لكي يبقى الصليبُ عرشَ المحبة، وعرشَ الله نفسه، وهو ما يرعب الشياطين ويثير غضبهم.

المجدُ للمصلوبِ حُبَّاً من أجلي
تمجيدات للمصلوب في عيد الصليب[٨١]

-١-

المجد لك يا يسوع المصلوب

+ المجد لك يا يسوع المصلوب الذي بموتك المحيي وهبتَ لنا في السر المجيد قوةَ صَلبِك وقيامتك.

+ المجد لك يا يسوع المصلوب؛ لأنك صُلِبتَ في منتصف النهار، لكي تشهد السماءُ قبلَ الأرضِ أن يديك مفتوحتان لتقبلَ في صحبتِك الإلهية وحضنك الإلهي، حتى اللص اليمين.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأنك أيها المخلِّص صلبتَ المحبةَ وسمَّرتها بمسامير الاحتمال.

+ المجد لك يا يسوع الإله الأبدي، الذي غَرَسَ صليبه علامة المحبة في زماننا، مؤكِّداً لنا ثبات مواعيدك بموتك المحيي وقيامتك.

+ المجد لك أيها الراعي الصالح، يا مَن لا تزال تبذل نفسكَ عن الضالين، وبقوة الصليب تعيدهم إلى الآب الرحيم.

+ المجد لك يا محب البشر؛ لأنك أعلنتَ لنا أنه لا محبة حقيقية بلا وجع.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأن قساة القلوب والمتكبرين يجدِّفون على موتك المحيي، لكن موتك على الصليب هو الذي شقَّ قلب الإنسان وأخرج العفونة التي فيه علانيةً.

---

(٨١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في سبتمبر ٢٠١٥.

+ المجد لك أيها المعلم المصلوب؛ لأننا عرفنا فيك البذل الذي شفى قلوبنا من عشق القوة، وبالصليب ثبَّتَّ فينا العطاء.

+ المجد لك أيها النور الحقيقي، الذي على الصليب، أشرق منه نور الغفران، الذي بدد الظلمة القاتلة للمحبة؛ لأن في موتك سادت الظلمة قليلاً وانتهت بصرخة انتصارك: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي".

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأنك أعلنتَ غنى المحبة الإلهية التي لا مثيل لها على الأرض، لأنك البريء القدوس، والحمل الوديع الذي تموت لتفدي العصاة والأثمة من الموت.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأنك مددت يديك بالخلاص عندما لم نطلبك، ولم تطلب التوبة قبل الإيمان.

+ المجد لك يا خالق كل الأشياء؛ لأنك نزلت إلى حفرة الموت مثل الخليقة التي خلقتها، لكي تبدد قوات الموت وتسبي الجحيم، وجعلت من صليبك علامةً أبديةً لمحبتك للبشر.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأنك قمت بجراح الصليب معلناً لنا دوام محبتك.

+ المجد لك أيها المصلوب ربُّ السماء والأرض؛ لأنك أعلنتَ محبتك لنا، رغم أننا لم نطلبها، بل أنت الذي سعيتَ وطلبتَ كلَّ واحدٍ منا، فقد سبقتْ محبتُكَ معرفتنا بك.

+ المجد لك أيها المخلص الصالح؛ لأنك جعلت من البذل والغفران ختم كل تعليم صحيح، وحيثما يكون صليبك، حيثما تكون المحبة ويكون الحق.

+ المجد لك أيها المصلوب بين لصين، والمصلوب في الجلجثة حيث يعذَّبُ المارقون والأشرار، وعلى الجلجثة في ذلك الموضع حيث ظلمة الموت والشر، أشرقتَ بنور الحياة.

+ المجد لك يا مُعلِّم الحق الذي بالصليب زلزل عرش كبرياء الإنسان، وأظهر قوة الله في العطاء، وشفى مَن استُعبِد للقسوة.

+ المجد لك أيها الطبيب المصلوب؛ لأنك جئت بالصليب شفاءً لنا من الموت،

وداويت قسوة الإنسان كملكٍ مملوءٍ من الحنان والرأفة.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأننا بالصليب وبمعرفة محبتك، ننجو من ظلمة هذا الدهر، حيث تملك البغضة والحسد، وتسود الكراهية جالسةً على عرش الشيطان الذي هدمته بزوال الدينونة وبإطلاق سراح المذنبين.

+ المجد لك يا ابن الله الوحيد الذي بالصليب فَتَحَ لنا أحضان الآب، وشفانا من الموت، وأبطل الدينونة لكي نستقر معه في أحضان الآب بك ومعك إلى الأبد.

+ المجد لك يا ابن الله الوحيد الذي كشف لنا أعماق الأُلوهةِ الحقة، حيث كان تدبير الفداء سراً مغلقاً؛ لأن خطايانا كانت تمنعنا من فهمه، وموتنا منع عنا شركة الحياة، فجئتَ لكي تبدد كل هذا.

+ المجد لك أيها المصلوب، يا مَن جعلتَ في قلب كلِّ مَن يحبك جلجثةً حيَّةً يصلب فيها بقوة صليبك الإنسانية القديمة، لتقوم إنسانية جديدة متألقة بمجد أُلوهيتك.

+ المجد لك يا محب البشر الذي سمع أنين الخليقة التي في عطشها إليك عَبَدتْ المخلوقات، ولما جئتَ وصُلبتَ، كشفتَ لنا المحبة الحقيقية للخليقة.

+ المجد لك يا رأس الجسد الكنيسة الذي مَدَّ صليبه وخَتَمَ به كل أعضاء جسده بمسحة الميرون المقدسة، مسحة الروح القدس الذي مَسَحَكَ في الأردن، وبه نُمسَحُ بعلامة الصليب لكي نصير واحداً معك.

+ المجد لك يا حيٌّ إلى الأبد، يا مَن رأيت عبوديتنا للشريعة، ولكنك جئت وكسرت قوة الدينونة، وأعطيت لنا حرية الحياة بالغفران وبعطية الحياة الأبدية.

+ المجد لمحبتك أيها الصالح؛ لأن محبتك مختومةٌ بالدم، ولم تكن ولن تكون كلمةً، بل صار الصليب هو ختم أقنومك الإلهي الذي لا تعبِّر عنه الكلمات.

+ المجد لك أيها المصلوب يا غارس الصليب في قلوب محبيك؛ لأننا نرشم أنفسنا بعلامة الصليب، ونمد أيدينا بالمصالحة والسلام، وعندما رأى القلب كيف غرست الصليب عَلَماً للحياة يرفرف على كياننا، عانقه بفرح.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأنك فتحتَ على الجلجثة بابَ قبولك، ومن آمن بك عاش معك في الفردوس، وصمتَ أيها الحمل الوديع أمام الذي جدَّف عليك.

+ المجد لك يا خالق الزمان كله؛ لأن ختم صليبك فرَزَ زمان الموت عن زمان الحياة، وزمان المحبة والغفران عن زمان الكراهية والموت.

+ المجد لك أيها الغافر كلَّ الذنوب؛ لأنك غفرتَ لصالبيك، حتى الذين علقوك على الصليب، غفرتَ لهم؛ فصار الغفران عملاً لا قولاً.

+ المجد لك يا رب الحياة؛ لأنك قبلتَ الموتَ في حياتك؛ لكي بحياتك تستوعب الموت، وتبيد الدينونة، وتحكم على عجز الدينونة عن أن تخلِّص.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأن صليبك صار لحنَ حياةٍ وظفر في الضيق وفي الألم، في المسرة وفي الحزن.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأن صليبك ليس كلمةً تُنسى وتموت في الذاكرة، بل حقيقة غرستها فينا بالروح القدس.

+ المجد لمحبتك أيها المصلوب، فقد صرتَ أنتَ ميراثي وأنا ميراثك، أنتَ لي وأنا لك، وصار موتك حياةً لي، وصار صليبك ختمَ عهدِ محبتك، منيراً عهد محبتك الأبدية للخطاة.

+ المجد لك يا من أعطيت الصليب سيفاً ذي حدين، يقطع الشرَّ من القلب لكي ينمو الصلاح والخير.

+ المجد لك أيها المصلوب الذي بالصليب ختمَ على ضعف وعجز شريعة العهد القديم معلناً لنا أن قوة الحياة هي تجديد القديم وإحياء الموتى.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأن تعليمكَ حقٌّ خُتِمَ بالدم، وجعل كل قولٍ لك هو حق وفعل؛ لأنه نابعٌ من محبتك الأزلية المستعلَنة في صليبك.

+ عندما سدَّ صليبُكَ أيها المخلص كل طرق ومنافذ الكبرياء، جعلني أحكمُ من كل حكماء الأرض؛ لأنني مِن صليبك شربتُ مِن ينبوعِ الرحمة والبذل، وتعلمتُ حكمةَ المحبة الإلهية.

+ المجد لك يا مُعلِّم الحق؛ لأن صليبكَ هو حصنُ الحق لكل ما هو حق، وما هو غريب عن حضن الحق، هو من الشيطان.

+ المجد لك أيها المصلوب؛ لأن صليبَك غسل الإنسانيةَ من عار الوثنية، وكشفَ لنا جوهر الأُلوهة الذي هو محبة الخلقة والبذل، فلم يعُد فينا خوفُ الوثنية القديم، ولا السعي لأن نرضيك؛ لأنك قبلتنا نحن الساقطين، ولمَّا صُلِبتَ عرِفنا أن جوهر الأُلوهة هو المحبة والبذل.

+ المجد لك يا طريق الحياة الوحيد، الذي غَرَسَ الصليبَ لكي تفترق عنده الطرق، طريق الخدمة والبذل والعطاء، وطرق العبودية والبغضة. حقاً لقد نلنا حريتنا بموتك المحيي لكي نسير معك، وأعطيتنا علامة الصليب التي وإن عجزنا عن إدراك عمقها، لا نعجز عن إدراك قوتها عندما تحررنا.

+ المجد لك أيها الإله الحقيقي؛ لأن الأُلوهةَ الحقةَ كانت مغلقةً علينا، حتى أتيت وصُلبتَ وأظهرتَ لنا أنك بالضعف الذي نراه أنكَ هو القوة الحقيقية؛ لأنك قبلت الموت من البشر الذين أنت خلقتهم لكي تنقذهم من هاوية البغضة، وبالصليب أشرقتَ لنا نور معرفتك الحقيقية.

+ المجد لك يا محب البشر؛ لأن صليبك صار لي أحلى من العسل؛ لأنه يردني إلى تعطفك الذي لا يوصف في ساعات المرارة والأحزان.

+ كانت المحبةُ كلمةً، ولكن بالصلب صارت استعلان شخصِكَ، وحقيقةً تنطق بها جراح جسدك قبل كلماتك السبع على الصليب.

+ المجد لك أيها المصلوب ونور الآب؛ لأن صليبك صار مصباحاً لقدمي، ونوراً لا يراه العالم الغارق في البغضة، والعصا التي أستندُ عليها في ضعفي لكي لا أعثر.

+ المجد لك يا طبيب جسدي وروحي؛ لأنك ربطتني بالصليب رباطاً أبدياً، أوثقتني به في المعمودية، وبه مسحتني بالميرون؛ لكي تجعلني شريكاً لك في محبتك غير المنقسمة.

+ لقد ملأت الشهواتُ قلوبنا بالزّيف والكذب، فصار كلُ واحدٍ منا مثل قبرٍ يأخذ ولا يعطي، وعندما تحرَّر بقوة صليبك، نال قبساً من نور حياتك المصلوبة أيها المخلِّص المصلوب والحي.

-٢-

المصلوب لأجلي

+ المجد لصلبك أيها الرب يسوع، الذي به ثبَّتَ حقيقة التواضع؛ لأنه بدونه لا توجد محبة حقيقية، وبدون البذلِ، المحبةُ زائفةٌ، وبدون الغفران لا تواضعَ حقيقياً، وبدون المصالحة تجف شجرة المحبة، لذلك صار صليبك شجرة الحياة.

+ المجد لك يا مَن بموتك المحيي على الصليب، سَطَعَ نورُ محبتك، فظهرتْ الحقيقة، وانزوت ظلال العهد الأول القديم، واستقر حقُ إنجيلك معلقاً على الصليب مختوماً بدمك؛ لأنك لأجلي صُلِبتَ، ولأجل كل الساقطين أتيتَ، لكي تقيم الساقطين وتحرِّر الأسرى الذي سقطوا تحت حكم الشريعة وساد عليهم الموت، فقتلت الموت بالصليب، وأظهرتَ الحياة الأبدية.

+ المجد لك يا صائد البشر بشبكة الصليب لكي تحرِّرهم من بحر العالم.

+ عندما استنار قلبي بنور صليبك، أيها المخلِّص، وسكن نورك في قلبي، عرفت وَهْمَ القوةِ وبشاعة القسوة؛ لأن جمال محبتك قد غسلني من عار الخطية، فَشَعَّ نورُ صلبك المحيي في كياني الذي حررته من سلاسل الانتقام ورد الاساءة.

+ المجد لك أيها الصالح؛ لأن صلبك هو ميناءُ عزاءِ نفسي، لأن ابتعادي عنك، يوجع قلبي، ولكن صلبك بيدين ممدوتين يعزِّي قلبي.

+ المجد لك أيها المصلوب لأجلي؛ لأن صلبك وحده علَّمَ جحد الذات الحقيقي، فقد هدمتَ سلطان الموت الذي كبَّلَ كياني بالخوف، ومنعني من حرية المحبة ومن الغفران، لكنك ختمتَ كياني بالصليب في سر المسحة بعد أن غسلتني في مياه الحميم من عار الخطية واغتراب الجحيم حيث القساوة والجحود.

+ يا يسوع المصلوب لأجلي، أنت الصخرة التي تتكسر عندها عواصف الدهر حيث غرستَ صليبك، لا على الجلجثة فقط، بل في قلبي؛ لكي لا تجرفني عواصف الحياة الزائلة وتطوِّح بي في هوة الاغتراب عن محبتك.

+ يا يسوع، أنت ينبوع الحياة الذي فاض وروى قلبي وكل القلوب العطشى، وينبوع فيض حياتك، هو صليبك الواهب الحياة.

+ المجد لك أيها المصلوب إلى الأبد بالعطاء؛ لأنه بصليبك، صارت هبة الحياة دائمة الانسكاب هنا في هذا الدهر وفي الدهر الآتي.

+ المجد لك أيها المصلوب لأجلي؛ لأنني بصليبك نلت الحرية من كل احتياج، فصار اتحادي بموتك المحيي عربون قيامتي.

+ قبل خلق العالم أردت أن تأتي إلينا متجسداً، وأن تشاركنا حياتنا التي أسرها الموت، وسقطتْ تحت الدينونة، وحسب تدبيرك الأزلي، كان صلبك كائناً في قلبك، لكي إذا سطعَ نورُه في زماننا، يُحضِرُ إلينا نورَ محبتك الأزلية.

+ المجد لك يا مَن رأيتني قبل أن أكون، ومن أسر الطبيعة دبَّرتَ حريتي بصليبك المحيي، وبه شفيتني من عبودية الطبع لأركان الدهر.

+ المجد لصلبك لأجلي؛ لأن صليبك يسحق قوة الأعداء غير المنظورين الذين يقدِّمون مشورة الموت، لكي نترك طريق الشركة في حياتك ونسلك طريق الشر الذي نختاره بعمى روحي، لكن صليبك أزال غشاوة الخداع وأنار عقولنا بنور محبتك الغافرة التي تقبل الكل بلا سبب سوى صلاحك الذي لا سبب له.

+ عندما صرخ اللص: "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك"، لم ترفض صرخة ذلك العنيد الشرير السارق، بل لأنك محب البشر، فتحتَ له الفردوس لكي يعرف محبتك.

+ المجد لصليبك يا واهب كيانك لك؛ لأنك جئت إلى باب الموت ودخلته لكي تبيده، وعُلِّقتَ حياً، ونزلت إلى الجحيم حياً بنفسِكَ الإنسانية، وقمت حياً بالجسد والنفس، وأبدْتَ انفصال النفس عن الجسد أي الموت ثمرة الخطية، وحوَّلته إلى مسيرةٍ لقيامةٍ أفضل.

خميسُ العهد،
نحن وهو جسدٌ واحدٌ[٨٢]

حتى لا نجهل التاريخ

نحن نحارب الاتحاد؛ لأننا نعيش الانقسام والتشرذم. نحن نحب الانفصال ولا نقوى على مواجهة الحقيقة الأبدية: إننا مع يسوع المسيح الإله المتجسد، صرنا الجسد الواحد الكنيسة (١كو ١٢: ١٢ مع ٢٧). وظل تحدي الاتحاد ماثلاً منذ أن صُلب الرب وقام لكي "يجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥١). هكذا صارت الأمور، حربٌ من الداخل مع الهرطقات، ومع معلِّمي الكذب، وكلها تصب في اتجاهٍ واحدٍ وهو مقاومة اتحادنا بالرب.

أولاً: حاربت الغنوسية التجسد بكل أسلحة الفلسفة الوثنية التي تكره الجسد، ودخلت معها بدعة "المشبهة" تلك التي حاربها أغناطيوس الأنطاكي، والتي ادَّعت أن جسد يسوع خيالٌ أو شَبَهٌ. وحتماً لا يتحد البشرُ بخيالٍ كما ان الاتحاد متعذِّرٌ بما نكره وهو الجسد.

ثانياً: حاربت الأريوسية أُلوهية الابن، وكأن علاقتنا بالمسيح هي ذات العلاقة مع نبي ومعلم وقائد وبطل مثل شخصيات العهد القديم، أو أبطال الميثولوجيا اليونانية والوثنية.

تجسَّدُ الإله هو اتحاده بنا، وإذا نزعنا الأُلوهة، لم يعد لنا قوةٌ تجمع، فالجسد والانتماء البشري إلى جماعةٍ لا يمكنه أن يوحِّد أيَّ جماعةٍ. تسقطُ الكنيسةُ من جسد المسيح إلى فراغ الانتماء إلى "تجمُّعٍ بشري". وجسدُ المسيح ليس تجمعاً بشرياً، إنه العطية الإلهية الموحِّدة والمرفوضة، ليس في الأريوسية وحدها، بل في النسطورية أيضاً؛

(٨٢) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ابريل ٢٠١٦.

لأن النساطرة لا زالوا أحياء عندنا فقط. حذفوا التعليم النسطوري الذي يهاجم والدة الإله، ولكنهم أبقوا على التعليم النسطوري الذي يقول بأننا نأخذ جسد المسيح فقط وليس أُلوهيته. وذهبت النسطورية الحديثة إلى ما هو أبعد، فجعلت اتحاد اللاهوت بالناسوت قاصراً على الرب وحده بادعاءٍ شيطاني، بأن اتحاد الرب بنا كما اتحد بناسوته، هو إهانةٌ لمقام وكرامة ابن الله، وهكذا قدموا اتحادين:

- الاتحاد الأقنومي الخاص بالرب.

- اتحاداً غامضاً بين الرب يسوع وبين جسده الكنيسة. ومِن هذه الفكرة الشيطانية، جاء التعليم بالأجساد الثلاثة عند إمام النساطرة في العصر الحديث.

ولو كان للرب جسدين أو ثلاثة، فقد سقط الخلاص برمته في بئر خيالات العقل وصحراء فارغة ليس فيها إلا تفاهات العقل التي تريد الانفصال.

هكذا وُلِدت مدرسة الانفصال، وهكذا سارعت بعد ذلك إلى الأوطاخية، الشر الحقيقي الذي علَّم بذوبان ناسوت الرب مثل نقطة عسلٍ، أو خل في بحر من الماء. ضاع تجسد الرب وضاع اتحادنا.

المبدأ الإلهي الأول:

إن ما يجمعنا في الاتحاد بالرب يسوع ليس هو الألوهة، بل القاسم المشترك، أي الناسوت. **ولذلك، الناسوت، أو الطبيعة الإنسانية** هو ما يجعلنا "أخوة" و"شركاء الرب".

المبدأ الإلهي الثاني:

ولكن، ولأن "الجسد لا يفيد شيئاً" حسب قول الرب في (يوحنا ٦: ٦٣)؛ فإن هذا الجسد لم يكن جسداً منفصلاً عن الأُلوهة الخاصة بالابن، بل تمجد ذلك الجسد (فيلبي ٣: ٢١) وصار جسد مجده (فيلبي: ٣: ٢١) ومن هنا جاء الاتحاد بنا.

- من تجسُّد الرب جاء إلينا الميلاد البتولي بالمعمودية؛ لأن المولود من الروح القدس ومن مريم العذراء، وَلَدَنا فيه من الروح القدس ومن مياه المعمودية، لأننا صرنا جسداً واحداً معه.

– وباتحادنا بالرب المتجسِّد جاءت إلينا بتولية الرب نفسه وعفته، المنحة الإلهية التي وُهِبَت للعذراء والنُّساك والرهبان والراهبات لأنهم صاروا جسداً واحداً معه.

– وبنفس اتحاد الرب بنا، أخذنا نحن الذين قبلنا شريعة الزواج، أن نتعلم سر زواج الرب بالكنيسة (أفسس ٥: ٢٨)، وأن نتعلم هبة البذل والعطاء كما أحب الرب جسده الكنيسة.

– وعندما نتحد بذبيحة الرب، أي جسده ودمه، فإن كل قوى الانفصال الكامنة في الخيال وفي العقل ومن الثقافة، تنال التطهير، ونأخذ من الرب قوة الصلب والقيامة: "آمين. آمين بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة ..."، ولأننا في السماء: "وبصعودك إلى السموات نعترف". وعندما يحل الروح القدس، نصير نحن ما أخذناه، ويتحقق كمال النعمة، أي نصبح هياكل الروح القدس، وهي في الواقع، هيكل واحد؛ لأن التعدد هو تخصص وليس تعداداً حسب الأرقام. التعدد هو توزيع وليس انفصالاً، والحساب هو حساب التوزيع حسب تعدد المواهب، ولكنها كلها تعود إلى الروح الواحد (١كو ١٢: ١-١٢) الذي لا ينقسم.

خميس عهد الرب:

في العلية تجلى سِرُّ الرب. أعطى ذاته بدون مؤامرة اليهود، وبدون خيانة يهوذا.

صار عهد الرب أن يعطي حياته لنا، ففيه ننال مسحته ونُمسح فيه، وبه ونال الاتحاد بقوة صلبه وموته وقيامته لكي ندخل أعماق سر تجسده وصلبه، ولكي نهتف مع رسوله الأمين: "مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا"؛ لأن الانفصال انتهى، بل "المسيح يحيا فيَّ" (غلا ٢: ٢٠).

سوف آتي إلى مذبحك المقدس، وهو شخصُك، وهو أنت،

عند المائدة الإلهية؛

لكي اتَّحد بكَ، وأصير معك واحداً،

لكي أنال شركة في ميلادك البتولي، وعطاء محبتك، وبتوليتك،

وانتصارك على الشيطان في البرية،

وقوة صلبك لكي أعبُر الصراع في زماننا،

وعظمة ومجد قيامتك لكي أصير فعلاً معك واحداً.

مع المسيح من العلية إلى القيامة
حسب قطمارس أُسبوع الآلام
شهادة لتعليم آباء الإسكندرية(٨٣)

(١)

إيقاع لحن لاهوتي صافٍ:

يخدم الكاهن بصلاة البركة الخاصة بأسبوع الآلام:

"يسوع المسيح إلهنا الحقيقي الذي قَبِلَ الآلام بإرادته وصُلِبَ على الصليب لأجلنا". قبول الرب الآلام اختيارياً برغبة الآب (يوحنا ١٠: ١٨)، هو قبول الصلاح والقوة والمجد والعظمة التي تسبِّح بها الكنيسة طوال أسبوع الآلام: "ثوك تيه تي جوم ..."، ولذلك بعد قراءة "الطرح" أي تفسير مختصر في شكل عظة:

"المسيح مخلصنا جاء لكي يتألم
لكي بآلامه يخلصنا".

ويجيب الشعب:

"فلنمجده ونرفع اسمه
لأنه صنع معنا رحمةً
كعظيم رحمته".

ويمضي ذات الايقاع اللاهوتي الفخم في ختام الطلبة:

"يا ربنا يسوع المسيح الذي صُلِبَ على الصليب

---

(٨٣) مقالان نشرا على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٢، ٢٩ ابريل ٢٠١٦.

اسحق الشيطان تحت أقدامنا".

وفي طرح الساعة الأولى من ليلة الاثنين:

"فقال ربنا يسوع قد أتت الساعة لكي يتمجد ابن الإنسان. وابتدأ يرمز بهذا الكلام عن موته المعطي الحياة .. نحن أيضاً نؤمن أن هو بالحقيقة نور الآب الذي أرسله إلى العالم، أضاء علينا بمجد لاهوته نحن الجلوس في الظلمة وظلال الموت وأصعدنا إلى العلو الأول (رتبة آدم قبل السقوط) من هوة آثامنا".

وهكذا يوصف الرب يسوع:

"يسوع هو ملك النعمة والخيرات، المكمل السلام. الذي أنعم على جنس البشر بشركة ملكوته" (طرح الساعة السادسة من ليلة الأربعاء).

كيف عبَّر طرح الساعة الأولى من ليلة الخميس عن صلاة الرب بعد أن سمعنا قراءة (يوحنا ١٠: ١٧-٢١).

"ربنا وسيدنا وملكنا المسيح يُظهِر لاهوته وسلطانه أنه الإله المتعالي على كل رئاسة وكل سلطان في السماء وعلى الأرض. فلذلك قال: إن الآب يحبني، فأنا أضع نفسي لكي آخذها وليس أحد ينزعها مني، لكني أنا الذي أضعها بإرادتي، فإن لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها".

من باكر الخميس دخل هذا اللحن في صلاة العشية، وتحول إلى صلاة:

"هذا الذي أصعد ذاته (قدَّم نفسه)

ذبيحةً مقبولةً على الصليب عن خلاص جنس البشر

فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة".

كانت ذبيحة المساء في زمن الرب هي ما يسمى "منخة" أي "منحة"، وليس ذبيحة شكر، ولذلك يعقب هذا اللحن قراءة البولس (أفسس ٢: ١٣-١٨) عن السلام والمصالحة وهدم عداوة البشر وخلق الاثنين (اليهود والأمم) إنساناً جديداً.

المسيح الفصح الحقيقي:

من كلمات طرح باكر يوم خميس العهد:

"تعالوا أيها الأمم وافرحوا وتهللوا، لأن الله الكلمة صار لكم فصحاً، الفصح الأول الذي بالخروف خلَّصَ الشعوب من عبودية فرعون. والفصح الجديد هو ابن الله الذي خلَّص العالم من الفساد، وبأنواع كثيرة وطرق شتى أعد الخلاص (النجاة الأبدية) لكن هذا الخلاص هو لكل العالم من مشارق الشمس إلى مغاربها، جذب كل أحد إلى علو رحمته ورأفته التي كان يصنعها. وأظهر لهم كثرة نعمته التي أفاضها على كل موضع من المسكونة. أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له وتفضَّل علينا بصلاحه".

مَن درس الرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولي يسمع ليس فقط ذات الكلمات، بل ذات التسليم الرسولي:

الرسالة الأولى عام ٣٢٥ وهو يصف الفصح القديم إذ يكتب:

"كانت الشريعة مطلوبة، والظلال رغم أنها ظلال، إلا أنها كانت مناسبة وسامية؛ لأنها استطاعت أن تضع الخوف وأن تغرس الهيبة في الذين سمعوها. والآن نقول إن هذه كانت رموزاً وتمت كظلال، ولكن علينا أن نعبر إلى المعنى ونترك الرمز تماماً لكي نأتي إلى الحق وأن نرى أن أبواق مخلصنا تبوِّق بصوتٍ عالٍ، وتدعونا أحياناً إلى الحرب التي قال عنها بولس المغبوط: "صراعنا ليس مع لحم ودم، بل مع الرؤساء والقوات وسلطان الظلمة في عالم الظلمة وأرواح الشر التي في السماء" (أفسس ٦: ١٢). وأحياناً الأبواق تدعونا إلى الصوم، وأحياناً أخرى إلى العيد. وهنا أيضاً نفس الرسول يبوِّق ويعلن: المسيح فصحنا قد ذُبِحَ، فلنعيِّد العيد، ليس بالخبز القديم ولا بخمير الرياء والشر" (١كو ٧: ٧، ٨).

وفي الرسالة الفصحية الثالثة عام ٣٣١ يقول:

"المسيح فصحنا وقد ذُبِح "لكي نتأمل أزلية الكلمة ونأتي إليه لكي نخدمه".

وفي الرسالة الفصحية الرابعة عام ٣٣٢ يقول:

"في إسرائيل القديم كانت الرموز قد أُعطيت أولاً .. ولكن الآن أيها الأحباء لقد تمَّت الظلال وظهر معنى الرمز، وعلينا أن لا نعيِّد حسب الرمز ولا أن نذهب إلى أورشليم الأرضية (للعيد) لكي نذبح الفصح حسب الممارسات الطقسية لليهود التي تتم في مواعيد محددة؛ لئلا نفقد معنى (العيد)، بل أن نحتفل (بالعيد) حسب تسليم الرسل لكي نذهب إلى ما هو فوق الرموز وننشد النشيد الجديد".

وفي الرسالة الفصحية الخامسة يقول:

"إن الله يا أحبائي، الله نفسه هو الذي أسس هذا العيد ... هو الذي ذبح ابنه للخلاص وأعطانا سبب (وجود) هذا العيد المقدس .. وهو الذي يقودنا إلى الأمام من الصليب في هذا الدهر الحاضر والذي فيه يعطي لنا الله نفسه الفرح بالخلاص المجيد .. لقد حرر العالم بدم المخلص".

ذبح اسحق وإبادة الموت وفرح القيامة:

حسب القطمارس، تحتوي نبوة الساعة التاسعة من يوم الخميس على قراءة تقديم اسحق (تك ٢٢: ١-١٩) ويضاف اليها نبوة من أشعياء النبي (٦١: ١-٦).

وفي الرسالة الفصحية السادسة يشرح المعلِّم السكندري العلاقة بين تقديم اسحق ونبوة أشعياء وصلب المخلص، فيكتب:

"لقد رأى البطريرك إبراهيم يومه (يوم يسوع) وفرح؛ لأن يوم الرب كان هو اليوم الآتي (يو ٨: ٥٦ — عب ١١: ١٧) وعندما جُرِّب بالإيمان، قدَّم اسحق لكي يقدِّمه ذبيحةً، وهو ابنه الوحيد الذي به قد قَبِلَ المواعيد. وعندما قدَّم ابنه، سجد لابن الله، وعندما مُنِعَ من ذبح اسحق، عاين المسيح في الكبش (تك ٢٢: ١٥) الذي قُدِّم ذبيحة لله. لقد جُرِّبَ البطريرك في ابنه اسحق، ليس لأنه صُلب وإنما لأنه هو الذي أشار إليه أشعياء: "كشاةٍ تساق للذبح وكنعجةٍ صامتةٍ أمام الذي يجزها" (٥٣: ٧) رفع خطية العالم.

ولم يحقق موت اسحق حرية العالم، بل موت المخلِّص وحده. لقد أقام الساقطين، وشفى المرضى، وأطعم الجوعى، وملأ احتياجات الفقراء، وما هو فائق وعجيب ويفوق كل هذا، أقامنا نحن الأموات، وأباد الموت، ونقلنا من التنهد إلى تعزية وراحة هذا العيد الذي يصل فيه الفرح إلى السماء نفسها .. لأن السماء تفرح معنا ومعنا كنيسة الأبكار".

عظة لأبينا أنبا أثناسيوس الرسولي رئيس أساقفة الإسكندرية:

"إن المسيح جاء بذاته، ولمحبته مات عنا. لأنه لم يخلقنا نحن الخطاة مثل آدم ويصيرنا بشراً فقط، بل لما أهلكنا أنفسنا بالخطية جاء وتألم عنا وأحيانا بمحبته. لأنه جاء إلينا كطبيب معلنا لنا ذاته. لأنه لم يأتِ الينا كمرضى فقط، بل كموتى. بهذا لم يشفنا نحن المرضى فحسب، بل أقامنا نحن الأموات الذين ابتلعنا الموت ففكنا من رباطاته. لهذا مات المسيح الرب عنا لكي نحيا معه إلى الأبد. لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلِّص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح وانهزم وسُبِىَ مضطرباً. ورجع إلى الجحيم مع قوته إلى خلف، لما سمع صوت الرب ينادي الأنفس قائلاً: اخرجوا من وثاقكم أيها الجالسون في الظلمة وظلال الموت. اخرجوا من وثاقكم فأنا أبشركم بالحياة، لأني أنا هو المسيح ابن الله الأبدي".

هذه العظة القديس أثناسيوس الرسولي التي تُقرأ في الساعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة، هي من القطع النادرة، فهي ملخص وافٍ لمعظم ما كتبه القديس أثناسيوس عن موت الرب وقيامته وعمله معنا وفينا كمخلص:

أولاً: أحيانا بمحبته: "كان الجميع خاضعين للموت والفساد، فقد بذل جسده عن الجميع .. من أجل محبة البشر (تجسد الكلمة ٨: ٤).

ثانياً: لأنه لم يأتِ إلينا كمرضى فقط، بل كموتى، أقامنا من الأموات: "إذ كان الجميع قد ماتوا فيه ... فإن البشر الذين رجعوا إلى الفساد بالمعصية، يعيدهم إلى عدم الفساد ويحييهم من الموت" (تجسد الكلمة ٨: ٤).

ثالثاً: أقامنا نحن الأموات: "لأنه بذبيحة جسده الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت. .. فبسبب تأنس كلمة الله فقد تمت ابادة الموت وتمت قيامة الأموات" (تجسد الكلمة ١٠: ٢٥).

رابعاً: جاء إلينا كطبيب معلنا لنا ذاته: "أتى إلى عالمنا كلي القداسة ابن الآب إذ هو صورة الآب ... حتى يستطيع الذين لا يريدون ان يعترفوا به من خلال أعمال عنايته وسلطانه .. ان يعرفوا كلمة الله الحال في الجسد ومن خلال الكلمة المتجسد يعرفون الآب" (تجسد الكلمة فصل ١٤ كله).

هزيمة الجحيم وإبادة الموت:

طرح الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة:

"مَن يبشِّر المسبيين بالذي ذاق الموت عنهم؟ ومَن الذي يسبق إلى الفردوس فيهيئ الطريق للملك افرحوا اليوم أيها الأبرار والأنبياء البطاركة والصديقين. والإنسان الأول الرأس الذي عَتَّقَ في الحزن قد تجدد اليوم بالإنسان الجديد الذي قتل الموت وأبطل عزته وكسر شوكته المرة، وقطعها الله الكلمة بكليتها. ومضى إلى الجحيم بالنفس التي أخذها من طبيعة آدم وجعلها واحداً معه والنفوس التي كانت في السجن أصعدها معه كعظيم رحمته. والعدو الأخير الذي هو الشيطان قيده بالقيود والسلاسل.

فلما رآه البوابون الأشرار والقوات الكائنة في الظلمة هربوا. ولم يطيقوا الثبوت لأنهم عرفوا قوته وكثرة جبروته. فكسر الأبواب النحاس بسلطانه والمتاريس الحديد سحقها. أما المسبيون فلما رأوا الرب يسوع مخلص نفوسهم، صرخوا قائلين: حسناً جئت أيها المنقذ عبيده ... وأدخلهم إلى الفردوس مسكن الفرح والراحة".

في الرسالة الفصحية الثانية سنة ٤١٥ يقول القديس كيرلس الكبير:

"لقد أرانا طريق الخلاص، ليس لنا وحدنا، بل أيضاً نزل فبشَّر للأرواح التي عصت قديماً في العالم السفلي —كما قال بطرس (١بط ٣: ١٩-٢٠)؛ لأن محبته

لن تُعطى لفئة قليلة، بل استعلان العطية قد شمل كل الطبيعة، وقد سبق وتكلم في إيجاز بواسطة الأنبياء: مكان واحد ينزل عليه المطر أما المكان الذي لم ينزل عليه المطر سيظل جافاً" (عاموس ٤: ٧). ولكن الكلمة الخاصة ببشارة المخلص هي "تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨)، وعندما أعلن هذه البشارة إلى الأرواح في العالم السفلي قال للذين في السلاسل "اخرجوا من الظلمة واظهروا" (أش ٤٩: ٩ س) فأقام هيكله في اليوم الثالث وجدَّد الطبيعة لكي تنال الصعود إلى السماء، مُظهراً ذاته للآب كباكورة الثمار، أي باكورة الإنسانية بعد أن منح للذين على الأرض نصيباً في الروح كعربون نعمة".

مع المسيح من العلية إلى القيامة
حسب قطمارس أُسبوع الآلام
شهادة لتعليم آباء الإسكندرية

(٢)

الجمعة العظيمة – جمعة الصلبوت

ثلاثةُ عناقيد من العنب، الأول هو النبوات، وسوف تجد شرح الالآم الرب في نبوة أشعياء النبي للقديس كيرلس الكبير. والثاني هو مزمور "كرسيك يا الله". والثالث هو قِطع الساعة السادسة والتاسعة التي نصليها كل يوم في صلوات السواعي (الأجبية).

من عناقيد العنب الثلاثة نجد أولاً قوة المخلص والفادي الذي جاء لكي يدوس كل ما هو فاسد، الموت بشكل خاص، وأن يرفع الدينونة لا أن يحكم عليه الآب -كما ساد في العصر الوسيط وعصر الإصلاح بعد ذلك- لأننا هنا أمام الخلاص العظيم، وهو كما نجد في القراءات التي تعرف باسم "الباركليت"، وهي أربعة فصول تبدأ من يوحنا ١٣ وتنتهي بصلاة الرب في يوحنا ١٧ وتعليق طرح الساعة الأولى من ليلة الجمعة واضح: "هذه هي الوصايا التي قررها مخلصنا مع تلاميذه ...".

وحسب استخدام كل الكنائس الأرثوذكسية، فإن نبوة أشعياء بالذات من الترجمة السبعينية التي قام بها يهود الإسكندرية، وهي تمثل التقليد اليهودي، وهي كما سيرى القارئ تختلف عن النسخة العبرانية؛ لأن يهود الشتات كان لديهم وعي أعظم من يهود فلسطين بمجيء المخلص، ولذلك جاءت الترجمة اليونانية حاملةً

معها التراث اليهودي الخاص بالمسيح، وهو ما جعل يهود فلسطين يمنعون قراءة السبعينية. وقد عثر على صفحات من الترجمة السبعينية في مجمع بن عزرا في مصر القديمة تعود إلى القرن الخامس الميلادي وربما قبل ذلك، فهي بذلك تُعدُّ من أقدم الوثائق الخاصة بالعهد القديم[٨٤].

أولاً: القطمارس القبطي لا يختلف عن القطمارس اليوناني أو السرياني؛ لأن نفس النبوات تجدها خاصة بأسبوع الآلام مع اختلاف الترتيب.

ومراجعة عظة القديس أثناسيوس الخاصة بالساعة الثالثة، تؤكد لنا أن قوة المخلص هي الشفاء ورد الحياة وسبي الجحيم، ولذلك تحرص الكنيسة على قراءة (كو ٢: ١٣-١٥):

- نحن الأموات في خطايانا أحيانا معه.

مسامحاً لنا بجميع الخطايا

والرب لم يدفع ثمن الخطايا، كما هو شائع عند الإنجيليين وبعض الأرثوذكس الذين يجهلون التسليم الكنسي، بل محا الصك الذي كان علينا .. وقد رفعه من الوسط مسمِّراً إياه بالصليب".

وبذلك فَقَدَ الصك القيمة؛ لأنه مُزِّق عندما سُمِّرَ في الصليب، وهو ما تحرص عليه صلوات قطع الساعة السادسة. ويحرص طرح الساعة الثالثة على أن يؤكد أن الرب يسوع هو الإله الكلمة مخلصنا كالتدبير، لبس الجسد القديم الذي لأبينا آدم أول الخليقة، وصار اللاهوت السمائي متحداً بالبشرية بغير استحالة لا تُدرك. هي الحُلة التي لا تتغير المتحدة بالإله الكلمة .. ولاحظ أن نبوة أشعياء (٥٣) تؤكد أن الآب "شاء أن يشفي جراح نفسه".

ثانياً: صُلِبَ في اليوم السادس وفي الساعة السادسة. اليوم السادس هو نهاية الخلقة

---

(٨٤) أقدم إشارة إلى الترجمة اليونانية وردت في خطاب Aristobulus من يهود الاسكندرية عاش في القرن الثاني قبل ميلاد ربنا بالجسد وذلك ان ترجمة التوراة اكملت في عهد بطليموس فيلادلفوس. ولا تزال طبعة Lanclot Brenton التي صدرت في 1986 وطبعت عدة رات هي الطبعة المستعملة حالياً في أغلب الجامعات.

الأولى، ولذلك جاء صلب المخلص في يوم الجمعة، أي يوم الاستعداد للسبت لكي يبدأ الاسبوع الجديد، وهو اليوم الأول، أي يوم قيامة الرب من الأموات "أول الأسبوع"، وهو يمزق "صك خطايانا"، وليس خطية آدم وحده.

ثالثاً: انتصار المسيح هو: "قتلت الخطية بالخشبة وأحيت الميت بموتك الذي هو الانسان الذي مات بالخطية". كانت الخطية تجلس على عرش اسمه الموت (رو ٥: ٢١)، ثم جاء الربُّ وهدم هذا العرش، وسقط مُلك الخطية. لذلك يقول طرح الساعة السادسة: "يا مَن علَّقتَ الأرضَ كلها بكلمة من فمك وصُلبت لأجل خطاياي وأبطلت عز الموت يا سيدنا بصليبك يا ذا القدرة المنيعة".

رابعاً: لقد قتل الربُّ الموتَ بموته كما يؤكد ذلك التسليم الكنسي في القطعة الثالثة من صلاة الساعة التاسعة:

- يا من وُلدت من البتول
  واحتملت الصليب
  قتلت الموت بموتك
  أظهرت القيامة بقيامتك".

هذا هو كمال التدبير، ولعل طرح الساعة التاسعة يكفي:

"الإنسان الأول الرأس الذي عَتَّق في الحزن
قد تجدد اليوم بالإنسان الجديد الذي قتل الموت وأبطل عزته
وكسر شوكته المرة، وقطعها الله الكلمة بكليتها".

ملحق
شرح نبوة أشعياء ٥٢: ١٣ – ٥٣: ١٢
حسب نص الترجمة السبعينية
للقديس كيرلس الكبير

"عندما يقول: "انظروا عبدي سيفهم" (٥٢: ١٣)، فالله الآب يتكلم علانيةً عن المسيح مخلصنا جميعاً. ولنفهم نحن أن "عبدي" هو الابن الذي رغم أنه الله ورب الكل، إلا أن الكلمة "أخذ صورة العبد" (فيلبي ٢: ٧)، ودخل إلى محدوديات الإنسانية. "لأنه لم يعتبر أن المساواة بالله اختلاساً، بل أخلى ذاته .. وُلِدَ في شبه البشر وصار في شكل إنسان ووضع ذاته" (فيلبي ٢: ٦–٨).

لمَّا تأنس وضع ذاته، وبلا أدنى شك دُعي "عبد"؛ لأنه أخذ "صورة العبد". لكن النبي يقول: "سيفهم"، وهو يقصد أنه سوف يفعل كل الأشياء بفهم وحكمة ويتكلم بما يليق بالله. وحقاً كان عمله هو حكمة تليق بالله؛ لأن الابن الوحيد كلمة الله أخذ الجسد لأجل الآخرين، أي نحن. وصار فقيراً بيننا على الأرض لكي ما نغتني نحن بفقره (٢ كو ٨: ٩)، وبالإيمان به نغتسل من خطايا دنسنا؛ لأن الشريعة التي أُعطيت بموسى كانت لا تقدر أن تنزع الخطايا (عب ١٠: ١١). ولكن بموت جسده الخاص به أباد الموت (راجع عب ٢: ١٤)، وحوَّل ما هو بائد، وخلق من جديد الذين ساد عليهم الموت، فصاروا عديمي الفساد. وجعل الذين على الأرض مواطنين في السماء لكي يوحِّد في ذاته كل الغرباء عن الله الآب، ويبشِّر بالعتق للأسرى، والبصر للعميان (أش ١: ١١) "ويشفي المنكسري القلوب" (أش ٦: ١١ — مز ١٤٧: ٣)، ويُفزع الجحيم ويطلق سراح الذين ملك عليهم الشيطان بالقهر.

لذلك يقول "عبدي سيفهم"؛ لأن كل ما فعل قد فعله بالحكمة، وحسب المزمور "بالحكمة خلق كل الأشياء" (مزمور ١٠٤: ٥٤)، لذلك السبب يقول (النبي) "سوف يتعالى ويتمجد جداً" (أش ٥٢: ١٣). نحن نسبحه كإله ورب، وندعوه المخلص والفادي؛ لأننا نؤمن أن هذا هو حق، ولكي يكون الكلمة الذي من الله الآب حقاً وبلا عيب أضاف (النبي): "الكل سوف يندهشون منك لأن منظرك بلا مجد عند البشر ومجدك غير معروف عند البشر" (أش ٥٢: ١٤)؛ لأن كل الذين شاهدوا شكله ومنظره كانوا مدركين وميَّزوا -بما فيه الكفاية بعيون الفهم- القوة العظمى التي فيه، واندهشوا من التدبير الإلهي.

ومن ضمن هؤلاء حبقوق النبي الذي قال: "يا رب قد سمعت خبرك وجزعت ونظرت أعمالك ودهشت" (٣: ٢). أما الذين لم يعاينوا مجده، فقد ظلوا في عدم الإيمان والغباء وأدانوه على أنه بلا مجد وبلا كرامة. قالوا عنه إنه "سامري"، محب للأكل وشرب الخمر، بل ادَّعوا أنه ابن زنى وخاطئ (مت ١١: ١٩)، ولذلك قيل "كل الذين شاهدوا شكلك سوف يندهشون منك لأن شكلك بلا مجد عند البشر ومجدك غير معروف عند البشر" (أش ٥٢: ١٤).

وما حدث بعد ذلك حدث له "سوف تتحير فيك شعوب، وسوف يصمت ملوك ويسدون أفواههم" (أش ٥٢: ١٥)؛ لأنه منذ ذلك ملوك خائفي الله يقدِّمون المجد لملك الكون، وسوف تستد أفواههم أي سوف لا يتفوهون بما هو قاسي أو نفاقي ضد مجد المسيح. أمَّا البشارة الإلهية المقدسة الواهبة الخلاص، أي الإنجيل، فهي لن تكون عند الذين شاهدوا منظره أنه بلا مجد، بل وصاروا ضمن هؤلاء الذين سُدَّت أفواههم واندهشوا من مجده. أعلن أشعياء ذلك بصراحة حينما قال عن هؤلاء: "الذين لم يخبروا عنه سوف يرون والذين لم يسمعوا سوف يفهمون" (٥٢: ١٥). لقد أُخبر الإسرائيليون عن المسيح بواسطة الشريعة والأنبياء، بينما لم تعرف الأمم أي شيء عن المسيح ولا سمعوا أي شيء عن أسراره، ولكن فهموها. أي أنهم جاءوا إلى الإيمان. الايمان هو الجذر الذي يغذِّي الفهم؛ لأن الإيمان هو البداية الحقيقية للعبادة الحقيقية، ويقود إلى حياة لكل الذين يقبلوه (الإيمان)، ولذلك يقول النبي أشعياء: "إذا لم تؤمنوا لن تفهموا" (٧: ٩).

"يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب؟ نخبر به كما نخبر عن حقل ومثل جذر (نبات) في أرض عطشى" (٥٣: ١-٢). هكذا تكلم الأنبياء عادةً عن مخلصنا جميعاً؛ لأنهم يشرحون في (كلمات النبوات) التي نطقوها بحكمةٍ إن الله الكلمة سوف يأتي في شكلٍ بشري في الزمان المعيَّن، وأنه سوف يعمل معجزات لا يعملها إلا الله. وهنا يدعو (النبي) الذين تاهوا عن الطريق المستقيم لكي يعود الضالين إلى الحق بالإيمان.

وعندما يقول: "لقد رأيناه ولم يكن له شكلٌ ولا جمال" (٥٣: ٢)، فقد أخبرنا (الأنبياء) عن حالة وشكل الذي يتنبئون عنه؛ لأنهم أخبروا عنه علانية. هم يقولون إنه "إنسانٌ مخذول"، وإنه "حمل أمراضنا" (٥٣: ٣)، أي الأوجاع التي يعانيها من الشر. لقد عاينوا وجه المخلص (٥٣: ٣). عندما "خُذل" كان "مضطرباً"، وخائفاً لأنه كان سوف يعاني الموت على الخشبة، فهو قد قال: "نفسي قد اضطربت" (يوحنا ١٢: ٢٧)، وأيضاً: "نفسي حزينة حتى الموت" (مرقس ١٤: ٣-٤)، وماذا أقول: "أبي نجني من هذه الساعة؟ لا، لأنني من أجل هذه الساعة أتيت (يوحنا ١٢: ٢٧). وواحدٌ من الإنجيليين يقول: "كان الوقت قد حان" (متى ٢٦: ١٨ — رؤ ٣: ١)، أي وقت الآلام، عندما بدأ "يحزن ويكتئب" (متى ٢٦: ٣٧). وحقاً، ورغم أنه هو الكلمة الابن الوحيد من الله الآب، وحسب الطبيعة لا يتألم بالآلام الجسدانية الخاصة بالجسد، إلا أنه قَبِلَ هذه الآلام. وعندما جُرِّب بالآلام، لم يكن لديه حصانةٌ من الألم، بل في كلِّ شيءٍ أظهر أنه صار مثلنا. وعندما كان على الأرض، لم يكن خيالاً أو شبحاً -كما يعتقد البعض- بل كان حقاً ويقيناً إنسان.

يقول النبي "لقد تحول وجهه بعيداً" (٥٣: ٣)، أي أنه صار عاراً لأنه صار محتقَراً وبلا كرامة (٥٣: ٣). وحتى بيلاطس أرسله إلى هيرودس، وهيرودس أعاده إلى بيلاطس بكل احتقار (لوقا ٢٣: ١١)، ولم يكرِّمه كيسوع، ولذلك غطَّى العارُ وجهه، فقد بصق عليه وجلده جنود بيلاطس قائلين: "تنبأ لنا أيها المسيح. مَن الذي ضربك" (متى ٢٦: ٦٨). واحتُقِرَ أيضاً بشكلٍ آخر عندما احتمل جَلدَ السياط وضربات الحراس (مرقس ١٤: ٦٥). وبواسطة صوت أشعياء يقول هو: "أعطيت

ظهري للضاربين وخدي للطم ولم أرد وجهي عن عار البصاق" (٥٠: ٦)، وهكذا عاين الأنبياء القديسين -كما ذكرت- بوضوحٍ الابنَ في الرؤيا التي أُعطيت لهم بالروح القدس. فهو لم يكن غريباً على عار البشر عندما حان وقت آلامه الذي فيه أباد الموت بموت جسده وحمل خطايا العالم.

"هذا الذي حمل خطايانا وتألم لأجلنا، ونحن حسبناه متضايقاً ومذلولاً، ولكنه جُرِحَ لأجل آثامنا، وصار ضعيفاً لأجل خطايانا، وعليه تأديب سلامنا. بجراحاته شفينا. كنا جميعاً مثل غنم ضللنا وكإنسان ضلَّ طريقه، وأسلمه الرب من أجل خطايانا" (٥٣: ٤-٦س). لقد احتمل ربنا يسوع المسيح الصليبَ، واحتقر العار (عب ١٢: ٢)، وأطاع الآب حتى الموت (فيلبي ٢: ٨)، واحتمل فساد اليهود لكي ما يحمل خطية العالم (يوحنا ١: ٢٩)؛ لأنه لا الشريعة المكتوبة، ولا العبادة حسب الشريعة، كانا قادرين على (تحقيق الخلاص)؛ لأن "دم الجدي والثيران لا يمكن أن ينزع الخطية" (عب ١٠: ٤)، ولكنه تألم خارج الباب (أورشليم) كما يقول بولس لكي ما يقدس الشعب بدمه الخاص (عب ١٣: ١٢). هو لم يتألم من أجل ذاته -هذا ليس مطلوباً، ولا هو ضروري، ولكنه تألم من أجل كلِّ الذين تحت السماء. ويشهد بولس الحكيم جداً عندما كتب عن الله الآب أنه لم يبخل بابنه الوحيد، بل أسلمه لأجلنا، فكيف لا يهبنا معه كل شيء (رو ٨: ٣٢).

وفي موضع معين -من خلال انشودة المزمور- يقول المسيح لله الآب في السماء: "ذبيحةً وقرباناً لم تطلب، ولكنك هيَّأت لي جسداً، بمحرقةٍ وذبيحةِ خطيةٍ لم تُسر عند ذلك قلتُ: ها أنا أجيء لكي أفعل إرادتك يا الله كما هو مكتوب عني في درج الكتاب (مزمور ٣٩: ٧-٩ س عب ١٠: ٥-٧). لأن العبادة حسب الشريعة لم تكن ذات فائدة للمائتين ولم تنزع خطاياهم؛ لأن الله لم يُسر بذبائح الثيران أو ذبح الغنم، ولكن الحمل الحقيقي الذي يحمل خطية العالم (يوحنا ١: ١٩)، قدَّم ذاته رائحة بخورٍ عَطِرٍ لأجلنا. ولأن الجسد احتمل الموت؛ حرر الذين تحت السماء من الموت والخطية، لأن الذي هو مستحقٌ أكثر من الكلِّ، تألم عن الكل لكي يقتني ويملك كلَّ الأشياء.

ومرةً ثانيةً يؤكد بولس هذا عندما يكتب: "لأجل هذه الغاية مات المسيح وقام أيضاً لكي يكون ربَّ الأموات والأحياء" (رو ١٤: ٩). وأيضاً هذا: "مات لأجل الجميع لكي لا يعيش الأحياء فيما بعد لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام" (٢كو ٥: ١٥). وحقاً يقول النبي إنه كان كإنسانٍ متضايقٍ، يعرف كيف يحمل أمراضنا "ومثل من أدار وجهه لأنه ذُلَّ ولم يكن له كرامة"، وهو "حمل خطايانا وتألم لأجلنا ونحن حسبناه متضايقاً ومرذولاً ومصاباً" (راجع أش ٥٣: ٣-٤ س).

لنحسب كيف -بحذقٍ- يقدِّم لنا النبي هذا الخبر بهذه الكلمات. لقد أدرك النبي أن الذي عَرِفَ سِرَّ المسيح وآمن بأن المسيحَ تألم عن خطاياه، هو الذي سوف يحسبه متضايقاً ومذلولاً ومصاباً. لقد قال النبي هذه العبارات لئلا نظن أن آلامه حلَّت عليه من الله من أجل خطاياه الخاصة، وأنه بسبب خطاياه، كان "متضايقاً ومذلولاً ومصاباً". ولكن ليست هذه هي الحقيقة، بل بالحري؛ لأنه "جُرِحَ لأجل آثامنا وصار ضعيفاً بسبب خطايانا" (أش ٥٣: ٥). وفي الأزمنة السابقة انفصلنا عن بعضنا البعض بسبب عداوتنا لله (أفسس ٢: ٣)؛ لأننا كنا نحارب شريعة الله المقدسة، ولم نقبل نير الطاعة، ورفضنا أن نخدم الله. ولكن بسبب هذا صار من الضروري -كما يقول (النبي)- ان يؤدِّب بالسياط الذين تكبَّروا وتعالوا وانتفخوا، ولكن بعد أن تحررنا من الشر، انتهت العداوة وجئنا إلى سلامٍ مع الله (أفسس ٢: ١٤-١٦)، وعندما نحني رقابنا لكي نعمل ما يرضيه. ولكن "التأديب" (٥٣: ٥) كان يجب أن يقع على الذين أخطأوا وصاروا أعداء الله؛ لكي بالتأديب، يتصالحون معه، ولكن التأديبَ وَقَعَ على المسيح. هذا هو معنى الكلمات: "تأديب سلامنا عليه" ويؤكد أشعياء معنى الكلمات؛ لأنه يضيف إليها فوراً: "بجراحاته شُفينا". لقد تألم -كما قال النبي- لأجلنا؛ لأننا كنا كغنم ضللنا، وكلٌّ منا سار في طريقه والرب أسلمه من أجل خطايانا" (٥٣: ٦). لقد ضللنا وتركنا الله الحي واتَّبعنا شهواتنا، ولكي يحررنا من الدينونة ويخلص الذين لديهم الإيمان والرب المسيح يعرف ذلك، لذلك قال: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا ٣: ١٦).

يقول النبي: "ومن يخبر بجيله؟" (٥٣: ٨). وهذه العبارة يمكن فهمها بطريقتين: الأولى إن الله الكلمة المولود من الله الآب له ميلادٌ فائقُ الوصف، أسمى من أن يعبِّر عنه الفهم. فهو لم يولد ميلاداً جسدياً، بل بالميلاد الذي يليق بما هو روحي وغير مادي، مثل النور من النور والحياة من حياة. لأننا نعتقد بثبات أنه حقاً مولودٌ من جوهر الآب، ولا نعرف كيف يكون هذا.

وعلى الرغم من أنه الإله بالطبيعة إلا أنه تنازل وأخلى ذاته لأجلنا، وأخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٧)، ووُلِدَ من امرأةٍ ميلاداً جسدياً، ليس حسب القوانين الخاصة بالطبيعة الإنسانية (ثمرة زواج)؛ لأنه لم يولد من رجل وامرأة، بل ميلاداً سرياً فائقاً يعلو على كل الوصف. فقد قيل للعذراء القديسة: "الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظللك لذلك المولود منك يدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٥). وهكذا، في سر ميلاده كإنسان، الذي لم يحدث حسب (الميلاد البيولوجي) الطبيعي قال النبي: "ومن يخبر بجيله؟".

وعندما تقول النبوة: "وحياته تُنزع"، أي تُرفع (تنزع airetai هي مثل epairetai أي تُرفع؛ لأن حياته التي عاشها كإنسان بيننا كانت حياةً اسمى من أي حياةٍ إنسانيةٍ على الأرض، ورغم أنه ظهر كإنسان عندنا، إلا أنه هو وحده "الذي لم يفعل خطية ولا وُجِدَ غشٌ في فمه"، وهو ما لم يستطع أي إنسانٍ آخر أن يفعله. هو وحده بلا عيب. وكلمة "تُنزع" أي تُرفع، يمكن أن تشير إلى الابن الوحيد قبل تجسده؛ لأنه تأنس لأجلنا وحياته لم تكن مثل حياة أي إنسان عرفناه. كان ميلاده حسب الجسد فائقاً وعجيباً، وحياته الإلهية تفوق كل المقاييس البشرية. "ونفسه سترى نسلاً كثيراً" (٥٣: ١٠)، أي أنك سوف تكون رفيقاً لرفاقٍ في الحياة الأبدية، أي القديسين الذين يحفظون الإيمان والذين صاروا أغنياء برجاءٍ في الحياة الأبدية. لم يكن لدى الأمم أي معرفة بقيامة الأموات، وهم حتى الآن لا يؤمنون بهذا السر. ويقولون إن نسمة الأنف مثل الدخان، وعندما تصعد تختفي، والجسد يعود إلى التراب، والروح تذوب، والإنسان نفسه صار مثل قطعةٍ تغطي مساحةً أكبر (فقد كيانه). وأمَّا الذين تغذِّيهم الكنيسةُ، فالإيمان بقيامة الأموات رجاءٌ ثابتٌ. وقد وَعَدَ اللهُ الأمم

الذين طلبوا مكافأةً لنفوسهم، أن يُقرِّب المسيحَ، وأن يتألم عن خطاياهم. وبولس يوضح ذلك الدَّين الذي علينا عندما يكتب: "واحدٌ مات عن الجميع لكي يعيش الأحياء فيما بعد، ليس لأنفسهم، بل له هو الذي لأجلهم مات وقام" (٢كو ٥: ١٤-١٥). وحقاً نحن مدينين له بالكثير، بالحياة نفسها؛ لأن المسيح يقول عن هذا: "إذا أراد إنسان أن يأتي ورائي فعليه أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (متى ١٦: ٢٤). ومَن ينكر ذاته، هو الذي لا يضيِّع حياته في الملذات، بل في الحياة التي تخصَّص للمسيح، الحياة المقدسة التي بلا عيب مثل حياة بولس الذي كتب عنها: "لقد متُّ بالشريعة لكي أحيا لله. مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ، والحياة التي أحياها الآن في الجسد هي حياة الإيمان بابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي. أنا لا أُبطِّل نعمة الله" (غلا ٢: ١٩-٢١).

لنعتبر كيف صلب بولس حياته ومات عن الخطية وخصصها لمن تألم لأجله. لقد سمعنا كيف أنذر المسيح الذين عرفوه معرفة صحيحة: "مَن يحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومَن يحب ابناً أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني" (متى ١٠: ٣٧). الأم والأب هما معاً أصل وسبب الوجود الجسدي، ولكن الله آبُ كلِّ شخصٍ، هو أصل وسبب الحياة الجديدة لكل الذين على الأرض، وهم تحت حكم الموت، ويذبلون مثل حشيش الأرض. لكنه يجددهم (الله) للحياة الأبدية وبعدم الموت بلا فساد بواسطة المسيح في الروح القدس مكللاً الكلَّ بالحياة الأبدية الدائمة. لذلك يجب أن تكون محبتنا لله أعظم من محبتنا للوالدين، وأن نحب المسيح بكل نفوسنا وبكل قلوبنا (متى ٢٢: ٣٧). وأن نحيا حسب وصاياه وتعليمه المقدس متمسكين به بالإيمان المستقيم الذي بلا عيب، هو أن "نقدِّم ذبيحة خطية" (٥٣: ١٠)، ولذلك "تحيا نفسك وترى نسلاً كثيراً" (٥٣: ١٠).

"لأن الرب شاء أن يشفي جراح نفسه، وأن يريه نوراً وأن يملأه بالفهم" (٥٣: ١١). كان المسيحُ حزيناً حتى الموت (متى ٢٦: ٣٨ — مرقس ١٤: ٣٤). قَبلَ الموت على الصليب المكرَّم -كما كتب الإنجيليون القديسون- ولكن عندما قام من الموت بعد أن مكث في الجحيم ثلاثة أيام، تحلَّت طبيعته الإنسانية بعدم الفساد،

وبالمسرة الصالحة التي لله الآب (أفسس ١: ٥، ٩)، وامتلأت الأرض من معرفته. ورأى الأمم الكثيرة التي سوف تأتي إليه تاركةً عاداتها القديمة التائهة خلف الآلهة؛ لأن الآب دعاهم لمعرفة (الابن).

لقد عانى (المسيحُ) من الوجع ومن الألم، ولكنه أعطى النصرة للمؤمنين. وبسبب صلاحه -وبعد قيامته من الأموات- فَرِحَ (الربُّ) بخلاص العالم وحياته، ولذلك قال للرسل القديسين: "دُفِعَ إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى ٢٨: ١٨-١٩). وعندما يقول: "إذا قدَّمتكم ذبيحةً عن الخطية"، فأنتم أنفسكم أيها النسل الكثير (٥٣: ١٠)، أي القديسين؛ لأن الله الآب سُرَّ أن يشفي جراح نفسه (اش ٥٣: ١١)، فقد سُرَّ أن يحوِّل وجع المسيح على الصليب إلى فرحٍ، عندما أراه أن الجالسين في الظلمة، أي الذين تاهوا وراء الآلهة قد تحولوا إلى نور. وعن هؤلاء الشعب يكتب بولس الحكيم جداً: "لأننا كنا قبلاً ظلمةً، ولكن الآن نورٌ في الرب" (أفسس ٥: ٨) وهدفه (الآب) أن يتكونوا بفهمٍ (٥٣: ١١). ويعلِّمنا بولس الحكيم جداً عن هذا: "ونحن جميعاً بوجهٍ مكشوف نرى مجد (الرب) نتغير إلى مثاله من مجد إلى مجد وهذا من الرب الذي هو الروح" (٢كو ٣: ١٨). أمَّا الذين هم في الخطية والذين يعبدون المخلوق وليس الخالق (رو ١: ٢٥)، فإن قلوبهم المريضة وفهمهم الفاسد الذي تكلم عنه أرميا قائلاً: "ها أن عيونكم وقلوبكم مريضة" (٢٢: ١٧ س)، ولكن بعد أن يقبلوا الإيمان في المسيح، يتحولون روحياً إلى أُلوهيته ويصيروا بشكلٍ فائقٍ أكثر جمالاً. ويكتب بولس الحكيم جداً عن بعض هؤلاء: "يا أولادي الذين أنا أتمخض بهم إلى أن يتكون المسيح فيكم" (غلا ٤: ١٩). وبفهم (المسيح)، أي حكمته الإلهية، يريد الله الآب أن يعيد تكوين المؤمن بالمسيح، وأن يستعلن فيه صورته بتقديس الروح "لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه وهؤلاء ايضاً دعاهم" (رو ٨: ٨: ٢٩-٣٠). من الشعبين[٨٥] قيل إن الله سوف يخلق الإنسان الجديد (أفسس ٢: ١٥)، وأعتقد أن الله الآب يريد أن يبرر البار الذي يخدم كثيرين لأنه سوف يحمل خطاياهم (٥٣: ١١)، ولا

(٨٥) اليهود والأمم.

يجب على أي إنسان أن يظن أن "البار الذي يخدم كثيرين" هو آخر غير ربنا يسوع المسيح؛ لأن المسيح نفسه يؤكد أنه جاء لكي يخدم لا لكي يُخدم (متى ٢٠: ٢٨)، حسب تدبير التجسد. والخدمة التي يشير إليها بولس هي تلك الخاصة بالشريعة وبالعهد الجديد؛ لأنه يقول عنها: "إذا كانت خدمة الدينونة قد نالت مجداً حتى أن وجه موسى كان يشع مجداً فكم بالحري خدمة البر التي فاق مجدها" (٢كو ٣: ٩). المسيحُ بلا عيبٍ، فهو البار الذي جاء ليخدم كثيرين، ورغم أن الكلمة هو الله إلا أنه أخذ صورة العبد (فيلبي ٢: ٧ – يوحنا ١: ١١). ليس طبعه احتاج إلى هذا، بل بالحري جاء لكي يشاركنا لكي يخدمنا بالخدمة التي بها نخلص" (مجلد ٧٠: ١١٦٤ – ١١٨٩).

من هو الذي يأتي من آدم (أش ٦٣: ١–٧)

شرح القديس كيرلس الكبير:

"منظره كان غريباً وبعيداً عن إدراك القوات العلوية، ولذلك دُهِشوا عندما عاينوه وسألوا في دهشةٍ: "مَن هذا الذي أتي من آدم" (أش ٦٣: ١). وآدم تترجم إمَّا "الحنطة"، أو "الأرض". ثم "مِن بُصرة"، هي "من الجسد أو الجسداني"، لذلك كانوا يسألون مَن هو هذا الذي من الأرض، أم هو أرضي بثياب ارجوانية من بُصرة (٦٣: ١)، أي ملابسه حمراء من جسده، أو بالحري من دمه. هو "جميلٌ بما يلبس (ملابس apparel حسب القاموس wear - clotting)، وهي كما وردت في السبعينية Ουτως ώραΐοος εν στολή " (٦٣: ١). القوات العلوية القوية والحكيمة، امتلأوا من المجد السماوي عندما كانوا ينظرون إلى المسيح، وهو في الجسد؛ لأنه القويُّ القادر الذي أعلن أُلوهيته وأيضاً تجسده لهم. وكانت الملائكة يسألونه، ويسأل كلُّ ملاكٍ الآخر: مَن هو؟ أجاب الرب: "أنا هو المتكلم بالعدل وبحكم خلاصي λεγομαι δικαίοσυνην κάι κρίσιν σωτηρίον" (٦٣: ١). العدل، أي استعلان الإنجيل المقدس؛ لأن كلمة الله هو حق. وحكم الخلاص هو تدخُّلُه لأجلنا؛ لأنه جاء بالعدل إلى العالم، وحرر الذين قهرهم الشيطان بقهر تمادى فيه. لقد طرح (الشيطانَ) كمعاندٍ يعاند ملكه على البشر، ولذلك السبب قال: "الدينونةٍ قد أتيت إلى هذا العالم، الآن رئيس هذا العالم يطرح خارجاً وأنا متى

ارتفعت عن الأرض أجذب جميع البشر إليَّ" (يوحنا ١٢: ٣١-٣٢).

ويجيب المسيح عندما يسألون سؤالاً آخر: لماذا ثيابك حمراء؟ ولباسك كمَن جاء من دَوسِ معصرةِ العنب (٦٣: ١٢)؟ هذا يذكّرنا بما قاله البطريرك يعقوب: "يغسل ملابسه بالنبيذ وثيابه بدم العنب" (تك ٤٩: ١١). كانت ثيابه حمراء بالدم، كما لو كانت قد غطست في النبيذ الأحمر". (مجلد ٧٠: ١٣٨١ – ١٣٨٤).

شرح أشعياء ٦٣: ٣-٦

لقد داس الربُّ معصرة الوجع وحده، ولم يكن في كل جنس البشر مخلِّصٌ مثله، ولذلك لم يكن معه أحدٌ آخر. لقد داس أعداء الإنسانية بغضبٍ؛ لأنهم قهروا الجنس البشري، وداسهم على الصليب، فسال دمهم، أي دماء الصلب التي دبَّرها العدو بواسطة بيلاطس ورؤساء اليهود، ولذلك لطخت كل جسده بالدم.

"لأن يوم القضاء في قلبي وسنة مفدييَّ قد أتت". لقد حل القضاء وحكم على الموت حسب مسرة الآب والابن والروح، ولذلك يؤكد النبي أن سنة المفديين قد أتت، فقد تحقق الخلاص، ولذلك بعد أن فضح الرؤساء وأشهر السلاطين جهاراً ظافراً بهم في الصليب (كو ٢: ١٥)، فقد كان هو وحده القادر على أن يصيب الشياطين بحيرةٍ، فصاروا مثل السكارى لا يصدقون أن هذا الذي لبس الجسد الإنساني قد سكبَ على الأرض كل المؤامرات المدمِّرة التي تآمروا بها على الجنس البشري، وسُكِبَت على الأرض كما يسكبُ أيُّ إنسانٍ عصيراً، فلا يمكن استخدامه بعد ذلك"[٨٦].

(٨٦) شرح آلام الرب حسب نبوات العهد القديم. تحت الطبع.

ذكرى ما هو كائن، ومَن هو قادرٌ، ومَن أعطى، ومَن دعى وبذل تأملاتٌ في أسبوعِ البصخة (العبور)[87]

أحد الشعانين:

دخلتَ بيت اسرائيل لآخر مرة تودع التاريخ القديم، وتؤكد بدخولك أن المواعيد قد تحققت بتجسدك؛ لأنك أنت هو "الآتي باسم الرب"، أي الآتي بالحضور الإلهي في تاريخ البشر. أنت آتٍ منذ تجسدت وبعد صعودك إلى السماء أنت آتٍ دائماً "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ١٩). وأنت آتٍ باسم الرب لأنك أتيت "باسم الآب"، معلناً تلك العطية التي بدت بشارةً، والآن صارت حقيقةً واقعةً، إذ تجسَّدتَ، فصارت الإنسانية فيك قائمةً إلى الأبد في ذلك الاتحاد الأقنومي الفائق.

ومضيت إلى بيت الأحباء في بيت عنيا، بيت المعاناة. حقاً، لقد هزمت موت لعازر وأعدت للأختين ما كاد الموت يغرقه، ولكن الآن مؤامرة الموت تحاك وكأنك عدوٌ يجب قتلك والخلاص منك.

استقبلك الأطفال وبعضٌ من شعب العهد الأول دون أن يدري أن هذا الاستقبال هو خاتمة العهد الأول، فقد "كان الوقت قد أمسى" (مرقس ١١: ١١). وجاء مساءٌ خَتَمَ نهار العهد الأول ونظرت حولك (مرقس ١١: ١١)؛ لأنك لن ترى هذه المباني مرةً ثانيةً، فقد فَقَدت دورها ومعناها وصارت ظلالَ تاريخٍ عَبَر.

---

(٨٧) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٠ مايو ٢٠١٦.

شجرة التين:

طلبتَ الثمرَ ولم تجده، صارت مثل الخاصة التي أتيت إليها ولم تقبلك "جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله" (يوحنا ١: ١١). ومَن يعثر في معاناة شجرةِ تينٍ عليه أن يسأل: كم من أشجارٍ قُطِعَت وتقطع لتكون حطباً أو لتكون خشباً لأسقف منازل أو لغيرها من الاستعمالات. وهل جاء من إسرائيل ثمر، والرب يقول "لا يأكل أحد منك ثمراً بعد إلى الأبد"؟ وسجّل الإنجيلي النهاية، فكتب: "وكان تلاميذه يسمعون" (مرقس ١١: ١٤). وها هو بولس يصرخ لعل الآذان تسمع: "لا يحكم عليك أحد في أكل أو شرب أو جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور الآتية .. إن كنتم قد متم مع المسيح عن كل نظريات ومقاييس الحياة (أركان العالم) فلماذا كأنكم تعيشون في العالم تُفرض عليكم (من جديد بعد الإيمان) لا تمس ولا تذق ولا تستعمل (كولوسي ٢: ١٦-١٣) لقد غابت مع مساء ذلك اليوم، فقد دخل الرب سر آلامه.

يوم النبوات ثلاثاء البصخة أو العبور:

حسب التقويم العبراني، في ليلة الثلاثاء جاء قومٌ من الفريسيين يخبرون يسوع بأن هيرودس يريد قتله، وطلبوا منه الخروج من أورشليم، ولكن الرب يرى أورشليم بعيني المستقبل، تلك التي وُهِبَت لنا، ولم نعد نطلبها، فضاع منا المستقبل: "نظر المدينة وبكى عليها .. الآن قد أُخفي عن عينيك .. لأنك لم تعرفي زمان افتقادك" (لوقا ١٩: ٤١-٤٤). ودخلتَ الهيكل لتعلم مخبراً نهاية الكرمة. وحاولوا الوقيعة بينك وبين الحاكم الروماني بانك تحرِّض على عدم دفع الجزية، ولكن الرد الحاسم: "اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (لوقا ٢٠: ٢٥-٢٦). وسألوك عن القيامة، وأنت تعرف أن الآب هو إله الأحياء، لأن الجميع عنده أحياء" (لوقا ٢٠: ٣٨)، حتى لو كانوا في "شيول" الهاوية، تلك التي سوف تنزل إليها لكي تبددها كآخِر عائق في طريق حرية الحياة الإنسانية.

يوم التشاور، ويوم نبتت بذرة الخيانة:

في ليلة الأربعاء قلت للكل: "هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً"، وجَمَعَت أُم الشهداء النبوات (حزقيال ٢٢: ١٧-٢٢-٢٣-٢٩) لتؤكد أن الخراب آتٍ، خرابٌ سبق النبي وأَخبر به.

واسترحتَ في بيت عنيا في يوم الأربعاء، وهو اليوم الذي كان يتم فيه اختيار حمل الفصح حسب العهد الأول، ومرةً ثانيةً جاءت راحتك في بيت عنيا(٨٨).

خميس العهد الأعظم:

في ليلة الخميس وقبل نهار الخميس؛ لأن اليوم يُحسب من المساء، وحسب الترتيب الكنسي، وبينما الرب في بيت عنيا "متكئ" في بيت سمعان الأبرص (مرقس ١٤: ٧-١١)، جاءت امرأة تخبر بموتكَ، ودَهَنَت جسدك وقلت: "سبقت فدهنت جسدي بهذا الطيب لدفني". كانت آلامك حقيقة، ومن أنكرها أنكر -عن جهلٍ- تجسدك. ومن أنكر تجسدك، أنكر -عن عنادٍ- الخلاص. لا يوجد خطابٌ قادرٌ أن يشرح ما فعلته المرأة، كان حباً، وكان عشقاً لمن عاينت فيه الطهارة الكاملة، وربما كان الطيبُ هديةً من عاشقٍ اشترى جسدها، ولكنه الآن عند الحبيب يهرق لمن جاء بالطهر.

سِرَّان في العلية:

أيها الصالح تغسل قدمي يهوذا الخائن، وأنت تعرف أنه سوف يخونك؛ لأن النار لا يمكن أن يدنسها شيء، بل تحرق قذارة الإنسان. والماء النقي يحمل الأوساخ لتعود إلى الأرض ويرتفع بخاراً نقياً في الهواء. والنور يسقط في داخل بئر الظلام، ويظل نوراً. والجدل حول تناول يهوذا يكشف عن مسألة واحدة، هي أن الذين حرموا يهوذا من التناول، حرموا الصلاح الإلهي من أن يدخل معقل الخيانة، وكأن الصلاح والمحبة سوف يقفان عند خيانة التلميذ.

لُقِّبَ يهوذا بـ"الاسخريوطي"؛ لا لأنه توجد بلدة في فلسطين باسم "اسخريوط"،

(٨٨) بيت المعاناة حسب الأصل الآرامي — العبراني.

بل لأن الاسم العبراني يعني أنه ينتمي إلى تلك الجماعة من المتعصبين الذين يحملون السيف القصير Sicari وهو الاسم اللاتيني لفئة الغيورين Zealots [٨٩] وهم قتلة الجنود الرومانيين. وكان ثلاثة من تلاميذ الرب ينتمون إلى هؤلاء، سمعان بطرس الذي كان يحمل ذات السيف، وسمعان القانوي وهو ليس من قانا الجليل، بل هو أيضاً مثل يهوذا (راجع لوقا ٦: ١٥: أع ١: ١٣)، والقانوي أو Kananaios هو اسم آخر لنفس الفئة وهو من ذات الاتجاه، والثالث هو يهوذا الاسخريوطي[٩٠].

ثلاثة من المتعصبين، الأول خان فقد أراد ملكوتاً أرضياً، وجاء الرب يبشر بملكوت إلهي سماوي، فلم يُعجب التلميذ الاسخريوطي، فباع المعلم لأنه فقد الأمل في قيادته السياسية بعد أن رآه غير مهتم بأن يقبل مُلك اسرائيل. والثاني بنفس التعصب قال للرب: "إن شك فيك الجميع فأنا لا أشك" (مرقس ١٤: ٢٩)، ولكن الرب أنذره، وعندما حانت لحظة التجربة "بدأ يلعن (يسوع) ويحلف إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه" (مرقس ١٤: ٧١). هكذا تحول يسوع إلى "رجل يقولون عنه"، وسقط، ولكنه بكى بكاءً مراً (متى ٢٦: ٧٥). أما الثالث فقد لزمت كل المصادر القديمة الصمت عنه، ولكنه كان مع الرسل في يوم العنصرة (أع ١: ١٣).

الصليب وسيف بطرس وسيف يهوذا:

ذلك المنظر بكل تفاصيله المتتابعة: غسل الأرجل – القبض على الرب في البستان – محاولة بطرس الدفاع عن معلمه وقطع أذن عبد رئيس الكهنة – لم يفلت يسوع من القبض عليه، بل يُحاكم – يدخل الشك في قلب بطرس – يهوذا سلَّم الرب بقبلة.

وفي وسط هذه الأحداث، ينذر الرب بطرس قبل العشاء في العلية. وينذر الرب

(٨٩) عندما تلقب أخت لنا نفسها بأنها "قبطية غيورة"، فهل تعرف أنها بهذا اللقب، أنها تنتمي تاريخياً إلى طبقة القتلة، لا إلى فئة المدافعين عن الحق؟!!!

(٩٠) رجاء مراجعة الدراسة التاريخية الممتازة للأب الكاثوليكي Ryamond Brown, The Death of the Mesiah ودراسة أخرى أشمل وأقصر The State in the NT by Oscar Cullmann قدم فيها دراسة تاريخية عن خلفية رسل الرب.

يهوذا أثناء العشاء ويقدم جسده ودمه لثلاثة من القتلة سابقاً، أو على الأقل كان العنف وسفك الدم كامناً في القلب، رغم تكرار الإنذار بأن شرط التلمذة هو:

أن يحمل الصليب ويتبع الرب.

ولم يمنع الرب عطية الجسد والدم عن أيٍّ من هؤلاء، لا عن متى العشار، ولا عن بطرس الذي كان الرب يعلم تماماً انه سوف يخونه، وحتى بعد العشاء يقول الرب "سمعان سمعان (مرتين) هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة" (لوقا ٢٢: ٣١)، ونحن نرى كيف تفقد الحنطة حرية حركتها في الغربال. وهنا اليد التي تمسك بالغربال هي يد الشيطان. وكان الرب يعرف ماذا سيحدث، "ولكنني طلبت من أجلك (من الآب) لكي لا يفنى إيمانك" (لوقا ٢٢: ٣١).

عادت بي الذاكرة إلى أحداث الزاوية الحمراء، عندما جاء عددٌ من الذين أنكروا الإيمان بسبب فظاعة ما حدث طالبين العودة، ورفض الأنبا شنودة الثالث مقابلتهم، ولكن الشهيد الأنبا صموئيل رتَّب لهم أماكن إقامة، وجاء فريقٌ من الأطباء لعلاج الذين احتاجوا إلى العلاج، وأقام الذبيحة بعد الاعتراف بالإيمان، وقدَّم لهم جسد الرب ودمه "لكي لا يفنى إيمانهم" بالرفض. ذكَّرني هذا المشهد بقول الرب لبطرس: "وأنت متى رجعت ثبِّت اخوتك" (لوقا ٢٢: ٣٢). وقد قال الرب هذا لبطرس بالرغم من معرفة الرب بأن بطرس سوف ينكره، وبالرغم من إصرار بطرس بأنه مستعد أن يمضي مع يسوع إلى السجن، بل وإلى الموت، إلا أن يسوع قال مؤكداً: "يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكرني ثلاث مرات، ثم أضاف الرب: "أنك تعرفني" (لوقا ٢٢: ٣٤).

هكذا تكمل الصورة:

- يُصلب وسط لصين،
- يتركه الكل ويهربون،
- تبقى النساء معه عند الصليب،
- لا يجد أحد يدفنه، إلا ذلك الذي كان تلميذاً، ولكن "خفيةً بسبب الخوف من اليهود" (يوحنا ١٩: ٣٨).

تلك هي سحابة الظلمة التي لم تستطع أن تقهر النور. جاء بطرس بعنف، ويهوذا بخيانة، ومر كلاهما في درب الصليب، الأول أنكر ولعن، والثاني خان، والبقية هربت .. وتم كل هذا بعد أن سلَّم الرب جسده ودمه.

إن روح د. مجدي وهبه (القس صموئيل وهبه) تصرخ من خلف أستار العالم العلوي، وهو الرجل الذي خصص حياته للخدمة ومُنع من التدريس لأنه قال إن الرب أعطى جسده ودمه ليهوذا حسب شرح ذهبي الفم: "ما أعظم العمى الذي أصاب الخائف، لأنه حتى بعد أن اشترك في السر، ظل كما هو على حاله، ورغم أنه جاء إلى المائدة المقدسة، إلا أنه لم يتغير"[٩١].

إن الذين يدافعون عن المسيح، ويحاولون إبعاده عن الخطاة، يرتكبون ثلاث خطايا عظمى عن جهل:

١- يتصورون أن المسيح ضعيفٌ لا يعرف كيف يدافع عن نفسه إن شاء الدفاع عن نفسه، وهو الذي جاء لكي يموت عن كل الخطاة.

٢- يتصورون أن الشركة في المسيح هي مثل اغتصاب، كأن المسيح عذراء أو امرأة تُغتصب، وتحت حماية الأسقف تحتاج إلى حماية، ويفضح بذلك هذا التصرف الحياة الجنسية لهؤلاء المصابين بهوسٍ جنسي، ولكن رب المجد الجالس على الشاروبيم إذا قدم السرائر لخائن، فهي تتحول إلى نار دينونة لا إلى اغتصاب.

٣- وأقام هؤلاء أنفسهم حماة المسيح؛ لأنهم اعتقدوا أن المسيح مِلكٌ لهم ملكية خاصة يمكنهم أن يقدموها أو يمنعوها. هذه صورةٌ منحطة لوثنية مَن يضع الإله في جيبه، يخرجه وقت اللزوم، ويمنعه حينما يريد.

ورغم أن بطرس ويهوذا لم يكونا من عابدي الأوثان، إلا أن الإيمان لم يكن ثابتاً ولا متأصلاً. كان إيماناً بمعلِّم ظنُّوا أنه جاء لكي "يرد الملك لإسرائيل" (أع ١: ٦)، بل قبل آلام الرب كانوا يتحاورون "مَن هو أعظم" (مرقس ٩: ٣٥)، فأقام الرب ولداً في وسطهم، ثم "احتضنه" (مرقس ٩: ٣٦). وحتى الأيام الأخيرة ظل ابنا زبدي

(٩١) يؤكد ذلك ذهبي الفم، لكن الأنبا بيشوي يعرف الإيمان أكثر من ذهبي الفم (راجع العظة ٨٢ على انجيل متى — والقديس ديوناسيوس الاسكندري (تاريخ الكنيسة ليوسابيوس ٣ — أوغسطينوس المقالة ٩٢ على انجيل يوحنا — توما الأكويني الخلاص ٣: ٦٠٨.

يطلبان أن يجلس واحد عن يمين والآخر عن اليسار في مجده (مرقس ١٠: ٣٧). غير أنه على الصليب كان عن اليمن لصٌ آمن، وعن اليسار آخر جاحد، فالجلوس عن اليمين أو اليسار هو للآب الذي يعطي الوليمة ويرتب الحضور حسب الدعوة.

جاء العشاءُ في العلية استعلاناً للعطاء في زمان التردد والخيانة، وسبقَ البذلَ العلني على الصليب. المحبة شخصية، وتخرج إلى العلانية بعد أن تجمع "الأحباء" أولاً، **وخصوصية المحبة هي أنها عند الأحباء، سرٌّ، وعند الكل حدثٌ**.

لكن يسوع ليس قولاً، يسوع تعليماً وحياةً ومثالاً.

مَن ضرب بالسيف أنكر قبل أن ينكر؛ لأنه لم يفهم ولم يستوعب المحبة الباذلة. وعندما جاءت "المحنة"، عاد إلى القوة، ولم يجد في القوة رداً، وعجزَ السيفُ عن أن يعطي له مناعةً ضد الخوف.

هوذا هنا سيفان (لوقا ٢٢: ٣٨):

استخدم القديس لوقا الكلمة اليونانية Machaira وشرحها ذهبي الفم على أنها السكين المستخدم في ذبح حمل الفصح، وربما كان لا زال تلميذين معها ما كان ضرورياً لفصح العهد الأول (ذهبي الفم عظة ٨٤ على انجيل متى PG 58752)، والكلمة اليونانية فُهمت على أنها سيفٌ قصيرٌ لذبح الخرفان في زمن هوميروس (الإلياذة ٢٥: ١١: ٨٤٤، ١٨: ٥٩٧). ويبدو من أن الرب عندما قال: "يكفي"، وهي عبارة فيها تحذير بعدم الفهم وربما سخرية أيضاً من سوء الفهم حسب شرح القديس كيرلس That is more than enough أي هل هذا يكفي لمواجهة القادمين، وهم زمرة لا مجرد أفراد (شرح إنجيل لوقا ٢٢: ٣٨ PG 72:917)، لكن لا يجب أن نفقد مقدمة عبارة الرب نفسه: "ينبغي أن يتم المكتوب وأُحصيَ مع أثمةٍ"، والأكثر أهمية: "لأن ما هو خاص بي أو جهتي له انقضاء أو نهاية" (لوقا ٢٢: ٣٧)، وهو قول الرب الذي قال: "من ليس له فليبع ثوبه ويشتري سيفاً". حتماً هنا الإشارة إلى الحرب الروحية، والسيف -روحياً- هو سلاحٌ روحي للدفاع وليس للقتل؛ لأنه حتى في الحرب الروحية ضد قوات الظلمة، فالقتال دفاعاً وليس قتلاً؛ لأننا لا نقتل مثل الشيطان.

ويبدو من الخلفية التاريخية أن السيف الذي كان مع بطرس، والآخر الذي كان مع سمعان القانوي الغيور، هما السيفان اللذان أشار إليهما الرسل.

يسوع في جثماني:

"الذي في أيام جسده، إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسُمِعَ له من أجل تقواه. ومع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عب ٥: ٧-٩).

هكذا قدَّم لنا الرسول بولس الرب في بستان جثيماني، ولأن شبح أوطاخي مازال محلقاً حول الكنيسة، لذلك سوف نكتفي بعبارات المعلم الرسولي أثناسيوس: "خواص الجسد خاصة به؛ لأنه كان في الجسد، وهي مثل أن يجوع وأن يعطش وأن يتألم وأن يتعب وما شابهها من الصفات الخاصة بالجسد .. ولكنه حمل ضعفاتنا .. لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تُنسَب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرر منها تماماً ... لظلَّت الخطية، وظلّ الفساد باقيان في الإنسان، فإذ قد تألم المسيح بالجسد لأجلنا (١بط ٤: ١)، لذلك أيضاً فحينما يُقال عنه إنه يجوع، وإنه يعطش، وإنه يتعب، وإنه لا يعرف، وإنه ينام، وإنه يبكي، وإنه يسأل، وإنه يهرب، وإنه يولد، وإنه يتجنب الكأس ...." (ضد الأريوسيين ٣: ٣٢-٣٤).

لقد قَبِلَ الربُّ كل هذا؛ لكي يبيد كل هذه الأوجاع، ولكي يتحرر منها الإنسان؛ لأن الموت غريب على ما هو الحياة.

اللص في الفردوس:

يتكامل المنظر بذاك الذي قيل له: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا ٢٣: ٤٣). اللص حوكم على جرائم بموجب القانون الروماني. هو لذلك مستحقٌ للموت، وربما لأنه كان شريكاً لجماعة الغيورين القتلة، وليس له رجاء في حياةٍ أخرى. هنا تمَّت النبوة: "فتيلة مدخنة لا يطفئ"، وباقي النبوة: "حتى يخرج الحق إلى النصرة". فما هي نصرة الحق؟ بالتأكيد ليست الانتقام. وما السبب في الاضطراب الحادث عندنا في المفاهيم إلَّا لأنه قد حدث تداخلٌ لغوي Linguistic

بين كلمات: حق، وعدل، وصدق، وبر، بسبب تنوع اللغات من العبرانية إلى اليونانية إلى اللاتينية، ثم اللغات الأوروبية. فالترجمات تمر من خلال الثقافة، ومن خلال ما هو متعارف عليه، وبالتالي **الحق في العبرانية** ليس هو **الحق في اللاتينية؛** لأن **الحق في العبرانية هو الصدق، بينما في اللاتينية هو القضاء وحكم الشريعة أو القانون. جاء يسوع ليقول إنه هو "الحق"، فلم يعُد الحق مجردُ تعبيرٍ يُقال أو كلمة، بل صار شخصاً. والعدل هو الصدق في العبرانية، بينما في اللاتينية هو الجزاء في القانون. والعدل والبر هما معاً عمل الله لأن الله "بار"[٩٢] ولقب المسيح "البار" هو لقبٌ إلهيٌّ، وإذا لُقِّبَ إنسانٌ بأنه "بار"، فهذا يعني أنه يسلك حسب الله.**

لقد ظهر بر أو عدل الله في دخول اللص الفردوس، ظهر بدون حكم الشريعة (رو ٣: ٢١). وشهادة الشريعة والأنبياء عن هذا البر هي في أن "الكل أخطأوا"، وبقية القول: "وأعوزهم مجد الله" (رو ٣: ٢٣)، وهو الذي يصرخ به وعَّاظ الشريعة على أنه حكمٌ بالدينونة، بينما الصحيح، هو أنهم عجزوا عن أن يكونوا "صورة الله"؛ لأن "مجد الله" في الإنسان هو صورته، أي صورة الله. ولعل عبارة مار إفرام عن اللِّص "**الذي سرق الملكوت، أو سرق الفردوس**" هي عبارة لا مكان لها في الشريعة.

أمام هذا المنظر المهيب حقاً، تسقط كل النظريات التي تُقال عن العدل.

لماذا تركتني، أم لمن تركتني؟

والصحيح في العبرانية هو "لما"، وهي كما نرى في مزمور (٢): "لما تتآمر الشعوب .. على الرب وعلى مسيحه" (راجع أعمال ٤: ٢٥)، أو "لما يا رب تقف بعيداً" (مزمور ١٠: ١-٢)، ويأتي الجواب "قم يا رب مُد يدك" (١٠: ١٢)، والأهم: "لحق اليتيم والمنسحق لكي لا يعود أيضاً يرعبهم إنسان من الأرض" (١٠: ١٨). وهناك أيضاً الشكوى من ارتفاع وامتداد قوة العدو (مزمور ١٣ كله)، الذي ينتهي: "أُغنِّي للرب لأنه أحسن إليَّ" (١٣: ٦). في مزمور (١٨)، وهو مزمور خلاص داود من يد شاول الملك: "أنقذني من عدوي القوي .. أصابوني في يوم

(٩٢) راجع كتابنا: موت المسيح على الصليب"، ص ٤٧٧ وما بعدها.

بليتي وكان الرب سندي" (١٨: ١٨). هذه هي صرخة البريء في مزمور (٢٦: ١): "أحكم لي يا رب لأني بكمالي سلكت وعلى الرب توكلت .. لا تجمع مع الخطاة نفسي" (٢٦: ٩)، ثم "افدني وارحمني" (٢٦: ١١). يبقى لدينا الكلمة العبرانية לָמָּה (ل م هـ) أي لمن؟ مَن هم هؤلاء الذين يقفون ضدي، وهي كما وردت في (تك ٢٥: ٣١) "ما هي، أو لمن هي بركة البكورية" في قول عيسو. وهو نفس سؤال الله ليعقوب: "لمن تسأل عن اسمي" (تك ٣٢: ٢٩ راجع ايضاً أرميا ٦: ٢٠ – أيوب ٩: ٢٩). والفعل الذي ترجم ترك يترك هو עזב أي يترك – يحتقر كما ورد في العبرانية (تك ٣٩: ٩ – مزر ٣: ١٤ أرميا ٤٩: ١١)، ولذلك من اللائق أن نترجم صرخة الرب: "إلهي إلهي لمن تركتني؟"، وليس لماذا تركتني؟

وهؤلاء وصفهم المزمور بأنهم الذين: "يرونني يستهزؤن، يفغرون الشفاة وينغضون الرأس"، وقمة التعيير هي: "اتكل على الرب فلينجه" (٢٢: ٧-٨). ثم: "أحاطت بي ثيران .. فغروا عليَّ أفواههم كأسد مفترس يزمجر" (٢٢: ١٣)، "أحاطت بي كلاب جماعة الأشرار" (٢٢: ١٦). وينتهي المزمور بصرخات الانتصار (٢٢: ٢٢-٣١).

مات بالجسد الحيُّ إلى الأبد

من الأقوال المأثورة لأستاذنا د. وهيب عطا الله إن الرب "تألم أدبياً"؛ لأنه ذاق "الموت بالجسد". ولم يكن الموت فكرةً، ولا هو مجرد شعور، بل "مات الجسد" الذي عاش به ٣٣ سنة حسب التسليم الكنسي. وفي الجسد اختبر الرب كل خواص الجسد، وكل حدود الجسد، وجهل الإنسان، وضعف الجسد، وأخيراً موت الجسد. وكلمة "ذاق" بمعنى "اختبر" انفصال النفس عن الجسد، وهي نهاية الحياة الإنسانية؛ لأن هذا الانفصال لا يجعل الإنسان إنساناً.

– غير المحدود قَبِلَ الحدود
– الحي صار ليس فقط في عداد الأموات، بل قَبِلَ موت جسده.
– القيامة الذي أقام الموتى، هو نفسه يوضع في قبر.

ولذلك، ما قيل في العبرانيين (٥: ٧-٩) بأنه "كَمُل"، أي صار كاملاً، لا يعني أنه ناقصٌ، بل لأن عمله وصل إلى غايته، وهو ترتيب عودة الإنسانية إلى الله.

* عاد الإنسان إلى أصلٍ جديد بالولادة من البتول، عندما نقل الربُّ أصل وجودنا من آدم إلى شخصه (العظيم أثناسيوس).

* ونالت الإنسانيةُ فيه مسحة الروح القدس، تلك التي فقدتها في آدم.

* وغلبَ الشيطانَ كإنسان، وجعله كلا شيء.

* وجاء الى الموت ودخل من أبواب الموت، لكي يبيد الموت ويلاشي قوة الجحيم.

* ولذلك "كَمُلَ"، إذ نالت الإنسانية الخلود، ليس لأنه استُعلِن بالقيامة، بل لأن الخلود عَبرَ الموت. قبل الصلب والقيامة، كان الربُّ قابلاً للموت لأنه أخذ اللحم والدم الخاص بنا (عب ٢: ١٤)، ولكن ذلك اللحم والدم، تحول ليس بإرادة الرب فقط، وليس بالاتحاد الأقنومي فقط؛ لئلا يصبح هذا هو تحوُّلٌ خاصٌّ به وحده، ولكنه حوَّل الذي لنا، في الواقع، وبالحق، وبالاختبار والتذوق.

* الاتحاد الأقنومي هو الأساس الذي بُنِيَ عليه خلاص الإنسان في المسيح، وعلى هذا الأساس تمت الولادة من البتول، ومسحة الأردن وتجارب البرية والموت والدفن وفي القيامة. وهذه كلها لم تكن من أجل الرب، بل "لأجلنا نحن البشر".

هذه هي ذكرى يسوع، الكائنُ لا الغائب. الحاضرُ في كل يوم وساعة. وذكراه هي حضوره، هي قدرته، وهي عطاء حياته وما بذله.

- ذكرى الرب التي يحتويها اسمه: "يسوع".

- ذكرى الرب في مسحة الروح القدس، ولذلك كلما قُلنا "المسيح"، فنحن عندئذٍ نستعيد مسحتنا.

- ذكرى الرب في موته المحيي، وكلما عَبَرت ملامح الصلب والصليب، انتصبت علامة العهد الأبدي "علامة الصليب" في قلوبنا وعقولنا، عندئذٍ نصدح بنشيد حريتنا من الموت والفساد.

– ذكرى دفن الرب في يوم السبت الكبير، وهي ذكرى اندحار قوة القبر واندثار الجحيم، فقد "نزل إلى الجحيم من قِبَلِ الصليب". وحيث قوة الجحيم، يقف المصلوب الحي والمائت الغالب ضد قوة الجحيم وضد مخاوفنا.

– ذكرى القيامة؛ لأننا عندما ننشد: "المسيح قام"، فنحن معه أحياء. هو قام ليس لأننا نقول هذا فقط، بل لأنه لأول مرة في تاريخ البشر صار للقول حقيقة حياة، وصار اللفظ إشارةً إلى الوجود الغالب، ولم يعد مجرد كلمة ننطق بها.

المسيحُ قام أيها الأحباء.

لنحب بعضنا بعضاً؛ لأن المحبة قامت، وتحررت من رباطات الموت،

ونالت الخلود، وتألَّهت في يسوع.

كل عام وقوة الصلب والقيامة سارية فينا، وقوة الاتحاد الأقنومي ثابتة في كياننا.

المسيح قام. كل عام وأنتم جميعاً في المسيح الحي.

الرب قام. هذا هو فرحنا الأبدي.

مع المسيح من الشعانين إلى القيامة[٩٣]

حلقاتٌ ثلاثة:

دخلتَ أورشليم وأنت تعلم أنها سوف تمتلئ بالذين يطلبون دمك. ولكنك لم تكن تخاف الكراهية ولم تترك البغضة تسود، بل كانت ولا تزال محبتك تريد أن تهبط إلى جحيم القلوب حيث تستعر نارُ البغضة مثل آتون لا ينام.

وكان دخولُكَ للسلام، وسمعتَ ما سوف تسمعه بعد ذلك عندما تُبنى الكنائس. ما تفعله يا محب البشر هو مثل شجرة لها ثلاثة فروع:

- فرع الزمان الخاص بتجسدك واستعلانك.
- فرع الزمان الآتي عندما يصبح ما فعلته مقدمةً لعملٍ أعظم.
- فرع استعلان الخلاص المعلَن محجوباً حتى يكمُل في الدهر الحاضر، وفي المستقبل حيث تملك فعلاً ملكاً.

دخلتَ أورشليم وصاح الصبية: "هوشعنا"، خلصنا. وهو زمان تجسدك، وكان هذا مقدمة العمل العظيم الذي تم، ليس في أورشليم، بل خارج أسوار أورشليم على الجلجثة. كان عملاً محجوباً. لم نرَ إلا ما ركبته، وموكباً متواضعاً حولك. وبعد زمان سوف يصبح لك مواكبَ ملوكية في كنائس وفي مدن لم يعرفها الذين هتفوا لك. وعندما تتم حلقات التدبير سوف تجمع الشعوب في ملك أبدي، وتعطي لهم مُلكاً معك يجلسون عن يمينك (رؤ ٣: ٢١).

---

(٩٣) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ إبريل ٢٠١٧.

خميسُ عهدِ محبتك

طلبتَ من تلاميذك "حجد الذات". وفي مساء ذلك اليوم في العلية سلَّمتَ ذاتكَ في سر قربان جحد ذاتك، أعظم ما تجود به المحبة. قبل ذلك الحدث الجليل، أنذرت بطرس بأنه سوف ينكرك، ليس مرةً واحدةً، بل ثلاث مرات، ورغم ذلك -عند العشاء- لم تحتكم إلى معرفتك، بل إلى محبتك.

كان أبي الروحي يقول: **إن المحبة تسبق المعرفة عند الناضجين، وعند الله، تحكم المحبة قبل المعرفة**. ورغم أنك حذَّرت بطرس، إلا أنه سقط، وقبل سقوطه الذي كنت تعرفه، قدَّمت له جسدك ودمك، لذلك علَّمتنا أُم الشهداء أن نصرخ: "كرحمتك يارب وليس كخطايانا". وكان شيوخ البراموس قد أضافوا عبارة "في يوم الدينونة" إلى كلمات الرسول يعقوب: "الرحمة تفتخر على الحكم".

أرتعبُ من تحديد محبتك بأنك تقبل الأنقياء فقط، لأنه مَن هو النقي أمامك؟

ليس بيني وبين الأسخريوطي أي شركة، ولكنك غسلتَ قدميه مع باقي الرسل ولم تطرده، وهو أيضاً سمع تحذيراً شديد اللهجة، وقدَّمت له جسدك ودمك الذي سوف يبيعه بثلاثين من الفضة. وحاولنا بكل الطرق الملتوية أن نبعد يهوذا عن المائدة، وصدرت فتاوى كلها تقول إنك لم تعد "محب البشر". نزعنا عنك محبتك لمن يكرهك لكي نعطي لأنفسنا شرعية للكراهية ونسير في نفق البغضة.

تتحدى العلِّية كل ما نقوله عن الاستعداد، فقد غاب عن أذهاننا مَثَل أصحاب الساعة الحادية عشر، وتكريم الابن الضال، واسترداد الدرهم المفقود، والسعي وراء الخروف الضال. فقد رسمتْ قساوةُ القلب فينا أيقونةً مزيَّفةً باهتةً تكذب وتعلم القساوة. أيقونةً غاب عنها ألوان: المحبة والبذل والغفران في تاريخنا المعاصر الذي امتلأ بما لا تعرفه "الملفات". صارت البطريركية ومقار الأسقف مثل مراكز مباحث أمن الدولة — الأمن الوطني. ملفات يعرفها فقط ذلك الذي وُصِفَ بأنه "المشتكي"

الذي حسد ولا زال يحسد الجنس البشري ويجمع الخطايا. هكذا صار عمل الراعي والخادم، هكذا أطبقت قوات الظلمة على جماعة الرب:

+ أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية (متى ٢٥: ٢٠).

+ وفي البستان كان مرقس هو ذلك الشاب الذي كان يلبس إزاراً على عريه، وعندما أمسكه الشبان، ترك الإزار وهرب منهم عرياناً (مرقس ١٤: ٥١-٥٢).

+ وعندما كان الرب يُصارع في الصلاة كانوا "نياماً"، ولذلك يقول لبطرس: "يا سمعان أنت نائم. أما قدرت أن تسهر معي ساعة واحدة" (مرقس ١٤: ٣٧)؟ ثلاث مرات يسأل الرب الجماعة النائمة، "وكانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه" (مرقس ١٤: ٣٩).

تريد منا أن نسهر معك،
ولكن الجسد ضعيفٌ
نفضِّل النومَ؛
لأننا لا نحبك محبة تجعلنا نجحد كل شيء.

كان يصلي لكي تعبر عنه الساعة وليس الكأس فقط (مرقس١٤ :٣٥):

يقول الرب نفسه: "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" (لوقا ٢٢: ٥٣)، ساعة الظلمة التي تحاصر "النور". وفي هذه الساعة كل تدبير الخلاص معلق بقبول الرب يسوع:

+ الموت وهو ضد حياته؛ لأنه "الحياة"، ولا يمكن لمن هو الحياة والنور أن يذهب إلى وادي الموت وظلال الموت.

+ الصَّلب وما يحمله من اتهامات سوف تظل منذ أن صُلب حتى الآن تدوِّي في عالمنا الفكري في كتب ومقالات، بل دفع البعض حياته ثمناً للاعتراف بالمصلوب.

+ لم يكن الحصار في البستان فقط، بل على الصليب: "إن كنت ابن الله انزل عن الصليب" لكي تهلك الإنسانية ولا تتم المصالحة. أما الكأس، فهو تعبيرٌ عن

الميراث: "الرب نصيب قسمتي وكأسي" (مز ١٦: ٥)، وهو ذات المزمور الذي يُعلن عدم فساد جسد الرب.

والكأس أيضاً هو كأس الدينونة (حبقوق ٢: ١٦ زكريا ١٢: ٣)، كأس الغضب (أرميا ٢٥: ١٥). ويبقى السؤال أيّاً كان الرب يقصد، لئلا يركب الذين يحبون ويعبدون الغضب عربة الغضب، يقول الرب قبل صلبه عندما يسأل تلميذه: "هل تشربا الكأس التي سوف أشربها؟" (متى ٢٠: ٢٢ — مرقس ١٠: ٣٨)، وقال الرب لهما إنهما سوف يشربان هذه الكأس. إنها الصلب. كان يطلب العبور "البصخة"، كان يسأل قيامته؛ لأن الموتَ غريبٌ على مَن قال: "أنا هو القيامة". ومن (عب ٥: ١-١٠) وأعداد ٧-٨-٩، نعرف أنه رئيسُ كهنةٍ أقسم الآب أن يبقى كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق، ولكنه في البستان بكى وصرخ بدموع (عب ٥: ٧)، "طلب من القادر أن يخلِّصه من الموت". وعَبرَ الربُّ لأنه بلا خطية، ولأن الموت الذي سوف يقابله ليس موته هو، إذ لا يوجد فيه موت: "وسُمِعَ له من أجل تقواه". وهنا يضع الرسول صلاة الرب في البستان في إطارها اللاهوتي الواضح.

+ مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به.
  فالغائب من الإنسانية هو طاعة الآب.

+ وإذ كُمِّل، صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي.
  لقد كُمِّلَ بالموت والقيامة.

+ فصار مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق (عب ٥: ١٠).

يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس (متى ٢٦: ٣٩):

خرَّ الربُّ على وجهه، أي التصق وجهه بالأرض: "نفسي حزينة حتى الموت"، تلك هي لحظة التسليم المطلق: إن أمكن -ليس فيها الإصرار، بل هي توسل، ولا يجب أن نفهم هذا التوسل فهماً خاطئاً، فهو توسل الوسيط والمساوي للآب، والذي يخدم، رئيس كهنة في يوم الخلاص العظيم، لا في يوم الكفارة حسب الرمز القديم الذي لا يشرح بالمرة عظمة العمل الإلهي؛ لأن الكاهن والذبيحة والوسيط هو شخصٌ واحد، وهو ليس مجرد إنسان، بل هو الإله المتجسد.

نفسي حزينة جداً حتى الموت؛ ليس لأنه سيقدِّم ذاته للموت، بل لأن الذين سوف يُصالَحون مع الآب، سيظلون على عتبة المحبة الإلهية. وجاءت زمن انقسام جماعة الرب، بل لا زلنا نتجادل حول موضوع الفداء والكفارة، ونشتِم مَن لا يتفق معنا. حزنٌ على انسكاب الذهب في زبالة البشر، وهو نحن الذي لا زلنا نجهل قوة المحبة الإلهية.

هذه هي الصلاة الحرة الموجَّهة للآب: "إن أمكن"، وهو يصرخ صراخ الأطفال، abba آبا أيها الآب كل شيء متاحٌ لك، فأجز عني هذه الكأس" (مرقس ١٤: ٢٦). ثم يأتي التخلي عن الذات: "ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت" (مرقس ١٤: ٣٦). تخلي الرب عن إرادته يعني أن له ذات إرادة الآب؛ لأن من يترك إرادته لآخر يصبح إرادة الترك هي ذات إرادة الآخر، أي تتوحد في العمل.

وبكى بطرس بكاءً مراً (لوقا ٢٢: ١٢):

هي دموعُ مَن سَمِعَ تحذيراً ولم يستوعب، وسقط بكامل وعيه. لقد لَعَنَ وحلف، لَعَنَ الربَّ، أي شتمه. وحَلف، وإذا كان بطرس قد استخدم صيغة القسم السائدة، فلا شك أنه قال: ليحذف الرب اسمي من سفر الحياة إن كنت أعرف يسوع. وهي صيغة قَسَم شائعة وردت في المصادر الآرامية. أما صيغة اللعن، فهي ليست مجرد إنكار معرفته بيسوع، بل ربما كانت تنكر كل ما يُقال عن يسوع إنه ابن الله، وربما كانت تحتوي إعادة الاتهامات السائدة: سامري وبه شيطان (يوحنا ٨: ٤٨). ولكن بعد أن صاح الديك مرتين، وسمع بطرس صياح الديك، أدرك أن ما ذكره الرب هو حقٌ، وأنه هو قد أخطأ.

لم يكن بكاءَ مذنبٍ يحمل الشعور بالذنب، بل بكاء محب هُزِمَت محبته في لحظة ضعفٍ، عندما خاف من الموت. فقد رأى الرب يُحاكَم، ولم يستخدم قوته. هو صاحب العبارة: "حاشاك يا رب" أن تُصلَب، وهو أيضاً الوحيد الذي سمع: "اذهب عني يا شيطان أنت معثرةٌ لي"، وهو الآن يقف في ذات صف مقاومي يسوع، ولكنه أدرك عمق الهوة التي انحدر إليها.

يومُ الصلبوت

"من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء" (متى ٢٦: ٦٤). كانت كلمات الرب ردَّاً على سؤال قيافا: "هل أنت المسيح ابن الله"؟ وردد الربُّ كلماتٍ يعرفها قيافا وردت في (دانيال ٧: ١٣-١٤) "ابن الإنسان أتى إلى القديم الأيام فقربوه. فأُعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض". ولم يدرك قيافا أنه يساهم في تحقيق نبوة دانيال، وأسلَمَ الربَّ لكي يُصلَب، فصار وهو على الصليب جالساً عن يمين القوة، جلس على عرش الغفران والبذل، ولذلك أُضيف المقطع المشهور: "الرب ملك على خشبة" أثناء قراءة المزمور؛ لأنه استُعلِن الإله الذي في حضن الآب. وهكذا دخل التعبير في القداس الغريغوري: "أيها الإله الإبن الوحيد الذي في حضن الآب الذي حلَّ عداوة البشر". ومن كلمات الرب أيضاً قال رسول المسيح: "الصليب قوة الله وحكمة الله" (١كو ١: ٢٤)، ولأنه جلس عن يمين القوة، فتح الفردوس للص وغفر لصالبيه.

وكان المجتازون يجدِّفون عليه (متى ٢٧: ٣٩):

لم يستقبل الصليب والمصلوب إلا الذين أحبوا يسوع. ورغم مرور ٢٠ قرناً على صلب المسيح، لا زال الصليب والمصلوب موضوع سخرية وتجديف، وهي سخرية وتجديف لن يموتا؛ لأن الصليب مثل مسمار كبير دُقَّ في كبرياء القوة، وجعل القوة تصرخ وتنزف دم الكبرياء. جاء صِدام النور مع الظلمة، وهنا يجب أن نتوقف أمام كلمات الإنجيل: "النور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه" (يو ١: ٥)، أي لم تحتويه أو تستوعبه. "النور جاء إلى العالم وأحب البشر الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة" (يوحنا ٣: ١٩). إن محبة النصيب الأكثر تملي علينا أعمالنا وتحكم تصرفاتنا. وهكذا جاءت الظلمة على الأرض من الساعة السادسة إلى

الساعة التاسعة (متى ٢٧: ٤٥). وقد قرأتُ حاشيةً على قطمارس البصخة تقول إن آدم خُلِق في اليوم السادس، وإنه أخطأ في الساعة السادسة (راجع نفس التسليم في صلوات الساعة السادسة في الأجبية)، إنها ساعة الظلمة، فقدان معرفة الله. ونحو الساعة التاسعة أعاد الرب كلمات (مزمور ٢٢: ١). ويجب مراجعة الترجمة؛ لأن الرب لم يقل "لماذا"، بل حسب العبراني والآرامي أيضاً قال: "لِمَا" التي حسناً وُضِعت في النسخ العربية. "ولِمَا" ليست أداة الاستفهام العربية، ولكنها تعني بالعبرية والآرامية: "مَن"، أي مَن هؤلاء الذين تركتني لهم؟ أو ما هو سبب صلبي؟ "لما" هي الأصح، وهي استفهام يرد على السبب، لا اعتراضٌ على الصلب، ولذلك بعد عبارة المزمور "أسلم يسوع الرب في يدي الآب".

انشق حجاب الهيكل:

كان دخول قدس الأقداس في هيكل سليمان يتم مرةً واحدةً، أسهب رسولُ الربِّ في شرحها في العبرانيين (راجع على سبيل المثال ٩: ١٢). وسِترُ هيكل الرب ليس حجاباً؛ لأن الهيكل زال ولن يُبنى، ولا يجب أن نصدق ما يُقال في داخل أروقة الحركات الصهيونية. فقد دخل الربُّ إلى قدس الأقداس الحقيقية: "السماء التي لم يدخلها ذو طبيعة بشرية (قسمة سبت الفرح)، وحقق لنا الفداء الأبدي وجعل من الإنسان نفسه هيكل الله الذي لا يوجد فيه حجابٌ بالمرة.

اللص اليمين:

حسب التقليد الكنسي، الذين عن يمين الرب هم الخراف. ولذلك، كان اللصُّ محسوباً عن يمين الرب. عُرِفَ بأنه ديماس، وأنه عَرِفَ الربَّ قبل الصلب.

لكن يجب أن ننتبه إلى أن التوسع في الكلام عن فضائل وإيمان اللص، كما يحدث في بعض العظات المعاصرة، يُنقِص من عظمة المحبة التي أظهرها الرب نفسه. كان الربُّ موضع هُزءٍ وسخرية، ولعل تلك العبارة صادمة جداً: "خلَّص آخرين، فليخلص نفسه إن كان هو المسيح" (لوقا ٢٣: ٣٥). وكان موضع استهزاء الجند بعبارةٍ أخرى: "إن كنت أنت ملك اليهود فخلص نفسك" (لوقا ٢٣: ٣٩). والسؤال هو إذن ماذا حدث مع ديماس اللص؟

انتهر اللصُّ الآخر، قائلاً له: "أنت لا تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه"، ويعترف ببراءة يسوع: "نحن بعدلٍ لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. أمَّا هذا (يسوع)، فلم يفعل شيئاً ليس في محله" (لوقا ٢٣: ٤١). يدرس القديس كيرلس الكبير في العظة ١٥٣ على انجيل لوقا موقف اللص، ويضع هذه النقاط الأساسية:

* اعترف اللصُّ بأن الحكم الذي صدر من بيلاطس واليهود هو حكمٌ خاطئ؛ لأن يسوعَ بريءٌ.
* اعترف اللصُّ بأنه مذنبٌ يستحق العقاب.
* اعترف بأن يسوعَ ملكٌ؛ لأنه رأى يسوع مصلوباً وموضع استهزاء، ولكنه -رغم ذلك- كان يرى أنه سوف يجيء ملكاً.

ومن العبارات التي لا يمكن أن تُنسى للقديس إفرام السرياني:

"رأى يسوع أن في قلب اللصِّ حبةَ خردلٍ، وأنها لا تجد الفرصةَ لأنْ تنمو هنا على الأرض، فوهَبَ له مكاناً معه في الفردوس لكي تصبح حبة الخردل شجرةً ناميةً".

وسبق يسوعُ اللصَّ؛ لأن يسوع وحده كان هو الوحيد الذي يمكنه أن يفتح له باب الفردوس، وتم قول الرب نفسه: "أنا ذاهب لأُعِدَّ لكم مكاناً".

تحدِّي ديماس اللص:

* يتحدى ديماس كل الذين ينادون بأن الخلاص هو بالأعمال.
* ويتحدى أيضاً الذين يقولون إن الله يحب الذين يحبونه فقط، وإنه يُعامِل القديسين معاملة خاصة ويهمل الخطاة.
* والذين يطلبون مدة توبة لقبول الساقطين، أهملوا بطرس الذي أنكر ولعن الرب، وأيضاً ديماس الذي عُلِّق على الصليب وتألم يوماً واحداً.

لعل خُلاصة الأمر كله هو أننا منذ انتشار بشارة الإنجيل، نحاول أن نُخضِع الرب يسوع لمقاييس عقولنا، وننسى أن محبة الله أعظم من أن تُقاس بما نعرفه نحن؛ لأن محبة الله تعلو على كل أفكارنا.

"الحق أقول لك اليوم إنك اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا٢٢ : ٤٣):

كانت طلبة اللص أن يملك مع المسيح عندما يأتي ملكاً في المستقبل، ولكن كان رد أو استجابة الرب: "اليوم"، وأكَّد هذا بقوله: "الحق أقول لك". كما لاحظ إفرام السرياني وغيره، فقد سرق اللصُّ الفردوس: "اليوم أنت معي، حيث المسيح توجد الحياة في المسيح" (إمبروسيوس، شرح إنجيل لوقا ١٠: ١٢١).

"الفردوس" كلمة فارسية الأصل (بارادِيذو)، دخلت كل اللغات القديمة. وصلتنا من اليونانية. استُخدِمَت كلمة "الفردوس" لوصف جنة عدن (تكوين ٢: ٨)، ولكن في العهد الجديد صار لها البُعد السمائي (٢كو ١٢: ٤ — رؤ ٢: ٧). "إنك اليوم تكون معي"، لم يقل الرب شيئاً عن غفران خطايا اللص، ولا عن الاستحقاقات، ولا وضعَ الربُّ شروطاً، وهو هنا كما فعل قبل ذلك قال: "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لوقا ٢٢: ٣٤)، فقد طلب الغفران لمن لم يطلب الغفران، بل بعد قيامته، لم يحاسِب بطرس، بل اكتفى بسؤالٍ آخر ليس عن الخطية، بل عن المحبة. وبعد أن أكل مع بطرس وباقي التلاميذ وتناول وجبة طعام هي دليل الصداقة والألفة، بعد الوجبة يسأل يسوع: "يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء؟" ولم ينظر بطرس إلى ما حدث مع الجارية، فقال: "نعم يا رب أنت تعلم أني أُحبك" (يوحنا ٢١: ١٥). هنا نجد أن بطرس قد وضع ثقته في محبة المسيح يسوع.

لو امتلكنا رؤيةً صائبةً لسلوك وأقوال الرب يسوع، لاستطعنا أن نميِّز التعليم الإلهي الصادق من الزيادات والإضافات التي دخلت بعد ذلك.

يا امرأة هوذا ابنك .. هوذا أُمك (يوحنا ١٩: ٢٦):

متألمٌ وجريحٌ وعريانٌ، وهو يعلم أن ساعة الموت قد حانت، لكن -كما ذكر مكسيموس المعترف- كان يسوع وحده هو الذي لم يحيا لذاته.

كانت أمه مع المريمات ويوحنا التلميذ الذي يحبه يسوع، وهو هنا ليس يوحنا الإنجيلي فقط، بل هو كل تلميذ. "يا امرأة" هو نداءُ أُلفةٍ، وحتى كلمة "مرة" الآرامية

– السريانية الأصل ليست تحقيراً، بل هي الاسم الحقيقي لذلك الآخر، الذي لولاه ما استمرت الحياة على الأرض، أي المرأة.

"امرأة لأنها من امرءٍ أُخذت" (تكوين ٢: ٢٣). "يا امرأة" هو نداءٌ مقبول في ثقافةٍ لم نعد نعرفها؛ إذ صارت كلمة "مرة" مسيئة، توحي بالاحتقار، فحتى في الكنائس التي تكرم أُم النور، لم تنل المرأة كرامتها التي وُهِبَت لها في المسيح. ولكن، حسب أصل المرأة، هي من "امرءٍ".

ليس هذا اهتمام بالأُم فقط، بل بيوحنا أيضاً؛ لأن محبة يوحنا للرب جلبت عليه الوجع، وهو يرى مَن يحب معلقاً على الصليب. يخاطب الربُّ الرجلَ أو التلميذ أولاً؛ لأن التلميذ سوف يعول المرأة، وهي هنا "أُمه"، وليست غريبة. هي أُم يسوع وأُم يوحنا. هكذا صارت أُم يسوع، الأُم الحنون لكل مسيحي.

يا أبتاه في يديك أستودع روحي (لوقا ٢٣: ٤٦):

اقتبس الربُّ كلمات (مزمور ٣١: ٥). وكانت كلمات هذا المزمور هي أحد صلوات المساء في زمان الرب، وكانت تُردَّد قبل النوم. وباقي كلمات المزمور حسب السبعينية: "فديتني يا رب إله الحق" (مزمور ٣١: ٥). وهو مزمور رجاءٍ في عمل الله، لكن علينا أن نلاحظ أن الرب لا يخاطب الله كما في العبرانية، بل "يا أبتاه"، يا أبي.

ملاحظة هامة:

لم يذكر يسوع أنه سيموت، بل أنه سوف يُسلم الروح (متى ٢٧: ٥٠) كما في (يوحنا ١٩: ٣)، فقد ذَكَرَ يسوعُ صلبَه لا موته.

ثالث المستحيلات:

أن يعتقد البعض أن صراخَ الربِّ: "يا أبتاه في يديك أستودع روحي"، هو صراخُ مَن هو واقعٌ تحت قضاء العدل ويدفع الثمن، هو دربٌ من المستحيل، ذلك لأن الغفران ليس في يد الآب وحده ... وعيب هذا الرأي أنه غامضٌ جداً، ومأساة أصحاب هذا الرأي تظهر أمام التساؤل: هل دفع الابنُ الثمنَ على الصليب، أم

أن الدفع شَمِلَ القيامة أيضاً؟ أليس الذي يخاطِب الآب، ويضع روحه أو يقدم روحه الإنسانية للآب، هو ذاك الذي من جوهر الآب، ومن هو معه في الإرادة والمحبة والحياة والجوهر؟!

السبت العظيم

الاعتقاد العام عند الكاثوليك وبعض الأرثوذكس بأن الرب نزل إلى الجحيم لكي يحرر قديسي العهد القديم، ولكن مِن (١بط ٣: ١٨-٢١) يبدو أنه حرَّر الذين لم يتوبوا. لأن بشارة الإنجيل حسب نص (١بط ٤: ٦) قد بَشَّرَ بها الأموات: "فإنه لأجل هذا بُشِّرَ الموتى أيضاً".

الجحيم، أو Hades أو شيئول في العبرانية هي نزول الرب إلى الأماكن السفلى (أفسس ٤: ٩ — رومية ١٠: ٧)، وأنه بهذا النزول تم الانتصار على الجحيم (١كو ١٥: ٥٤-٥٧)؛ لذلك يرى يوحنا الإنجيلي الرب يسوع يقول له: "أنا هو البداية والنهاية، الحي وكنت ميتاً وها أنا حيٌّ إلى أبد الآبدين ومعي مفاتيح الجحيم والموت" (رؤ ١: ١٧-١٨).

عند الآباء تعليمٌ واضحٌ عن هزيمة الجحيم (إيريناوس، ضد الهرطقات ٤: ٧ — العلامة أوريجينوس، الرد على كلسوس ٢: ٤٣). والمعلم العظيم أثناسيوس في الرد على الأريوسيين يقدم لنا صدى ذكصولوجية كنيسة الإسكندرية؛ لأنه يقول في كلمات محددة: "الذي جاء هو نفسه ليبيد الموت، كيف يخاف الموت؟ ألا يكون أمراً غير لائق وعديم التقوى أن يقال عنه إنه يخاف الموت أو الجحيم، وهو الذي ارتعد منه بوابو الجحيم حينما رأوه؟" (٣: ٥٤).

وعن ذهاب الرب إلى الجحيم يقول في رسالة إلى أبكتيتوس:"إن الجسد لم يذهب إلى الجحيم، بل هو بنفسه ذهب، بينما بقى الجسد الذي لفَّه يوسف بكتان عندما أخذه من الجلجثة"،

* بوابو الجحيم رأوه وخافوا
* وأهلك طلقات (أوجاع) الموت

* فلم تستطع أن تمسكه
* سَحَقَ الأبواب النحاس (أبواب المدن الحصينة)
* وكسَّر متاريس الحديد (التي تصد المهاجمين)
* وأخرج مختاريه بفرح وتهليل
* وأصعدهم معه إلى العلو إلى مواضع راحته
* خلَّصهم لأجل اسمه وأظهر قوته لهم" (ذكصولوجية سبت الفرح).

وفي العظة ١٩ على مزمور ٤٨: ٩ للقديس باسيليوس الكبير، يقول: "ملك الموت من آدم حتى خدمة موسى، بل إلى أن جاء الراعي الذي بذل نفسه عن الخراف (يوحنا ١٠: ١٥) وأخرج الخراف من سجن الجحيم باكر صباح القيامة".

الأبواب النحاس:

انت هذه الأبواب هي أحد تحصينات المدن القديمة (أشعياء ٤٥: ٢). وسور النحاس هو أقوى من الحجارة (أرميا ١٥: ٢٠ - مزمور ١٠٦: ١٦). ولذهبي الفم عظة عن المدافن والصليب يقول فيها: "اليوم حطَّم الربُّ الأبواب النحاسية، وكسَّر متاريس الحديد (أشعياء ٤٢: ٢). انتبهوا إلى العبارة، فهي قاطعة، فهو لم يقل إنه فتح الأبواب النحاس، بل حطَّم الأبواب النحاس لكي يحرر الذين كانوا في السجن، وكانوا في سلاسل، وكان هؤلاء الأسرى بلا قوة. هكذا، عندما حطَّم المسيح كل هذا، فمن الذي يستطيع أن يُصلِح؟ عندما يحطِّم الله شيئاً مَن يقدر أن يعيده؟" (فقرة: ٢).

وأناشيد مار افرام تحتوي على الكثير من ذكر النزول إلى شيئول، نكتفي بهذه الكلمات:

"توقَّف الموت عن أن ينطق كلمات وقاحته؛ لأن صوت الرب سُمِعَ مثل جرسٍ يرن في شيئول، فقد بشَّر وأباد القبور .. أمسك بالموت، فصار الموتُ يرتعد". (أناشيد نصيبين ٣٦: ٢).

إذن، فالنزول إلى الجحيم هو انتصارٌ لا يعلو عليه انتصار.

ومرةً ثانيةً، من المستحيل أن يسبي الرب الجحيم ويبيد قوة الموت ويطلق سراح الأسرى، إذا كان تحت عقاب العدل الإلهي، أو أنه جاء لكي يدفع الثمن، أو أنه عوقب بدل المؤمنين.

خميسُ العهد(٩٤)

خميس العهد هو ذلك الحدث الجليل الذي قلع من الوعي كلَّ صورةٍ مزيَّفةٍ عن العطاء والبذل وتقديم الذات "قرباناً". لولاه ما كان لدينا الخدمة الإلهية، أي الليتورجيا.

وبدون هذا العطا غير المألوف والذي لا مثيل له في التاريخ، كنا سنصبح مجرد شاهدين ليوم الجلجلة، يوم الصلبوت، لا مشاركين فيه، فقد بدأ "سكب الدم"، وتقديم الجسد بواسطة يسوع، إذ لا يتجاسر أحدٌ أن يقدِّم دم الرب وجسده لآخر، ولكن الرب قدَّمه بنفسه وقال: "هذا هو جسدي ... هذا هو دمي".

أشرقت محبة يسوع بنورٍ غير مألوفٍ، ولا ينتمي إلى ما نعرفه عن الحياة، بل وعن المحبة. أحب يسوع فقدَّم ذاته بذاته، فلا يمكن لآخر أن يقدمه، عطاءٌ شخصي حقيقي.

لكن عقل الإنسان مزق الرؤيا، وحولها إلى صراع عقلي دخل حلبة العقيدة، وحاول العقل منذ القرن الحادي عشر أن يسجن عطاء الرب في مصطلحات عن التحول في الخبز والخمر، إذ لم يفهم المجادلون أنهم بالحوار حول تغيير الخبز والخمر قد ابتعدوا عن "شخص الواهب"، وأقاموا ثنائيةً عقليةً تفصل الواهب عن الهبة، بل ودخلت محبة الرب نفق التحليل الفلسفي عن الذكرى وعلاقة العلية بالجمعة العظيمة، وهكذا قسَّموا الرب إلى أحداثٍ تاريخيةٍ، وكان يسوع هو ضحية هذه الأحداث، لا صانعها، و"خالق كل الدهور". بل جاء السؤال في مجمع أفسس ٤٣١م: هل قدم يسوع لاهوته أم ناسوته؟ والجواب كان بدوره سؤالاً: هل كان الجالس وسط التلاميذ لاهوتاً بلا ناسوت، أو العكس ناسوتاً بلا لاهوت؟ وهل كان الصوت القائل: "هذا هو جسدي"، هل كان يقصد الجسد فقط، وكأنه نسى

(٩٤) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ إبريل ٢٠١٨.

أنه الكلمة الابن الوحيد؟ وكيف يعطي الجسد ويقدِّم للحاضرين، وكأنه جزءٌ من الشخص، ومن أين تأتي قوة التقديم وسخاء التوزيع على الحاضرين؟

أيُّ إنسانٍ يمكنه أن يقدم جسده ودمه ويظل حياً بعد ذلك، يُصلَب ويُدفَن؟ أيُّ ناسوتٍ يمكنه أن يسفك دمه لغفران الخطايا؟

حقاً قال الرسول: إن بشارة الصليب عثرة لليهود لأنها فاقت كل ما كانت الشريعة قادرة عليه، ولليونانيين أهل الحكمة جهالة (راجع ٢ كور ٢: ٢٣)؛ لأن القوة صارت للمحبة. وتغيير ما لا تقدر الأسلحة عليه بالمحبة، هو النفاذ إلى الوجدان والإدراك.

أراك بيديك "الطاهرتين اللتين بلا عيبٍ ولا دنسٍ" تقدم ذاتك، فالويل لمن قسَّمك إلى لاهوت وناسوت؛ لأن هذا التقسيم ينزع عنك محبتك للبشر.

ها أنتَ عند مائدة الكنسية لاتزال تقدم حياتك لنا في الليتورجية. حقاً إنك صُلبت مرةً واحدةً؛ لأن الموت غُلِبَ وهُزِمَ تماماً في العلية بالعطاء. وعلى الصليب سحقت الدينونة ومزَّقت حكم الإدانة. وفي القيامة أشرق الخلود، وحياتك غلبت الفساد.

وها نحن ندخل إلى خدمتك أنت؛ لأنك أنت هو مؤسِّسُها، وأنت واهبها. نقدم الخبز والخمر لك لكي نتواصل معك ونستجيب لدعوتك: "اصنعوا هذا لذكري". وعندما نصنع الذكرى نشترك، وعندما نقف أمامك يا مَن عبرتَ من بوابة الموت لكي تنقذنا من الموت، تعبر إلينا في كل قداسٍ، فالموت "يعمل فينا" كعدوٍّ مغلوبٍ، والحياة تعمل فينا قوة اتحاد بك. ولو اتحدنا بناسوتك وحده، فقدنا ينبوع المحبة الحقيقية، وهو أُلوهيتك. ولو اتحدنا بلاهوتك وحده، تعذَّر علينا الخلاص من فساد إنسانيتنا التي تحتاج إلى ذات التحول العظيم والأبدي إلى من "لا يسود عليه الموت"، وكانت إشارة الغلبة هي ΙC ΧC. ΝΙΚΑ يسوع الغالب هي ختم محبتك الأبدية.

كل عام وأنتم بخير

يوم الصلبوت[٩٥]

يوم الصلبوت، سبقه الدخول إلى أورشليم لكي يؤكد يسوع أنه ليس ملكاً أرضياً. رفض الملك الأرضي، وظل طوال أسبوع الفصح اليهودي قريبٌ من أورشليم، من مكان القبض عليه وصلبه، فهو لا يخاف من الموت.

وسبق يوم الصلبوت تقديم ذاته إلى "خاصته" من التلاميذ، إلى بطرس الذي أنكره ويهوذا الذي خانه وإلى الذين هربوا عندما اعتُقِل وحوكم أمام مجمع الكذب.

جثيماني

سبق الصلب تلك الصلاة التي لامثيل لها، صلاةُ الحي قاهر الموت، وهو يأتي إلى موته هو لا موت لعازر أو ابن الأرملة. كأس الموت خاصٌ بكل البشر، ولكنه مُرٌّ المذاق يضرب جذوة الحياة ويضرب المجد الإلهي، لكن القبر ليس لمن قال: "أنا هو الحياة"، ولكنه يدخل حراً "وادي ظل الموت" الخاص بالبشر وحدهم، وهو الإله المتجسد الذي يحمل الطبع الذي لا يموت ولا يسكن القبور كميتٍ مع المائتين. ولكن هنا يسوع يضطرب ويسقط عرقه من شدة الصراع: "نفسي حزينة حتى الموت"، ليس الموت على أيدي الرومان واليهود، بل الموت الذي أصاب كل البشر. "حزينٌ" لأجل قوة الموت، ونفسه تقترب من "الحفرة – شيئول (في العبرية)، عالم الظلمة، حيث لا تسبيح للقوات السمائية، حيث يسكت الموتى، ذلك عالم القسوة والظلام الذي يحتاج إلى من يبدده بالدخول إليه والنزول إلى الحفرة، وجعٌ لا تعرف اللغات كيف تعبِّر عنه.

---

(٩٥) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٥ إبريل ٢٠١٨.

اللص ديماس

الوحيد الذي سمع من فم الرب إن له مكاناً مع يسوع في الفردوس، وصار لغزاً محيراً سكب الوعاظ بخصوصه المداد لكي يجعلوه من التائبين، بل من الموعوظين الذي عُمِّدوا بالدم ... ولكنه ليس كذلك، بل هو غريبٌ عن كل هذه التصانيف؛ لأننا نحاول -بهذه التصانيف- أن نخلق حتى ليسوع نفسه المدخل القانوني والكنسي لكي يفقد يسوع محبته غير المشروطة للخطاة.

يسوع الكلمة الخالق لم يدفع ثمناً للخطية

تصدر هذه العبارة كاشفة عن جهل من لا يؤمنون بأن الابن هو من ذات جوهر الآب، وهي عبارة أريوسية الطعم والرائحة، تنكر أن الابن خالق الكل حسب تعبير بشارة يوحنا الرسول: "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيءٌ مما كان (خُلِق)" (يو ١: ٣). وإذا كان الرب هو خالق كل شيء، فمن هو الخالق الآخر الذي يدفع له الابن ثمناً، وما هو ثمن الخطية؟ ترى هل يتجاسر الجهل فيقول إنه حياة ابن الله؟ وبعد أن يدفع الثمن، هل سوف يسترده؟ من يقول إن الثمن دُفِع لله الآب، ينكر لفظاً ومعنىً أن الآب في الابن وهو على الصليب، وأن الابن والآب واحد (يو ١٠: ٣).

لقد قدمت جسارة الجهل التجديف على ألوهية الابن، وحوَّلته من رب الحياة، وخالق الكل إلى ثمنٍ لخطية البشر. تأمل بشاعة هذا التجديف: الابن خالق كل الأشياء "الذي به وله الكل قد خُلق" (كول ١: ١٧)، يتحول إلى مقابل لما لا وجود له، أي للشر؛ لأن الشر عدم والوجود خير (تجسد الكلمة ٤: ٤). فالشر عملٌ إنسانيٌ بحت لا يمس الله بالموت، ولكنه يعود بالموت على صانع الشر، أي الإنسان نفسه. وتجسد ابن الله إنما كان لرد الحياة "الله الذي هو غنيٌّ بالرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا أحيانا مع المسيح" (أف ٢: ٤ – ٥). هو هنا لم يقابل عدمية الشر بدفع حياته ثمناً، بل قابل الشر بتجديد الساقط ورد الحياة، أي صورة الله (تك ١: ٢٦). ولو تجاسر المجدفون قائلين إنه دفع ناسوته أو دمه ثمناً، فنسطورية التجديف ظاهرة؛ لأنه حتى على الصليب لم ينفصل

لاهوته هن ناسوته. وحسب المستوى الأبدي للتدبير، فإن "دم يسوع (معروفٌ) سابقاً قبل خلق العالم" (راجع ١ بط ١: ١٩)، فما حدث يوم الصلبوت هو تدبير سابق على خلق الزمان والمكان، هو الإرادة الإلهية لله الكلمة المتجسد في الزمان (عب ١٠: ١٠)؛ لكي يعلن لنا محبته الأزلية السابقة على خلقنا (أف ١: ٣).

وهكذا أسقط هؤلاء المجدفون، المحبة الإلهية الفائقة المعرفة (أف ٣: ١٩)، وسقطوا هم من هذه المحبة بنشر الكراهية حتى لابن الله نفسه الذي أحبنا ومات لأجلنا لكي نحيا نحن بحياته كما تقول أوشية الإنجيل: "لأنك أنت حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا"، ولكن في وعي هؤلاء "أنت هو ثمن خطايانا"، وهو تعبير وتجديف لا نراه في كتب صلواتنا الأرثوذكسية، بل في تراتيل إنجيلية قديمة.

البدلية العقابية

وهي صورة أخرى من مستنقع التجديف، وهي أريوسية ونسطورية سمجة، تحقِّر ابن الله وتجعل الآب غاضباً والابن مغضوباً عليه لأنه أقل من الآب، وتنقل محبة الله الآب إلى سوق الشريعة، حيث يفتدي الابنُ الآبَ من الغضب، فيصبح بذلك غريباً عن جوهر اللاهوت الواحد، في حين أنه لم يرد في الأسفار لا دفع ثمن، ولا بدلية، ولا عقابية، ولكنها مفردات العداوة والتشفي، أُسقِطَت على الله نفسه.

يسوع في القبر

صعبٌ على العقل محب القوة والهدم والبطش أن يرى القوة مع الضعفاء، وأن يدخل معهم نفق ظلام الحياة. كان يسوع قادراً أن يلاشي الموت بكلمة منه، ولكن الطبيعة المستعبدة للموت والفساد يمكنها أن تعود من جديد إلى الموت والفساد، أما عندما قَبِل يسوع الموت ووضع بذرة عدم الفساد فينا، زرع التحول الأخير والعظيم في كيان الإنسان لكي ينمو "يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد". وقد قال الرب نفسه إن حبة الحنطة يجب أن تموت أولاً لكي تقدم الثمر الجديد. هكذا يدخل رب الحياة ظلمة القبر، ولما قام ترك الأكفان والمنديل الذي كان يغطي رأسه ووجهه؛ لأن وجهه صار مكشوفاً "الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمةٍ أشرق في وجه

يسوع". الوجه هو الأقنوم، وليس على وجه يسوع برقعٌ مثل البرقع الذي كان يغطي وجه موسى.

طلبتنا أن تطهِّر "لجة محبتك للبشر" هذه القلوب القاسية التي تحالفت مع الشيطان لزرع العداوة والقسوة باسم المخلص محب البشر.

"لك القوة يا يسوع،

لك البركة والعزة إلى الأبد. آمين"

كل عام وأنتم بخير

القسم الثاني

"هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا ...
قام من الأموات وصعد إلى السموات"

الأسباب العشرة للقيامة المجيدة[1]

عندما أعلن الله الوصايا العشرة، ورسم الرسول بولس الحدود العشرة للمحبة (١كو ١٣: ١ – ٧)، جعل الروحُ القدس معالم الحياة الجديدة الناهضة من أوجاع الموت (أع ٢: ٢٤) عشرةً، مُعلنًا لنا أن ختم هذه الحياة هو في يسوع المسيح الرب الحي الواهب الحياة والقيامة.

أولًا: التجسُّد حقيقةٌ أبديةٌ

وُلِدَ كلمةُ الله الابن الوحيد بالجسد.

تألَّمَ وصُلِبَ بالجسد.

مات ودفن بالجسد.

قام جسده حيًا إلى الأبد لا يسود عليه الموت (رو ٦: ٩).

بل غَلَبَ الموتَ.

صار تجسُّدُه أبديًا.

ثانيًا: شركةٌ بلا انفصال

لأنه اتحد بالناسوت وحوَّله في كيانه الإلهي إلى جسدٍ حي، وجسدٍ محيي (صلاة الاعتراف). صار اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحادًا أبديًا لكي يفتح بالقيامة باب الحياة؛ لأنه غلب الموت وداسه، فصار باكورة الراقدين مُعلنًا اتحادنا الأبدي بالثالوث القدوس؛ لأن باب الحياة قد فتحه الرب. ليس حياةُ انفصال وعزلة، بل حياة شركة أبدية كانت عند الآب (١يوحنا ١: ٢). وأُعلنت لنا كشركة أبدية بالقيامة.

---

(١) رسالة عيد القيامة، نشرت على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ إبريل ٢٠٠٧م.

ثالثًا: الزمان الجديد

كانت عبادة العهد القديم عبادةُ أعيادٍ ومواسم، وانتظار مواعيد الصلاة والتطهيرات. كان الزمان فاصلًا بين الله والإنسان؛ لأن دورة الأيام حددتها الشريعة القديمة التي كانت – حسب وصف الرسول بولس – "خدمة الموت" (٢ كور ٣: ٧)، لكن جاءت "خدمة الحياة"، الحياة التي لا تموت، والتي لا زمان فيها؛ لأن "ملء اللاهوت يحل جسديًا" (راجع كولوسي ٢: ٩) لكي نمتلئ من الله (كولوسي ٢: ١٠)، فأغلق التجسُّدُ باب الزمان والمواسم، ورَسَمَ تجسُّدُ رب المجد نهاية الزمان. ولذلك يقول الرسول: "لما جاء ملء الزمان" (غلا ٤: ٤)، أي عندما توقَّف الزمانُ عن أن يكون له دورٌ في استعلان النعمة؛ لأن "الحياةَ أُعلنت" (راجع ١يوحنا ١: ٢)، الحياة التي لا تستطيع الأيام أن تقيِّدها. أغلق التجسد باب الزمان؛ لأن زمان الاتحاد أي الزمان الجديد قد بدأ باتحاد اللاهوت بالناسوت، لاهوت رب المجد بالإنسانية لكي يبدأ زمان الحياة، وهو الزمان الجديد حيث يقول يسوع الحي: "ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الزمان القديم أي الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). هو معنا لأنه حيٌّ، ولأن الحياةَ المعلنة فيه لم تعد تُعلن حسب مواسم وأوقات بل حسب المحبة الفادية.

رابعًا: الكنيسة جسد المسيح الحي

نحن ننضم إلى جسدٍ واحدٍ، هو جسد المسيح المحيي (١كو ١٢: ١٣)، وهو انضمامٌ لا يأتي منَّا نحن، بل بالمعمودية المقدسة السِّر الأول الذي به نجتمع مثل اجتماع أعضاء الجسد الإنساني (١كو ١٢: ١٢) التي لا انفصال فيها، ولا يوجد بينها انشقاق. نحن ننضم إلى الجسد الواحد، يسوع المسيح الذي بسبب قيامته أعطى الكنيسة أن تكون جسده الحي، الذي ينال فيه وبه وبالروح القدس الحياة التي لا تموت، الحياة غالبة الموت أي قيامته المجيدة؛ لأن الموت يفصل ويبدِّد، والقيامة توحِّد وتجدِّد. الموتُ انحلالٌ زمانيٌ وفسادٌ، والقيامة حياةٌ ومجدٌ. الموتُ ظلمةٌ وسيادة الخطية، أمَّا القيامة فهي نور وحرية مجد أولاد الله (رو ٨: ٢١)، لذلك لا تجمعنا بالرب الواحد قوة جسدانية زمانية محدودة، بل قوة الحياة التي تأتي من ملء اللاهوت

الحال دائمًا وأبديًا في جسده غالب الموت. وهو اجتماع الاتحاد، لا اجتماع عابر يغلبه الموت، ولذلك وصف الرسول الأموات حسب الجسد بأنهم "الراقدون بيسوع" (١ تسالونيكي ٤: ١٤)؛ لأنه اجتماع الحياة الذي يوحِّد الفرقاء، حيث تسري قوة القيامة من الرب المحيي، روح يسوع الذي أقام يسوع من الموت، وهو ذات الروح المحيي الذي يقيم الأموات بالخطية (كولوسي ٢: ١٢) لكي يسكن فيهم أحياءً بيسوع إلى الأبد. ولذلك، الكنيسةُ هي جسد المسيح الحي، ولكنها ليست جسد المسيح المحيي؛ لأن قوة الحياة هي في جسد يسوع الحي بالآب والذي له حياة في ذاته" (يوحنا ٥: ٢٦).

واجتماع أعضاء الجسد هو تعبير استخدمه الآباء من قبل، لا سيما القديس كيرلس السكندري؛ لأن التعبير "اجتماع" جاء من هبة الله الآب لنا، وهي اجتماع اللاهوت بالناسوت، اجتماع الاتحاد؛ لأن الكلمة "اجتماع" تؤكد اختلاف الطبيعة الإلهية عن الطبيعة الإنسانية وتؤكِّد أيضًا تنازُل وتواضع الابن الوحيد لكي "يسكن بيننا" (يوحنا ١: ١٤)، ولكي -بهذا الاجتماع- يصبح هو الرأس الذي "يجمع الذين في السماء والذين على الأرض" (أفسس ١: ٢٢) مؤهِّلًا إيانا نحن البشر أن يكون لنا اجتماع أبدي في شركة الحياة الأبدية. كل هذا ثبُت بالقيامة؛ لأننا لا نتَّحد بجسدٍ ميِّتٍ، بل بمَن هو الحياة والقيامة. ونحن نتَّحدُ للحياة؛ لأن الحياة التي فينا من يسوع المسيح ربنا لا تموت (يوحنا ١١: ٢٦).

خامسًا: المعمودية سر الانضمام للحي

لأننا ذكرنا المعمودية المقدسة "سر الحميم الجديد" والاغتسال الروحي الذي فيه تغتسل النفس والجسد معًا للحياة الجديدة، فقد أعطت القيامة للمعمودية المقدسة ثلاث قوى جديدة، كل قوة منهم لم تكن لدينا نحن البشر من قبل:

القوة الأولى:

الثبات في حياة خالدة لا موت فيها مستمدة من اتحادنا بالمسيح الذي قام لكي تعطي قيامته الثبات في حياة الخلود.

القوة الثانية:

تجلّي الطبيعة الإنسانية بنور حياة الدهر الآتي، أي المجد الإلهي الذي في المسيح لكي نعاين الله الثالوث على النحو الذي ذكره الرب يسوع في (رؤ ٣: ٢١)، أي أننا سوف نجلس على عرش الآب نفسه كما جلس هو نفسه على عرش أبيه، معلنًا بذلك طبيعة وراثة ملكوت السموات؛ لأن المِلك الأبدي ليس لطبيعةٍ مهددةٍ بالموت، بل لطبيعةٍ خالدةٍ نالت خلود المسيح.

القوة الثالثة:

سلطان التبني (يوحنا ١: ١٢)، وهو سلطانٌ أبديٌ من سلطان الابن غالب الموت؛ لأن هذا السلطان كان مستحيلًا لمن هو بالطبيعة مخلوق، لكي يمنح كل مؤمن به بنوة لا مجال فيها لعبودية الطبيعة؛ لأن عبودية الكائن الحر (أي الإنسان) للخطية هي التي هدمت حريته، لكن الآن، أعاد المسيحُ إلينا — بالقيامة — حرية الحياة غير المقيدة بقيود، وإنما الحياة الحية بالمحبة. فالمحبة بلا قيامة ليست محبة كما أن القيامة بلا محبة ليست قيامة.

"نحن الآن أولاد الله"، هكذا قدَّم الإنجيلي عطية الحياة الجديدة، ولكن القيامة جاءت لكي تعلن لنا "ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن متى أُظهِر المسيح الرب سنكون مثله لأننا سوف نعاينه كما هو" (١يوحنا ٣: ٢).

سادسًا: المسيح الكاهن والشفيع

يقول الرسول إن المسيحَ حيٌّ، ولذلك فهو في كل حين يشفع فينا (عب ٧: ٢٥). ولماذا ربط الرسولُ شفاعة الرب بالقيامة؟

أولًا، لأن بالقيامة صار للرب كهنوتٌ لا يزول بالموت؛ لأن الموت أزال كهنوت العهد القديم (عب ٧: ٢٣ — ٢٤)، لكن الآن صار يسوع هو "أمس واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨) حيًا قام كراعٍ للخراف بدم العهد الأبدي (عب ١٣: ٢٠).

وإذا أعدنا كلمة دم إلى معناها في العهد القديم، أي "الحياة"، يمكننا صياغة

كلمات الرسول كالآتي: "بالحياة الأبدية كعهد"، أو "بحياةٍ هي العهد الأبدي". هذه محاولة لترجمة أقوال الله بواسطة أقوال الله، فما هو كهنوت المسيح؟ وما هي شفاعته؟ ولماذا يستمد الكهنوت والشفاعة مكانتهما عند الآب من القيامة؟ الجواب هو في العودة إلى اكتشاف حقيقة وأبعاد عمل المسيح. فقد فعل هو كل شيء نحن نعجز عنه، فعل كل شيء بمحبة ونحن لم نكن نفكر أو نطلب هذه المحبة، بل هو أعلنها لنا.

كهنوت المسيح ليس فقط في الشفاعة أي الوساطة بين الله والبشر، بل هو أيضًا في خدمة الأسرار الكنسية التي هو كاهنها الوحيد، الذي يعطي هذه الأسرار بواسطة الخدام الذين يأخذون هذه الخدمة منه لا لكي يكونوا وسطاء، بل خدامًا. وقد حفظت لنا الليتورجيات الأرثوذكسية مفردات "الخدمة" و"الخادم" مؤكِّدةً أن المسيح الحي هو الخادم الحقيقي للأسرار؛ لأن الأسرار هي حياة المسيح نفسه، وهي شركة في ملء نعمته (يوحنا ١: ١٦)، أي التحول العظيم والأخير للجنس البشري الذي نُقل من الموت للحياة الأبدية بالشركة في المسيح يسوع نفسه.

سابعًا: الاسم المحيي

في طقسنا القبطي وعلى مدار الأسبوع نجد تسبحةً لاسم ربنا يسوع تحت الاسم القبطي القديم "إبصالية". هذه القطع السبعة هي خُلاصة الخبرة اللاهوتية النسكية حيث تؤكِّد لنا مصادر الرهبنة القبطية أن "صلاة يسوع" نشأت في الإسقيط، أو برية القديس مكاريوس. ما هي علاقة القيامة بالاسم؟ السؤال ضروري لأنه يكشف عمق الإيمان بالقيامة، والحضور الدائم للرأس في الكنيسة، جسده:

"ظلل عليّ بظل جناحيك يا ربي يسوع أعنِّي.

....

أنت تعرف أفكاري وتفحص كُليتي.

يا ربي يسوع أعنِّي" (إبصالية الأحد الثانية).

هذه عبارات مختارة من كثير يعبِّر عن الالتصاق الشخصي بيسوع الحي:

"حلوٌ هو نيرك وحِمْلُك خفيف، يا ربي يسوع أعني".

هذه طلبة التلميذ الذي يتبع معلمه.

ثم يأتي دور الكاهن والشفيع حيث تجتمع الكنيسة لتبارك اسم الرب يسوع وتقول:

"لكي نسبحك مع أبيك الصالح والروح القدس؛ لأنك أتيت وخلصتنا".

وفي إبصالية الاثنين نجد الله كائنٌ أمام الصديقين:

"والله كائن أمامهم،
واسمه القدوس في أفواههم كل حين" (إبصالية الاثنين).

إنها الرؤية الروحية (الثاؤريا) التي تجعل الاسم يعبِّر عن خبرة الاتحاد، ومن ثمَّ تأتي الإفخارستيا:

"الله هو عمانوئيل،
الطعام الحقيقي،
شجرة الحياة العديمة الموت.

ولذلك السبب نفسه:

"تجمعي فيَّ يا كل حواسي
لأُسبِّح وأُمجِّد ربي يسوع
يسوع هو ربي.
يسوع هو إلهي
يسوع هو رجاء المسيحيين" (إبصالية الاثنين).

ونعمة الاستنارة التي تعطى في المعمودية تشرق فينا:

"فليكن اسم الرب فينا
ليضيء علينا في إنساننا الداخلي" (إبصالية الاثنين).

ومجد المسيح معلن في الليتورجيا

"يقوم حولك الشاروبيم والسارافيم
ولا يستطيعون أن ينظروك.

ونحن ننظرك كل يوم على المذبح

ونتناول من جسدك ودمك الكريمين" (المرجع السابق).

وهل توجد تعبيرات أقوى من هذه الكلمات الرقيقة:

"تغيب الشمس والقمر في زمانهما

وأنت هو أنت وسنوك لن تفنى" (إبصالية الاثنين).

لا يتسع المجال لعرض التعليم اللاهوتي في كل الإبصاليات، لكن نكتفي بالفقرة التالية من إبصالية الثلاثاء:

"تعال إلينا اليوم يا سيدنا المسيح

أضئ علينا بلاهوتك الفائق (العالي)".

لأن الامتلاء من اللاهوت، هو الامتلاء من الحياة الجديدة عديمة الموت.

"أرسل لنا هذه النعمة العظيمة

التي لروحك القدوس المعزِّي".

وعندما نجد كلمة الباركليت، أو المعزِّي، فالكلام هنا هو عن أقنوم الروح القدس، وهو ما يثبت أن الجدل الذي أثير عندنا منذ ما يزيد على ربع قرن كان نتيجة إهمال دراسة صلوات الكنيسة.

في بداية رحلتي الطويلة توقفت عند هذه الفقرة:

"اسمك القدوس يا ربي يسوع ..

هو يكون لهم طعامَ حياةٍ

تقتات به نفوسهم وأجسادهم" (إبصالية الثلاثاء).

ولأننا نجد أن الخبرة خاصة بالنُسَّاك والمتوحِّدين، وكان أب اعترافي هو القمص مينا المتوحد، فقد سألته إذا كان يرى أنه من الضروري أن أفهم هذه الكلمات. فقال بالحرف الواحد:

"إن فكر الجوع، والشعور بالجوع يأتي من الاهتمام الزائد بالجسد". وشدَّد على تعبير "فكر الجوع". وقال: "إن الإنسان الذي يمتلئ بالروح القدس ويعاين مجد المسيح، ينسى نفسه وجسده، وقد تمر عليه ساعات، وربما أيام وهو لا يدري، حتى

تعيده رحمة الله ونعمته إلى حياته الأرضية، حتى يتعلم كيف يسلك بخشية وتواضع".

ثم سألته عن معنى العبارة:

"هو يكون لهم ينبوع ماء حياة حلوًا

في حناجرهم أكثر من العسل".

فقال: "إن نعمة القيامة وتذوُّق حياة الدهر الآتي تُعطى لنا في الرب، أو في اسم الرب؛ لأن اسمه حي، أمَّا اسمُ أي خاطئ، فهو ميت (رؤ ٣: ١). لذلك أُطلب هذا الاسم حتى ترتوي نفسك ولا تعطش لماءٍ يأتي من الأرض".

هكذا نصلي للاسم الحي، للاسم الحي الذي هو نهر ماء الحياة:

"مجرى الماء هو مخلصنا ربنا يسوع المسيح

والملازمون له تحيا نفوسهم" (إبصالية الأربعاء)

....

لأن "المحبة التي تكلم من أجلها الرسول القديس

هي اسم الخلاص الذي لربنا يسوع المسيح".

فالمحبة هي التي جعلت الجسد يقوم حيًا معلنًا لنا الحياة الأبدية.

ثامنًا: الجسد المحيي والدم الكريم

القيامة والإفخارستيا حقيقة واحدة لا يمكن فصلها. وإن كان الفصل بينهما قد تم في لاهوت العصر الوسيط لأسباب فلسفية وحضارية، إلاَّ أننا نلاحظ أن الأداء اللاهوتي السكندري يبلغ أقصى قوته في القدَّاسات القبطية، لا سيما قداس القديس غريغوريوس، أو قداس الابن. فمنذ أول عبارة تقال حتى النهاية ترتفع الصلوات إلى مَن هو "كائنٌ في حضن الآب"، والذي عندما صَعِدَ "ملأت الكُلَ بلاهوتك"، والذي يوزِّع بنفسه الجسد والدم؛ لأن الخدمة هي "بصحبة وشركة مسيحك"، ولأن الصلاة –سواء كانت في قدَّاسات للآب، أو للابن– ما هي إلاَّ التماس للحياة غير المائتة التي "أشرقت للضالين"، ولنور القيامة الذي أشرق في أرض الأموات، ولذلك

لا زال التقليد الكنسي القديم ظاهرًا في إنجيل باكر، وهو دائمًا إنجيل القيامة، أي بشارة الرب لنا بالحياة.

إذن، بدون القيامة لا توجد لدينا ذبيحة، ولذلك يسمي القديس غريغوريوس النزينزي الإفخارستيا بـ "ذبيحة القيامة"؛ لأنها عطية الحياة التي تفيض من ينبوع الحياة.

تاسعًا: الأعياد والتذكارات الحية

لو سألنا أنفسنا لماذا يقام القداس الإلهي في كل الأعياد السيدية وغيرها؟ لكان الجواب كالآتي:

إن المسيحَ، رأسُ الكنيسة يجمع تحت رأسه الواحد الذين في السماء والذين على الأرض (أفسس ١: ١٠)، وهو قد وزَّع حياته لكي يجمع الكل فيه أعضاءً حيةً، ليس فقط القديسين، بل والقوات السمائية أيضًا التي تشترك معنا في الصلاة، وإن كانت لا تشترك معنا في التناول من الذبيحة؛ لأنها هبة الآب لنا في ابنه يسوع المسيح.

إن اجتماع الرأس بالأعضاء هو "اجتماع إفخارستي"، وهو الحياة التي تسري في الكل. وعلينا أن نلاحظ أن البخور يُقدَّم للرب، ولوالدة الإله القديسة مريم، ثم يوحنا المعمدان، ثم الآباء الرسل، والملائكة، والشعب، وهذه هي صورة أو أيقونة وليمة الحياة، حيث يجلس الملك والملكة عن اليمين، ثم باقي المدعوين. لذلك، فبسبب وليمة الحياة، أي جسد الرب القائم بقوة، والذي نقض أوجاع الموت (راجع أع ٢: ٢٤)، نحن ننضم إلى القديسين انطونيوس وأثناسيوس وباخوم وذهبي الفم ورئيس الملائكة ميخائيل وكل القوات السمائية، لكي نصير معًا تحت رأس واحد هو يسوع المسيح الذي يجمع كل في وليمة الحياة الإفخارستيا التي يوزع فيها الرب جسده ودمه على الكل.

عاشرًا: وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي

لم نسمع ولم نقرأ إلاَّ القليل جدًا عن الموت الروحي، رغم أهمية ذلك القصوى. وذلك لأننا لا نزال ندور في حلقة مفرغة، وهي حلقة الموت البيولوجي الذي نشترك فيه مع كل الكائنات الحية.

لكننا نموت مع المسيح في المعمودية، وندخل أسبوع الآلام انطلاقا من صلوات الجنَّاز العام الذي يقام في نهاية قداس أحد الشعانين، وهو الأمر يجعل قرار منع صلاة الجنَّاز عن البعض قرارًا بلا قيمة بالمرة؛ لأننا نشهد "جنَّازنا" كل سنة، وبالتالي يصبح قرار منع الجنَّاز ليس إلاَّ حملة تشهير لها حساب عند الله.

ونحن ننتظر قيامة الأموات؛ لأننا قمنا "مع الرب، وفيه، وبه".

"معه"؛ لأنه يعطي لنا هذه الشركة.

"وفيه"؛ لأن الطبيعة الإنسانية قامت فيه حسب كلمات التقوى الأرثوذكسية في صلاة القسمة:

> "ونحن الجلوسُ في الظلمةِ زمانًا، أنعم علينا بنور قيامته من قبل (بواسطة تجسده الطاهر. فليضيء علينا نور معرفتك الحقيقية لنضيء بشكلك المحيي".

"وبه"؛ لأنه هو حسب كلمات أوشية الإنجيل: "وأنت هو قيامتنا كلنا".

ونحن نتلامس مع هذا الاستعلان العظيم في ثلاثة أشكال متنوعة:

أولًا: في الثبات في الإيمان رغم الضيقات والتجارب والمعاناة التي نمر بها. لأننا ننال ثباتًا في المسيح الحي لا يعود إلينا، بل إلى قوة الحياة التي تعمل فينا رغم الظروف التي تحيط بنا.

ثانيًا: في الإيمان بانتصار المحبة المصلوبة التي يقاومها المجتمع ويحاربها بكل ما يملك من أسلحة تدمير وأسلحة إغراءات .. ومع ذلك يبقى الإنسان قادرًا على محبة الأعداء والصفح.

ثالثًا: في الرجاء الذي لا يُغلب؛ لأن الإيمان يرى أبعد من كل أفاق الظلم والظلمة والقهر والاعتداء. آفاق الإيمان أرحب، وهي التي تعبِّر عنها الكنيسة في تحليل الآباء الكهنة: "أحكم للمظلومين".

والله دائمًا يتمهل، ولكنه له حساب غير حسابنا .. والانتظار أعظم؛ لأن حسب كلمات الرسول "الرجاء لا يُخزى" (رو ٥: ٥).

كل عام وأنتم بخير

القيامة،
والترتيب السماوي للحياة الجديدة(٢)

من المفردات اليونانية - القبطية الهامة كلمة ακολουθια وهي تعني ترتيب، أو تتابع، وتسمى خدمة المعمودية في كنيستنا الأرثوذكسية "ترتيب خدمة المعمودية". لكن هذه الكلمة لا تعنى مجرد التتابع مثل ١، ٢، ٣ ... إلخ، بل تعني تتابع مراحل استعلانات الخلاص، فهي تعني الترتيب حسب القصد أو الغاية من التدبير "الإيكونوميا".

بالنسبة لنا، يوجد في حياتنا -كبشر- ترتيب أو دورة بيولوجية تبدأ من الحبل — الولادة — الحياة — القبر، أي أن لنا ακολουθια حسب حياة الجسد.

أمَّا حسب تدبير الخليقة الجديدة، فقد جاء الرب يسوع ودخل دورةً أخرى تبدأ بالحبل به — الولادة — الحياة — المعمودية — البرية — الصليب — الدفن — القيامة — الصعود؛ لأن الرب يسوع قد زرع ترتيباً آخراً غير الترتيب البيولوجي.

وإذا دققنا النظر، وجدنا أن الدورة أو الترتيب السماوي الخاص به يبدأ بالحبل به بالروح القدس — الحياة العامة التي تبدأ بالمسحة في الأردن — الصلب — الدفن — القيامة — الصعود.

هذه الدورة تبدأ من اللاهوت، وتنتهي بمجد اللاهوت. تبدأ بالتجسد الإلهي في تواضع وإخلاء الذات، وتنتهي بالصعود الإلهي حيث يدخل يسوع "إلى مجده".

من المجد - إلى الإخلاء — إلى المجد.

من الحبل والولادة — إلى القيامة، مروراً بالمعمودية — الصلب — الدفن — القيامة.

(٢) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسي في ١٨ إبريل ٢٠٠٩.

الحبل به كان بالروح القدس، ولكن الرب عاد إلى سحابة المجد الإلهي التي أخذته عندما ارتفع، سحابة "الشاكيناه"، فعاد إلى مجده بالروح القدس.

مُسِحَ يسوع بالروح القدس، فصار "المسيح"، وحمل هذه المسحة وخدم بها وصُلِبَ بها، وحملها معه إلى القبر لأن جسده "لم يرَ فساداً"، ثم قام بالمسحة، وصعد بالمسحة. وهكذا صار الروح القدس شريكاً للابن في تأسيس الخلاص.

عاد الرب إلى مجده حاملاً معه الناسوت الذي أخذه من العذراء، ولكن صار هذا الناسوت "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)؛ لأن بعد الإخلاء مجد، ولذلك قال الرب يسوع نفسه "مجدني أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥)، وسمع صوت الآب: "مجدت وأمجد أيضاً".

هذا الترتيب السماوي صعبٌ علينا أن نفهمه إذا حاولنا أن نفحصه على أساس بيولوجي، وحسب التتابع الزمني. فالقيامة ألغت الزمن؛ لأن التجسد حذف الزمان كله، وعبارة "ملء الزمان" (غلا ٤: ٤)، لا تعني زماناً محدداً، لأن الزمان توقف عن أن يكون عنصراً في اتحاد اللاهوت بالناسوت، وبالرغم من أن هذا الاتحاد تم في الزمان، إلاَّ أن الزمان لا يصلح لأن يكون تاريخاً للاتحاد.

كذلك ألغت القيامة أيضاً الزمان "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠)؛ لأن القائم هو مع الكل حيث يوجد هذا "الكل" في أي زمان أو مكان.

هذا الترتيب السماوي هو ترتيب السرائر الكنسية أيضاً، فبيت لحم (التجسد) مع المعمودية في الأردن تعطي لنا معموديتنا ومسحة الميرون.

وهكذا، حسب ترتيب الحياة الجديدة، بعد المسحة ننال جسد الرب ودمه. هنا تجمع العلية: التجسد، والمعمودية، وعطية الجسد والدم، ثم تعطي لنا قوة الصليب والقيامة.

لنبدأ من آخر الترتيب:

- من القيامة نأخذ عدم الموت، والخلود ونلبس الحياة السماوية التي نزع عنها

الصليبُ الموتَ والدينونة، وكسر "شوكة الموت".

- ومن الصليب نأخذ البذل الذي أُعلن سراً في العلية، أي نأخذ الجسد والدم، لكن هذا الجسد وذاك الدم هو دم الحي من الأموات الذي "لم يرَ فساداً".
- ومن الأردن نأخذ المسحة التي بها نطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر في الليتورجية؛ لكي نشترك في المسيح، في ولادته، وفي مسحته، وفي صلبه، وفي قيامته، ولكي تجمع الإفخارستيا سرَّي المعمودية والميرون معاً

وهكذا، بعد معموديتنا لا توجد إعادة لأي سر، بل يوجد تدفق جديد، وإضافة حياة جديدة للحياة الجديدة نفسها التي أخذناها من المعمودية والميرون، ومن اتحاد اللاهوت بالناسوت.

لنعود إلى بداية التدبير من جديد:

- يتحد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الله الكلمة دون وسيط، ودون أية وسيلة، سوي ما عمله الروح القدس عندما هيَّأ جسد الابن.
- من هذا الاتحاد الفائق تدفَّق عدم الفساد، ولكن بعد إبادة الموت من جسد الرب.

كان الرب يبيد الموت من البشرية؛ لأنه الكلمة اللوغوس خالق كل الأشياء، ومحيي كل الكائنات، ولكنه الآن -في الصليب- يبيد الموت من كيانه هو، من ناسوته الذي حرره من الفساد والموت (ضد الأريوسيين ٣: ٣٤).

هكذا لا يعمل الترتيب السماوي حسب الزمان أو التتابع البيولوجي، بل ينتظر الاتحاد الأقنومي الموت لكي يبيد الموت، وينتظر المعمودية لكي يثبِّت في كيانه المتجسد مسحة الروح القدس لكي "نُمسح فيه"، ونشترك في مسحته، ولكن هذه المسحة يجب أن تبقى معدة للموت لكي يقوم الرب بقوة الروح القدس (رو ٨: ١١).

ولذلك ما أروع هذه المناسبة: يسوع المسيح يدخل القبر ممسوحاً بالروح القدس لكي يثبِّت لنا من القبر مسحة الحياة الجديدة، ولكي يقيم الروح القدس أجسادنا.

يُصلب الرب لكي يصبح الصليب ختم القيام، أو كنز القيامة؛ لأن الصليب هو غلبة الموت. والقيامة أعلنت هذه الغلبة، ولذلك لا يمكن فصل الموت عن القيامة.

يأخذ الرب الموت؛ لكي "يذبح الموت" (قسمة القديس كيرلس). أو لكي يدوس الموت (تسبحة الخماسين)، أو بالموت داس الموت.

هذا، ليس الصليب وحده بدون القيامة.

لا يوجد في ربنا يسوع المسيح حدثٌ منفصل يقف وحده. كل الأحداث هي إعلانات، وكل إعلان هو مثل أغصان الشجرة الواحدة، تعود كلها إلى الجذر، والساق هو الاتحاد الأقنومي.

مِن اللاهوت يبدأ كل شيء؛ لكي ينتهي كل شيء باللاهوت، الله الكلمة. فمن اللاهوت يأتي الجسد الإنساني جسداً حقيقياً آدمياً؛ لكي يعود إلى السماء "جسداً ممجداً" حقيقياً.

يولد لكي يُمسح، ويُمسح لكي يموت، ويموت لكي يقوم.

وعندما نسمع هذا الإيقاع السماوي علينا أن ندرك أن:

مَن وُلِدَ، أسس الميلاد الجديد.

مَن مُسِحَ، أسس المسحة.

مَن صُلِبَ أسس كسر شوكة الموت.

مَن دُفِنَ، أنار الجحيم ببرق لاهوته.

مَن قام، ألبسنا الخلود.

مَن صَعِدَ، أعطانا ميراث عرشه الإلهي (رؤ ٣: ١٧ – ٢١).

مقابلات شعرية من عند آباء الكنيسة

احتقرناه .... أعطانا مجده.

رفضناه .... أعطانا الشركة في الحياة الأبدية.

دُفِنَ في القبر .... حطَّم الجحيم وأنهض الحياة.

أحطناه بالعداوة .... أنهض المحبة.

صار عبداً .... جعلنا أبناءً وأحراراً.

هذا التحول العظيم تعبر عنه كلمة بشارة واحدة:

المسيح قام – حقاً قام

القيامة العامة، أم قيامة المسيح؟[(٣)]

ملاحظات عقائدية

على عظة الأنبا شنودة الثالث في عيد القيامة ٢٠٠٩

بدأ الأنبا شنودة عظته في ليلة عيد القيامة بالحديث عن "القيامة العامة".

والحديث عن القيامة العامة هو حديثٌ غير مسيحي؛ لأن عبارة "القيامة العامة" عبارة غير مسيحية وغير أرثوذكسية قطعاً، وإنما هي إحدى مكونات العقيدة الإسلامية كما وردت في القرآن والسنة.

أمَّا المسيحية، فلا تعرف ما يسمى بالقيامة العامة؛ لأننا نقوم من الأموات بسبب قيامة الرب يسوع، ولأن الرب قام، فنحن أيضاً سنقوم بقوة قيامته "لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ" (في ٣: ١٠)، وبالتالي لا يوجد في المسيحية تعليم اسمه "القيامة العامة"، بل التعليم المسيحي هو ما ورد في قانون الإيمان: "وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي".

لا ينبغي لنا إن نظن أن قيامتنا، إنما تتم بقوة إلهية تعمل في الكون – كما هو شائع عند غير المسيحيين؛ لأن قيامتنا نحن لها مصدر واحد، هو أن المسيح يسوع ربنا أقام الإنسانية كلها فيه، وأنه سوف يُحضر هذه الإنسانية في اليوم الأخير على النحو الذي وصفه الرسول بولس بأننا سوف نقوم؛ لأن المسيحَ قد "أَقَامَنَا مَعَهُ" (أف ٢: ٦)، وأقامنا فيه، بل و"رد آدم وبنيه إلى الفردوس"، وهو وحده الذي أبطل عز الموت؛ لأنه "بالموت داس الموت والذين في القبور أنعم عليهم بالحياة الأبدية".

(٣) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٩ إبريل ٢٠٠٩.

ولأن الإسلام لا يعرف شيئاً عن وراثة الموت، ولا يعرف أن الموت دخل إلى البشرية بسبب آدم، فهو بالتالي لا يعرف تلك العلاقة الكيانية بين الخلق والسقوط والخلاص؛ لذا فهو بعيد عن "التدبير" الذي تُعَد فيه قيامة الرب يسوع أحد عناصره الرئيسية، لذا فالتعليم بالقيامة العامة يُعَد أمراً متفقاً مع التعليم الإسلامي.

أمَّا التعليم الرسولي الواضح، فهو ما أعلنه الوحي المقدس هكذا: "بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.... لأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ الإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضاً بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رو ٥: ١٢ – ١٩).

هذا التعليم الرسولي يقوم على أساس واحد:

"لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ".

(١ كور ١٥: ٢٢).

وعندما يأتي الرسول بولس على ذكر قيامة الأموات، فهو لا يتحدث عن قيامة عامة، وإنما يجيء حديثه بمناسبة الرد على الذين ينكرون القيامة، وهو إنكارٌ كان قد شاع في أوساط فلاسفة اليونان؛ لذا علينا أن ننتبه إلى رد الرسول على هؤلاء:

"وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَسِيحُ يُكْرَزُ بِهِ أَنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ فَكَيْفَ يَقُولُ قَوْمٌ بَيْنَكُمْ إِنْ لَيْسَ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ؟".

واضحٌ هنا أن الرسول يربط بين الكرازة بقيامة المسيح، وقيامة الأموات، فالرد لا يشير إلى تعليمٍ عن قيامة عامة لكل البشر، بل يؤكد قيامةً مصدرها قيامةُ المسيح نفسه، ولذلك:

- "فَإِنْ لَمْ تَكُنْ قِيَامَةُ أَمْوَاتٍ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ!. وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ، فَبَاطِلَةٌ كِرَازَتُنَا وَبَاطِلٌ أَيْضاً إِيمَانُكُمْ.
- "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ.
- "إِذاً الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضاً هَلَكُوا!.
- "وَلَكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. (أي الثمرة الأولى).

وختام هذا الرد:

-"فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ".

(١ كور ١٥: ١٢ - ٢١).

وعلى ذلك تكون المحصلة هي:

- إنكار السقوط يعني إنكار وراثة الموت في آدم.

- إنكار الفداء يعني إنكار قيامة الإنسانية في المسيح.

وهكذا يمكننا أن نؤكد أنه لا يوجد لدينا تعليم عن قيامة عامة، وإنما القيامة سببها ومصدرها المسيح.

القيامة في اليوم الأخير

عندما قالت مرثا أخت لعازر للرب يسوع إن لعازر سوف يقوم في اليوم الأخير، جاء جواب الرب يسوع مصحِّحاً ما ذكرته مرثا، إذ قال: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا. وَكُلُّ مَنْ كَانَ حَيّاً وَآمَنَ بِي فَلَنْ يَمُوتَ إِلَى الأَبَدِ" (يوحنا ١١: ٢٥). يمكننا هنا أن نستنتج أن بعض اليهود كان لديهم فكرة عن قيامة الأجساد؛ لأن الصدوقيين كانوا ينكرون القيامة.

وقد ساهمت نبوة حزقيال (إصحاح ٣٧) عن الوادي المملوء عظاماً (٣٧: ٣) وقول السيد الرب "ها أنذا أفتح قبوركم وأحضركم من قبوركم يا شعبي" (٣٧: ١٢)، في أن يسود الرجاء في القيامة أوساط أتقياء اليهود. وظل رجاء القيامة حياً حسب نبوة دانيال النبي "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون. هؤلاء إلى الحياة الأبدية. وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي (دانيال ١٢: ٢). ولذلك، وبسبب هذا الرجاء، أُضيفت إلى صلوات يوم السبت البركة الثامنة عشر: "أنت يا رب قادر على كل شيء وإلى الأبد قدرتك؛ لأنك أنت الذي تعطي الحياة للموتى".

ولكن الرب يسوع كشف عن حقيقة هذا الأمر بعبارة واحدة: "أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ". وعندما أجابت مرثا رداً على سؤال الرب: هل تؤمنين بهذا؟ "قَالَتْ لَهُ: "نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ" (يو ١١:

٢٦ – ٢٧)؛ لأن القيامة هي أحد أعمال "المسيا" (المسيح).

وقد أكد الرب يسوع أنه هو القيامة قبل ذلك في عيد الفصح (يو ص ٦) وأعلن أن هذه القيامة هي عمله الشخصي "هَذِهِ مَشِيئَةُ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي: أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً بَلْ أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ.... أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الاِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ" (يو ٦: ٣٩ – ٤٠).

ويجب أن نفهم كلمات الرب هذه من خلال التعليم الرسولي نفسه كما شرحه القديس أثناسيوس:

"إذ قد مات مخلِّص الجميع عنَّا، فإننا نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (ذات) الموت الذي كان سابقاً حسب وعيد الناموس، لأن هذا الحكم قد أُبطل، وبما **أن الفساد قد بَطُلَ وأُبيد بنعمة القيامة**، فإننا من ذلك الوقت، وبحسب طبيعة أجسادنا المائتة ننحل في الوقت الذي حدده الله لكل واحد، حتى يمكن أن ننال قيامة أفضل" (تجسد الكلمة ٢١: ١).

وفي عبارة لا تقبل التأويل يقول المعلم العظيم أثناسيوس: "إن الموت قد أُبيد بنعمة قيامة المخلص ... أين غلبتك يا هاوية" (تجسد الكلمة ٢١: ٢).

فلم يكن موت الرب يسوع موتاً شخصياً له هو؛ "لأن المخلص لم يأتِ لكي يتمم موته هو، بل **موت البشر** ... قَبِلَ في الجسد ذلك الموت الذي أتاه من البشر لكي يبيد ذلك الموت تماماً عندما يلتقي به في جسده" (تجسد الكلمة ٢٢: ٣).

ثم يستدرك المعلم العظيم ليقول: "كان الرب مهتماً بصفة خاصة بقيامة الجسد التي كان مزمعاً أن يتممها، إذ أنها (القيامة) دليل أمام الجميع على انتصاره على الموت، ولكي يؤكد للكل أنه أزال الفساد، وأنه منح أجسادهم عدم الفساد ... كضمان وبرهان على القيامة المعدَّة للجميع، فقد حفظ جسده بغير فساد" (تجسد الكلمة ٢٢: ٤).

لكل ما تقدم، نحن نرفض كل تعليم عن القيامة العامة؛ لأنه يعد بمثابة إسدال ستارة معتمة على قيامة الرب التي أعادت الحياة الأبدية، وحياة عدم الفساد حسب

وعد الرب نفسه. وهو ما تطلبه الكنيسة في أوشية الراقدين "أقم أجسادهم في اليوم الذي رسمته كمواعيدك الحقيقية غير الكاذبة". كما تعبر التقوى الأرثوذكسية الحقيقية عن قوة قيامة الرب في عبارة تملأ كل كتب الصلوات الأرثوذكسية "أبطل عز الموت"، وهي عبارة ترادف عبارة أخرى "نزل إلى الجحيم وأبطل عز الموت ... بذوقه الموت عن خلاص الأحياء، وأعطى النياح للذين ماتوا، ونحن الجلوس في الظلمة زماناً أنعم علينا بنور قيامته ..".

وهنا ننبه وبشدة إلى أن إهمال قيامة الرب يسوع لصالح موضوع القيامة العامة يعزى إلى غياب الحديث عن نزول المسيح إلى الجحيم وسببه الجحيم سبياً، من التعليم القبطي المعاصر، ذلك أن نزول الرب إلى الجحيم وإنارته ببرق لاهوته، وإطلاق أسراه يقوم في الأساس على غلبة الرب للموت على الصليب، وإعلان هذه الغلبة بالقيامة من بين الأموات.

إن التعليم يجب أن يكون له غاية محددة، وإلاَّ أصبح لغواً من اللغو، ويمكننا أن نبرهن على ذلك من خلال المقارنة بين التعليم بالقيامة العامة، وقيامة الرب إذا انتبهنا إلى أن الحديث عن قيامة الرب يضعنا في مواجهة الحقائق الآتية:

١- تحول الجسد إلى عدم فساد بسبب قيامة الرب والمخلص.

٢- هبة الحياة الأبدية في ملكوت السموات.

٣- إبادة الموت.

وتضع أنشودة القيامة هذا كله في عبارات مختصرة عذبة:

"المسيح قام من بين الأموات

بالموت داس الموت

والذين في القبور أنعم لهم بالحياة الأبدية".

والعبارة الأخيرة بلا معنى إذا كانت القيامةُ عامةً لا تتأسس على قيامة المسيح، وهذا ما يقدِّمه القديس أثناسيوس إذ يقول:

"إن الرب أقام جسده في اليوم الثالث **حاملاً عدم الفساد وعدم التألم اللذين**

حصلا لجسده كعلامة للظفر والانتصار على الموت" (تجسد الكلمة ٢٦: ١). فقد أباد الرب الموت في جسده بقوته الإلهية (تجسد الكلمة ٢٦: ٦).

فأين التعليم بالقيامة العامة، من التعليم بقيامة الرب؟

الشهادة بقيامة المسيح

يبدو أن الأنبا شنودة قد وجد نفسه مضطراً لهذا الكلام؛ لأنه وجد نفسه أمام حشد من المهنئين المسلمين، فقال ما قال. ولكن الرسل القديسين، إذ وُجِدُوا في موقف مماثل، كان لهم موقف مغاير.

ففي يوم الخمسين وقف بطرس مع باقي الرسل يشهدون بالقيامة، وأين؟ في أورشليم، حيث صلب الرب، وحيث دفع اليهود المال للحراس رشوةً من أجل "إعلام كاذب"، حتى يشيعوا أن تلاميذه أتوا وسرقوه ونحن نيام، وبذلك نكون أمام أول إشاعة، وأول رشوة ورد ذكرهما في العهد الجديد. ولأن المال والغباء كلاهما بلا دين، كانت حياة أيهما قصيرة جداً، وهكذا ضاعت الإشاعة، وفشلت الرشوة؛ لأن الرسل شهدوا لقيامة الرب، ولم يمنع شهادتهم أن يُجلد بطرس ويوحنا، ولا أن يموت الرسول يعقوب، ولا أن يندلع الاضطهاد ضد الكنيسة من داخل اليهودية نفسها، لا من الرومان (في تلك المرحلة بالذات).

وكان لسان حال بطرس (وبقية الرسل) عن قيامة الرب يسوع له المجد:

- "اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أع ٢: ٢٤).

- "أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ، وَرَئِيسُ الْحَيَاةِ قَتَلْتُمُوهُ الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ **وَنَحْنُ شُهُودٌ لِذَلِكَ**" (أع ٣: ١٥).

هذه الشهادة أزعجت اليهود، فأقبل الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما فيه بقيامة يسوع من الأموات، فألقوا عليهما الأيادي ووضعوهما في حبس إلى الغد .." (أع ٤: ١ – ٣). ولكن بطرس ويوحنا لم

ينصاعا لتهديد اليهود، لأن الله يجب أن يطاع أكثر من جميع الناس (أع ٥: ٢٩).

هذا كان موقف الرسل الأطهار، فماذا عن موقفنا نحن؟

هل سمع المهنئون بالعيد بشارة قيامة يسوع في الإنجيل؟

هل أدرك هؤلاء ما كان يتردد من ألحان كنسية خاصة بالمناسبة؟

أم كان علينا أن نغيِّر اسم هذا العيد حتى تصبح قيامة المسيح موضوعاً غامضاً يحل محله موضوع آخر هو القيامة العامة؟

هل يمكن أن نعتبر هذا الكلام نوع من الهروب من الشهادة؟!

قيامة الرب هي سبب قيامتنا:

لقد حاولنا -بكل ما أوتينا من جهد- أن نجد في عظات الأنبا شنودة ومقالاته -ما نُشر وما لم يُنشر- تعليماً مسيحياً أرثوذكسياً عن القيامة يؤكد ويشرح أهمية قيامة الرب كمصدر لكل ما عندنا من عقائد وطقوس وسرائر كنسية، لا سيما سر الشكر المجيد، ولكن للأسف باءت جهودنا بالفشل.

إن قيامة الرب يسوع هي سبب قيامتنا، للأسباب الآتية:

أولاً:

بسبب الخطية التصق الموت بالطبيعة الإنسانية، لا سيما الجسد، كقوة فساد تدمر الحياة الإنسانية، ولذلك لم يكن تجديد الكيان الإنساني بكلمة خالقة من الله كافياً، ليس بسبب ضعف قوة الله الخالق، وإنما لأن الإنسانية كانت في حاجة إلى جرعة حياة إلهية لا تموت، حياة خالدة. هذا هو ما أكده معلمنا الرسولي أثناسيوس بقوله:

"لهذا كان من الصواب أن يلبس المخلص جسداً لكي إذا اتحد الجسدُ "بالحياة" لا يعود يبقى في الموت كمائت، بل إذ قد لبس عدم الموت، فإنه يقوم ثانية **ويظل غير مائت** فيما بعد. ولأنه كان قد لبس الفساد، فإنه لم يكن ممكناً أن يقوم ثانية ما لم يلبس الحياة ... لذلك لبس الكلمة جسداً لكي يلاقي الموت في الجسد ويبيده" (تجسد الكلمة ٤٤: ٦).

ثم يضيف القديس أثناسيوس:

"لو كان الموت قد أُبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمر من الكلمة لبقي رغم ذلك قابلاً للموت والفساد بحسب طبيعة الأجساد. ولكي لا يكون الأمر كذلك، فإن كلمة الله الذي بدون جسد قد لبس جسداً لكي لا يعود الموت والفساد يرهبان الجسد؛ لأنه قد لبس الحياة كثوب، وهكذا أُبيد منه الفساد الذي كان فيه" (تجسد الكلمة ٤٤: ٨).

ثانياً:

القيامة هي ثمرة اتحاد اللاهوت بالناسوت، وهو الموضوع الغائب تماماً من عظات ومحاضرات الأنبا شنودة، وإذا ذُكِر فإنه يُذكَر بشكل عام ولا يشرح بكفاية تمس الحياة الكنسية.

وهذا أيضاً ما أكد عليه معلمنا القديس أثناسيوس الرسولي:

* إن الكلمة نقل من لاهوته عدم الفساد إلى الناسوت (تجسد الكلمة ف ٤٤).

*كما نقل له أيضاً عدم الألم (تجسد الكلمة ٢٦: ١ – ٢)..

لقد وهب الكلمةُ جسده، المجد الإلهي الذي كان له قبل تجسده؛ لأنه دفن وقام بأمجاد الألوهة، وصار جسده "جسد مجده"؛ لأننا "نَنْتَظِرُ مُخَلِّصاً هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ **جَسَدِ مَجْدِهِ**، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢٠ — ٢١).

وهذا هو ما نصلي لأجله في صلاة القسمة: "لنضيء بشكلك المحيي". هذا المجد، كان مستتراً قبل القيامة، ولكن أُعلن جزئياً على جبل طابور عندما تجلى بمجد ونور يفوق نور الشمس (مرقس ٩: ١ – ٣)، حتى أن ذلك المجد شمل أيضاً "موسى وإيليا" (لوقا ٩: ٢٨ – ٣١). هذا المجد هو مجد الحياة السمائية التي لا تأخذ كيانها من الطعام والشراب والماء وما تقدمه الأرض، بل هو الحياة الجديدة التي تتجدد للمعرفة حسب صورة الله خالقنا (راجع كولوسي ٣: ١٠) فهو كما يقول الرسول "يَنْمُو نُمُوّاً مِنَ اللهِ" (كولوسي ٢: ١٩).

ولذلك، فإن جسد الرب عديم الفساد لا يتحول فينا – بالتناول – إلى عنصر فاسد يلتصق بالأسنان واللسان والجهاز الهضمي؛ لأنه ليس الطعام البائد، بل هو طعام الخلود للحياة الأبدية وقيامة الدهر الآتي. ولذلك قال الرب: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ" (يو ٦: ٤١). وأيضاً: "إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ" (يوحنا ٦: ٥٣).

أحياناً أجد نفسي وجهاً لوجه أمام تلك الممارسات الشعبية التي يحيط بها البعض سر الإفخارستيا – مثل عدم الاستحمام – عندئذٍ أشعر كما لو أن الذين ينشرونها لا يؤمنون بالقيامة. كذلك نؤكد أن كل القصص التي تروى عن تحول الإفخارستيا إلى لحم ودم بعد استدعاء الروح القدس تعد من قبيل الإنكار الصريح لقيامة الرب يسوع؛ لأن مَن قام من الأموات، لا يسود عليه الموت ولا يمكن أن يموت (رو ٦: ٩). بل هو مَن قد أمات الموت (تجسد الكلمة ٣٧: ١)؛ لأن جسده هو "هيكل الحياة" (تجسد الكلمة ٣١: ٤ – ٤٤: ٥ – ٤٥: ١ – ٤٧: ٢ – ٥٤: ٣)، فهو لا يعود إلى الحياة المائتة القابلة للفساد، ولذلك نحن لا نأخذ "جزءاً" من جسد الرب ودمه، بل "جسد ودم عمانوئيل إلهنا" الذي يوزَّع دون أن ينقسم، ويؤكل دون أن يتحول إلى عنصر ترابي، بل يقدسنا ويرفعنا إلى الحياة الأبدية.

قيامة المسيح هي أساس قيامتنا:

هل بعد كل هذا يجوز لنا أن نظن أن الله سوف يقيم الأموات بقدرته كما خلق الإنسان بقدرته؟

طبعاً، الله قادر على كل شيء، ولكن لقدرة الله غاية، فهو ليس صانعاً يجدد ما فسد لكي يفسد من جديد. لقد دخل الموت "بحسد إبليس"، وفسدت الخليقة، وقيامة الخليقة من الموت بدون "تطعيم" يمنع عودتها إلى الموت مرة أخرى هو أمرٌ لا يليق بحكمة الله ولا بقدرته. نحن سنقوم؛ لأننا صرنا في المسيح، وصار لنا وجود إنساني أبدي في الثالوث نفسه من خلال الرأس يسوع المسيح ربنا.

لذلك ما أعجب أن تنحصر القيامة –كما قال الأنبا شنودة – في مجرد عودة

الروح للجسد، ذلك الصديق الذي افترقت عنه، وأنه في القيامة يلتقي "الصديقان" الروح والجسد، فهذا ما لا يمكن قبوله بأية حال. ولو كان البابا شنودة قد قرأ أو درس عظات القديس مكاريوس التي تنشر منذ عهد البابا كيرلس الخامس حتى الآن، لعرف أن الجسد هو الشكل المنظور للروح، وليس "الصديق" كما ذكر، وبالتالي فليس هناك أي محل للتساؤل عن معضلة كيف تتعرف الروح على جسدها.

المعرفة الإنسانية في الدهر الآتي:

إذا كانت المقدمات خاطئة، لا يمكن للنتائج أن تكون سليمة.

وإذا كانت الخلفية التي يبني عليها الأنبا شنودة تعليمه عن القيامة، هي فكرة القيامة العامة، لذا كان طبيعياً أن يستمر في طرح مزيد من الأسئلة:

- كيف تتعرف الروح على الجسد، خصوصاً إذا كانت الأجساد ستقوم في حالة روحية غير مادية؟
- وكيف يتعرف الإنسان على أجداده وأجداد أجداده؟
- وكيف يتعرف الأب الذي مات على ابنه الذي أنجبته زوجته بعد وفاته؟
- وكيف يكون لقاء الأرامل بالأزواج، واليتامى بالآباء والأمهات؟ إلى آخر ما طرحه من أسئلة.

وفي الحقيقة، فإن طرح مثل تلك الأسئلة، يدعونا نحن إلى التساؤل:

هل الأنبا شنودة على علم ووعي بما ينقله إلينا طقس الكنيسة التي يتربع هو بطريركاً عليها؟

أولاً:

تؤكد صلوات الليتورجية على أن الذين رقدوا هم "في كورة الأحياء إلى الأبد في أورشليم السمائية". وهؤلاء -بلا شك- هم أعضاء جسد المسيح الواحد الذي يقدَّم له البخور في باكر وعشية مع الأعضاء الذين يحضرون الخدمة؛ لأننا نقدِّم البخور للسيد، ولوالدة الإله، وللقديس يوحنا الصابغ، ولقديسي الكنيسة، والملائكة **والشعب**؛ لأن هؤلاء جميعاً جسد واحد تحت رأس واحد هو ربنا يسوع المسيح

الذي جمع السمائيين والأرضيين معاً تحت رأسه الواحد (أفسس ١: ١٠).

و"لأنه جعل الاثنين واحداً، أي السماء والأرض" - حسب تسابيح العنصرة؛ **لذلك تعرَّف بطرس الرسول على موسى وإيليا على جبل طابور**، رغم المسافة الزمنية التي تفصل بينهما وبين الرسل؛ لأن سحابة المجد الإلهي التي أظلت الحضور على جبل طابور، أي الروح القدس هو الذي يُعلن تلك العلاقة التي تربط بين أعضاء جسد المسيح. ولذلك، ولنفس السبب يقول الرسول: "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا نُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ مَاتَ وَقَامَ، فَكَذَلِكَ الرَّاقِدُونَ بِيَسُوعَ سَيُحْضِرُهُمُ اللهُ أَيْضاً مَعَهُ" (١تس ٤: ١٤). فالراقدون قد رقدوا في المسيح، ولنفس السبب يقول الرب: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٤)، كما قال الرب أيضاً: "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى **حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً**" (يوحنا ١٤: ٢ - ٣).

ثانياً:

إن دلالة تحليل الخدام والمجمع لا تخفى على أحد.

فإذا كان الكل معاً في المسيح "في كورة الأحياء إلى الأبد"، وحسب قول الرب نفسه: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً"، صار من الواضح أننا نطلب "التحليل" من معلمي الكنيسة الراقدين في يسوع في تحليل الخدام؛ لأننا معاً في كنيسة واحدة رأسها المسيح وليس البابا الروماني ولا بابا الإسكندرية، فليس لأي جسد رأسان. وهذا ما تؤكده صلوات المجمع والترحيم الذي نذكر فيه كل القديسين ابتداء من والدة الإله حتى الراقدين؛ لأن الذي يجمعنا هو المسيح الواحد الذي فيه قد مسحنا بالروح القدس.

هكذا، في المسيح وبالروح القدس نعرف الذين سبقونا، مثلما عرف بطرس ويوحنا ويعقوب موسى وإيليا.

كيف ستجد الروح الجسد؟!!

هل هي معجزة أو أمر يفوق العقل البشري كما ذكر البابا شنودة؟

يمكننا أن نقرر بكل ثقة ويقين أن تراثنا القبطي الأصيل لديه الإجابة القاطعة على هذا السؤال، دون أن نكون في حاجة إلى تلك (المعجزة)؛ لأنه يحتوي على كثير من الحقائق التي طُمِسَت منذ ما يزيد عن ربع قرن.

أولاً:وحدة الكيان الإنساني في المسيح

إن وحدة الكيان الإنساني، وحدة الجسد والروح التي نلناها في أسرار انضمامنا إلى المسيح: المعمودية – الميرون – الإفخارستيا، هذه الوحدة لا يهدمها الموت؛ لأن المسيح الرب سبق أن هدم الموت "والموت الذي دخل إلى العالم **هدمته**"، فقد تحول الموت عن أن يكون فساداً، ونهايةً للحياة، إلى وسيلةٍ لزراعة بذور الحياة الجديدة (١كو ١٥: ٣٥ – ٤٤). وبعد أن أكد الرسول على زراعة الجسم الحيواني، قال "يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً" (١كو ١٥: ٤٤) وزاد الأمر تأكيداً بقوله: "صَارَ آدَمُ الإِنْسَانُ الأَوَّلُ نَفْساً حَيَّةً وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحاً مُحْيِياً" (١كو ١٥: ٤٥). فالتحول يحدث هنا، ولذلك توضع أختام القيامة الـ ٣٦ رشماً من رشومات الميرون على كل أعضاء الجسد؛ لأن النفس أو الروح ترى في هذه الرشومات استعلان جسد القيامة في مسحة الحياة الأبدية التي توضع على الجسد والنفس معاً وتؤهِّل للقيامة في المسيح، لذلك، ترى الروح جسدها في يسوع وفي ختم قيامته، وتعرف أنه سوف يصير مثل جسد يسوع، وهو ذلك الجسد الذي سبق أن أخذناه في سر الإفخارستيا "جسد ودم عمانوئيل إلهنا. هذا هو بالحقيقة آمين".

إن غياب تلك الحقيقة يؤكد عدم إدراك أن سر معرفة الروح بالجسد هو أحد سمات الاتحاد الأقنومي؛ لأن الجسد القابل للفساد والموت، صار جسد المجد (فيلبي ٣: ٢١)، وصار بالاتحاد –في أقنوم الكلمة المتجسد– حياً ممجداً بكل أمجاد اللاهوت، وبالتالي تصير المعرفة الإنسانية إلى كمال، فلا تنقسم بعد القيامة ولا يصير فيها قبل وبعد، جهل ومعرفة، بل الكل مستعلنٌ، يقول عنه الرسول: "وَنَحْنُ

جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَىَ تِلْكَ الصُّورَةِ (المسيح) عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَىَ مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ" (٢كو ٣: ١٨).

بهذا الوجه المكشوف سوف نرى كل أسرار الحياة الجديدة؛ لأن الرسول نفسه يقول: "لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَىَ أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ انتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كولوسي ٣: ٣ – ٤). وطبعاً من يقرأ الآية الأولى يجد أن الرسول يقول: "فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ ...". لقد جاءت القيامة بمعرفة جديدة لا دور للموت فيها. قبل القيامة انشطرت المحبة والحياة، فصارت الحياة الخاطئة بلا محبة. بعد القيامة في المسيح أعيدت المحبة إلى الحياة، فصارت المحبة والحياة في كيان واحد لا ينقسم وصارت المعرفة غير منقسمة.

ثانياً: شفاعة القديسين الراقدين:

هل يعرف هؤلاء الظافرون بالحياة المجيدة ما يحدث لنا؟

يقول الرسول: "نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا ..." (عب ١٢: ١)، الرسول يتحدث عن سحابة شهود العهد القديم من الأنبياء، ولكن هذه السحابة غير منفصلة عن سحابة الشهود في العهد الجديد، بل متحدة بها، إضافة إلى ذلك، السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب (لوقا ١٥: ٧)، والرب نفسه يجمع السمائيين معاً فرحاً بالخروف الضال والدرهم المفقود. وحتى إبراهيم رأي يوم الرب يسوع وعرفه (يوحنا ٨: ٥٦) وتهلل روحياً.

فإذا كان الأمر على هذه الحال، فكيف ومن أين يجيء الجهل بوحدة السماء والأرض، وحدة جسد المسيح الذي يملأ السماء بالقديسين، والأرض بالكنيسة التي تشق طريقها في التاريخ نحو الحياة الأبدية؟!

إن عدم الإيمان بأن الكنيسة هي جسد المسيح الحي الواحد، والذي كشف عنه الاعتراض على تعبير الأب متى المسكين "جسد المسيح الذي يملأ السماء والأرض"، يقف في خلفية عدم وضوح الرؤية فيما يخص وحدة جسد المسيح، وكيفية تعرف الروح على جسدها، وغير ذلك من تساؤلات تظهر سائلها وكأنه

حديث عهد بالإيمان المسيحي، أو كأنه لا يقف خلفه تراث آباء عظام يحمل بين جنباته الإجابات عن كل تلك الأسئلة.

لذلك جاءت عظة تلك المناسبة الإلهية العظيمة، وهي قيامة الرب يسوع لا تمت بأية صلة لقيامة المسيح، بل وتؤكد على الجهل التام بحقيقة الكنيسة، وصلواتها وطقوسها، تلك الصلوات التي تطلب شفاعة بطريرك الكنيسة مع هؤلاء الذين نطلب شفاعتهم بعد تحليل الخدام وقبل قراءة البولس؛ لأننا كنيسة واحدة رأسها واحد، ولأن المعرفة بالجسد معلنة في الاتحاد الأقنومي، وهو الأقنوم الذي نأخذه في سر الشكر بالروح القدس، ولذلك يقول عنه الرسول بولس: "وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ" (رو ٨: ١١).

إن عدم الإيمان بأن الكنيسة هي جسد المسيح الحي الواحد، يؤدي في النهاية إلى:

١- إنكار اتحادنا بالرب في الإفخارستيا، بل وتناولنا جسده فقط.

٢- إنكار سكنى أقنوم الروح القدس فينا، والادعاء بأن هذه السكنى هي مواهب الروح القدس بدون الروح القدس.

لذلك كان من الطبيعي أن نصل في النهاية إلى أن:

١- الروح لا تعرف الجسد؛ لأن الروح لم تنل معرفة الحياة الجديدة في المسيح.

٢- الروح لا تعرف الآباء والأجداد كأعضاء في جسد المسيح؛ لأن الكنيسة ليست هي جسد المسيح، بل هي جماعة المؤمنين.

الرب يسوع الذي يقيم الأموات قادر أن يقيم الكل ويثبتهم فيه.

صعود رب المجد بالجسد إلى السماء هو الذي وضع لنا الأساس السماوي الإلهي للأسرار[٤]

-١-

لماذا صعد الرب بالجسد إلى السماء؟

١- لقد قام الرب من الأموات، وتمجَّد جسده بكل أمجاد اللاهوت، ونشير تحديداً إلى عدم الفساد، عدم الألم، الإشراق بالنور الإلهي غير المخلوق الذي تجلى به قبل صلبه على جبل طابور وجعل نور الشمس المخلوق أضعف بكثير من نور مجده (راجع فيلبي ٣: ٢١). لذا لم يكن لاستمرار وجود الرب بالجسد على الأرض بعد القيامة، يمشي وينام ويأكل ويخاطب البشر أي ضرورة أو دلالة أو فاعلية، بل على العكس، كان خيراً للبشرية أن ينطلق صاعداً إلى السماء، وقد عبَّر هو عن هذه الحقيقة بفمه الإلهي قائلاً: "لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ" (يو ١٦: ٧).

٢- تحدث الرب نفسه مع تلميذي عمواس بأنه سوف يدخل إلى مجده بعد القيامة (لوقا ٢٤: ٢٦)، وكان ذلك إعلاناً بما سيصير بعد الأربعين يوماً التي كان الرب يظهر فيها .. وعلينا أن نلاحظ أن الآباء الرسل قد استخدموا الفعل "يظهر" لأنه يعبِّر عن استعلان الرب الذي لا يُدرك بعد بحواس الجسد، بل بحاسة الروح. فالاستعلان هنا ليس عملية عقلية يمكن للعقل أن يقوم بها كما في مذاهب التصوف غير المسيحي، بل هو فعل الروح القدس الذي وحده يعلن ألوهية الرب (١كور ١٢: ١ - ٣).

(٤) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣٠ مايو ٢٠٠٩.

٣- هكذا صعد الرب يسوع بالجسد لكي يُعد لنا مكاناً (يوحنا ١٤: ٢ - ٣) حيث نجلس معه على عرش الألوهة في السماء (رؤ ٣: ١٧ - ٢١)؛ لأنه سبق أن وعدنا بذلك: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا (الرب نفسه) تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يوحنا ١٤: ٣)، ولذلك طلب الربُ علانيةً من الآب أن ينظر الذين يؤمنون بالرب "مجده" (يوحنا ١٧: ٢٤). ذلك المجد الإلهي الذي أراد الآب أن يُوهب لنا في المسيح، وهو ما عبَّر عنه الرسول بقوله: "لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ **مَجْدِ اللهِ** فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢كور ٤ : ٦)؛ لأن الابن له المجد هو بهاء مجد الآب (راجع عب ١: ٣).

هذا المجد، هو نعمة الله العظمى التي بها سوف يتحول الجسد، ليس إلى مجد غير محددٍ، وحسب خيال الإنسان، بل مجد يسوع المسيح الرب "الَّذِي سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (فيلبي ٣: ٢١)؛ لأن الجسد الذي يُزرع في هوان القبر ويتحلل، سوف "يُقام في مجد" (١كو ١٥: ٤٤)، هو مجد الجسم الروحاني السماوي، لأننا في آدم صرنا تراباً، ولبسنا صورة الترابي، ولكننا في المسيح يسوع وحده سنلبس صورة السماوي (راجع ١كور ١٥: ٤٩).

٤- وفي تعليقه على قول الرسول عن صعود الرب: "إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْياً وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا ... صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ (الرتب الملائكية)، لِكَيْ يَمْلأَ الْكُلَّ" (أفسس ٤: ٨ - ١٠)، يقول جيروم في شرح رسالة أفسس: "لقد سبى المسيح من الأمم أولئك الذين كانوا أسرى الشيطان، وحررنا من العبودية القديمة، وقادنا إلى حرية الأسرى الجديدة في المسيح، بل لقد قادنا إلى السماء وأعطانا عطايا" (مجلد ٢٦: ٨٩٤). وفي المقالة الرابعة ضد الأريوسيين للقديس أثناسيوس يقول "إن ما أخذه الرب كإنسان أعطاه لنا نحن" (٤: ٦).

٥- ويصيغ القداس الغريغوري عبارة الرسول بولس في (أف ٤: ١٠) قائلاً: "عند صعودك إلى السموات جسدياً، إذ ملأت الكل بلاهوتك". وهو ما يعني أن استعلان الحياة الجديدة في يسوع المسيح هو أن تنال الخليقة كلها، استنارة الحياة التي لا تموت، أي الحياة الإلهية التي غلبت العداوة بالصليب، وقتلت الموت على

الجلجثة، وأبادت قوة الشيطان، وأنارت القبر بنور الخلود، وصالحت السماويين مع الأرضيين، فلم يعد هناك بعد سيفُ نارٍ يحرس شجرة الحياة، بل دخل اللص الفردوس منتظراً أن يدخل المجد الأعظم بعد يوم الدينونة.

٦- جلس الرب عن يمين الآب "إِذْ قَدْ مَضَى إِلَى السَّمَاءِ، وَمَلاَئِكَةٌ وَسَلاَطِينُ وَقُوَّاتٌ مُخْضَعَةٌ لَهُ" (١بطرس ٣: ٢٢)، أي أن الرب أخذ - بالجسد المولود من والدة الإله بالروح القدس - تلك المكانة ليكون وسيطاً. ولا يتردد الرسول في أن يؤكد أن هذا الوسيط هو "الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١تيمو ٢: ٥ - ٦)، الذي صار وسيط العهد الأفضل، ورئيس الكهنة الذي مجَّده الآب نفسه بهذه الخدمة، خدمة كهنوت أبدي (عب ٥: ٦). وقد أسس الرسول تعليمه عن كهنوت الرب على أساس ألوهيته "الْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: "أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ"... "أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ"" (عب ٥: ٥ - ٦).

فالوسيط الذي هو الإله الابن الوحيد الذي في حضن الآب الذي حلَّ العداوة (القداس الغريغوري) هو أيضاً الذي بمجد ألوهيته يمنح عطايا الحياة الجديدة في أسرار العهد الجديد لا سيما أسرار الانضمام إلى الكنيسة جسد المسيح "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ .... وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً" (١كو ١٢: ١٣).

وهكذا، في عصر الهجوم على عطية الروح القدس، يجب علينا أن نتمسك بالتعليم الرسولي، لأن مَن قال في سخرية إن اللاهوت لا يُشرب، يوبخه الإنجيل بما نادى به يسوع كل مؤمن قائلاً: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ... قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ" (يوحنا ٧: ٣٧ - ٣٩).

لقد "ارْتَفَعَ (يسوع) بِيَمِينِ اللهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ (لذا) سَكَبَ هَذَا ..." (أع ٢: ٣٣)، ولا يمكن أن يكون الرب يسوع قد أخذ مجرد مواهب من الآب، بل الروح القدس المعزي (أَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ).

وعندما تعيي الحيل بعض الذين انحرفوا عن التعليم الرسولي وأنكروا سكنى الروح

القدس، نجدهم — في محاولة يائسة – يقدِّمون تعليماً غريباً لا وجود له لا لفظاً، ولا حرفاً، ولا معنى في تراثنا الكتابي والآبائي، ولذلك فهم يعطونه اسماً جديداً: (الحلول المواهبي)، وبذلك يكون هؤلاء قد برهنوا على أنهم لم يبقَ لديهم سوي قدرة لفظية على نحت كلمات يتوهمون أنهم قادرون بها على مطاردة التعليم الرسولي، ولكن هيهات.

وإذا كان لنا أن نرصد عودة استخدام كلمة "الحلول" في الخطاب القبطي المعاصر بعد أن ظلت ممنوعة طوال ما يزيد عن ٢٥ عاماً، إلاَّ أن الإضافة التي ألحقوها بها: "المواهبي" ما تزال تؤكد على فشل التعليم بإنكار سكنى الروح القدس فينا، وأنه لا بد من العودة إلى التعليم الرسولي الثابت بكلمات الرب يسوع نفسه، دون حاجة إلى اختراع تعابير جديدة تؤكد على استمرار التيه في صحراء الانحراف.

-٢-

إبصاليات عيد الصعود

تؤكد الإبصالية أن الرب مَلَكَ من جديد كإله متجسِّد:

"يوحنا الناطق بالإلهيات قال في إنجيله إني رأيت الملك المسيح صعد إلى السموات" (إبصالية واطس لعيد الصعود).

فقد صعد إلى فوق حيث رتبته، أي لكي يجلس عن يمين الآب:

"لأن الغير المدرك قد صعد إلى الموضع الذي أتى منه"

(إبصالية واطس ما بين الصعود والعنصرة).

"لأن السموات والأرض تسبح معاً من أجل أن الأرضيين صاروا فوق جميع الخلائق" (إبصالية واطس ما بين الصعود والعنصرة).

"كل قوات السموات خروا وسجدوا له، السمائيون والأرضيون سبحوه بالبركات" (إبصالية واطس لعيد الصعود).

ثم تؤكد الإبصالية أن الرب **"لم يزل إلهاً، أتى وصار ابن بشر"**.

كما تؤكد أنه أكل "السمك المشوي وشهد العسل" بعد قيامته "ولما أخذ قدامهم أكل". ولعل هذه العبارة **"لك القوة والكرامة يا يسوع الكلمة الذاتي، هذا فلنصرخ نحوه قائلين المجد لك يا محب البشر"** تؤكد ملك الرب **"رتِّلوا حسناً بتماجيد يسوع المسيح ذي السلطان"** (إبصالية واطس ما بين الصعود والعنصرة).

-٣-

الصعود والسرائر الكنسية

جاء الصعود بالقوة السماوية الإلهية؛ لأن "السماء" هي الاسم القديم الشائع في زمن المسيح الرب للجلال الإلهي. ونستطيع أن ندرك ذلك دون العودة إلى "الترجوميم" وشرح الأسفار لعلماء اليهودية في زمن المسيح. وهذه أمثلة من أقوال الرب يسوع المسيح نفسه:

* "أبانا الذي في السموات" = أبانا الله.

* "أخطأت إلى السموات" وهي عبارة نطق بها الابن الشاطر (لوقا ١٥: ١٨، ٢١) = أي أخطأت إلى الله.

* وكلما ذكر الرسول متى "ملكوت السموات" ترجم لوقا نفس العبارة إلى "ملكوت الله".

فالسموات أو السماء هي اسم مرادف للاهوت نفسه، أي الله؛ لأن اسم "يهوه" كان مقدساً إلى درجة أن امتنع القارئون في المجامع عن نطقه واستبدلوه باسم "أدوناي" وترجم الاسم العبراني في اليونانية إلى *Kyrios* "الرب" حسبما نقرأ في السبعينية.

لقد دخل الرب المجد الإلهي الذي حملته إليه سحابة المجد الإلهي "الشاكيناه" وهي من الفعل العبراني "شَكَنَ"، أو "سكن" في العربية. فالمسيح يسوع ربنا مستتر في المجد الإلهي؛ لأنه مستتر في الله *hidden* (كولوسي ٢: ٣).

ويمكن أن نعلل غياب الجانب المرئي عن السرائر الكنسية بالأسباب الآتية:

أولاً: في تجديد الخليقة يدخل الزماني والمنظور في الإلهي والسمائي؛ لأن الرب يسوع وحَّد الاثنين، عندما وحَّد في أقنومه الإلهي اللاهوت والناسوت. ولذلك

يعبِّر المنظور عن غير المنظور، ويعلن حقيقة الحضور المتجسد للرب يسوع المسيح(٥)؛ لأنه الكلمة اللوغوس "الذي يحوي كل شيء، ولكنه هو ذاته لا يحويه شيء"، فهو "موجودٌ في كل شيء" (تجسد الكلمة ١٧: ٦).

وعبارات الليتورجية ذات دلالة بالغة الأهمية:

* "قدِّس هذا الماء" (المعمودية).

* "وقدسه" (الخبز والخمر في الإفخارستيا).

ويصل إلينا التقديس كثمرة من ثمرات اتحاد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الابن الوحيد، لأن الرب يسوع قدَّس الجسد بالاتحاد، وفتح لنا ينبوع التقديس حسب ترتيب هذا الاتحاد نفسه، فالاتحاد هو حسب ترتيب الرب أو "طقس التدبير"، لأن دعائم هذا الطقس هي: دعوة الرب وتأسيس السرائر، فقد أسس المعمودية بمعموديته، ولذلك يوصف جرن المعمودية بـ"الأردن". وأسس المسحة بمسحة الروح القدس، والإفخارستيا عندما جلس هو نفسه في العلية وقدَّم جسده ودمه. لكن استمرار السرائر وبقائها يعلن لنا أنها سماوية تدخل الزمان والمكان والمنظور؛ لأن المسيح ربنا صعد إلى السماء، ونقل كل ما يخص التدبير إلى "السماء" أي اللاهوت لكي يعطي لنا هذا بقوة وعمل الروح القدس.

ثانياً: وجود الماء والزيوت والخبز والخمر هو تأكيد على دعوة الخليقة للتجديد أي الأرض، الماء ... الخ، فهي تدخل "زمان التجديد"، زمان رد كل الأشياء إلى ما كانت عليه قبل السقوط αποκαταστασι″ τον παντον (أع ٣: ٢١)، لكن هذا الدخول إلى تجديد الخليقة سوف يصل إلى كماله عندما يُعتق الجسد من الفساد الطبيعي وتسترد الخليقة حريتها عندما يتحرر أبناء الله حسب التعليم الرسولي في (رو ٨: ١٩).

لكن ما يجب أن نكون على حذر منه، هو إنكار مسيرة هذا التجديد لأنه

(٥) من الجدير بالذكر أن تعبير الحضور المتجسد ورد عند القديس أثناسيوس في تجسد الكلمة ١٨: ١ — وضد الأريوسيين ١: ٥٩ — ٢: ٥٥ — ٢: ٦٦.

حسب قول أحدهم "لا زالت الأرض تنبت شوكاً"، ولكن صاحب هذه العبارة لم يتذكر أن الأرض ما تزال "تنبت القمح والعنب والزيتون"، وهي النباتات الثلاثة التي تؤخذ منها المادة التي تعلن السر، وتصبح هذه المادة حاملة حياة ابن الله نفسه؛ لأن جسده المادي الذي أخذه من والدة الإله هو جسد مادي آدمي اتحد بلاهوت الابن الكلمة.

ثالثاً: وحسب طقس التدبير تصبح الكلمات التي تُقال هي مفتاح المعرفة، لكن المعرفة نفسها تُعطى بالروح القدس، وتصبح الطقوس، ليس كما درجنا في المعرفة الشعبية "تذكِّرنا"، بل رموزٌ تغرسنا في الحقيقة الحاضرة، وهي "عمانوئيل إلهنا في وسطنا الآن"؛ لأنه عندما "تُعطى المعمودية، فإن من يعمده الآب يعمده الابن أيضاً، ومن يعمده الابن فهذا يتم بالروح القدس" (القديس أثناسيوس ضد الأريوسيين ١: ٤١). ولذلك فإن الإنسانية التي نالت الكمال في المسيح وأُعيد تأسيسها كما كانت في البدء، بل نالت نعمة أعظم من الأولى (ضد الأريوسيين ١: ٦٧) لا تحيا بذاكرة أحداث قديمة حدثت، بل تحيا السر السمائي الذي يستعلن ويعطي حقيقة ماثلة لأن **التجسد لا يأتي برموز وظلال بل بالحقيقة والكمال.**

رابعاً: البعد السماوي لا وجود له دون التجسُّد، والصلب، والقيامة، والصعود، والعنصرة. لأن تدبير الخلاص بدأ بالتجسد، ورفع حاجز الموت بالصليب، وقهر الفساد بالقيامة، وبالتالي كمال قامة الإنسان الجديد، آدم الثاني "الرب من السماء" (١كو ١٥: ٤٧)؛ لأن السمائي يسوع المسيح سوف يجعلنا سمائيين مثله (١يوحنا ٣: ٢).

عندما قال الرب يسوع "ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠)، فقد أعلن ملكه كرأس الجسد الكنيسة، ذلك الجسد الذي ينمو كل عضو فيه مثل نمو يسوع المسيح مخلصنا نفسه (لوقا ٢: ٥١) نمواً من الله. ولاحظ عبارات القديس أثناسيوس:

"ابن الله هو كامل لا ينمو، أنقص نفسه لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن

أن نتقدم وننمو .. يتقدم إنسانياً، حيث أن التقدم هو خاص بالبشر ... وعندما كان ينمو كان يزداد ظهور اللاهوت ويُعلَن أكثر فأكثر" (ضد الأريوسيين ٣ : ٥٢).

ويكرر معلمنا ذات الكلمات:

"هكذا كلما كان الجسد ينمو في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت" (ضد الأريوسيين ٣: ٥٣).

لقد كَمُلَ التدبير بالصعود، وارتفع يسوع إلى السماء إلى الحياة الإلهية لكي يرفعنا إلى هذه الحياة.

أسرعوا أيها المؤمنون لنسجد للوحيد في اليوم الحقيقي الذي هو عيد الصعود" (إبصالية عيد الصعود).

-٤-

أصعدتَ باكورتي إلى السماء

لم يقتصر ذكر الصعود -باعتباره حلقةً من حلقات تدبير الخلاص- على القداس الغريغوري؛ لأن القداسات الأرثوذكسية تضعه بعد تأسيس العشاء السري في العلية، حيث تؤكد أن الكنيسة تقوم "**نصنع ذكرى آلامك المقدسة وموتك المحيي وقيامتك وصعودك إلى السموات وجلوسك عن يمين أبيك**"، وهو ترتيب التدبير الذي وإن اختلف من حيث اللفظ، إلاَّ أنه لا يختلف من حيث الروح عن باقي القداسات؛ لأن استعلانات التدبير تأتي بعد تأكيد أن الرب نفسه هو الذي أخذ الخبز والخمر وبارك وقدس .. الخ. وبعد ذلك تعترف الكنيسة بإعلانات التدبير التي تنتهي بالصعود، ثم يأتي استدعاء الروح القدس: "أنت وحدك حول هذين الموضوعين. أنت الحال معنا، هيئ لنا هذه الخدمة المملوءة سراً". فالرب وحده هو الذي له سلطان على جسده ودمه، وهو وحده الذي يستطيع أن يعطي حياته، جسده ودمه للغير. لا يوجد سلطان يعلو على سلطان الرب، والذين يمنعون الشعب من التناول لأسباب شخصية بحتة، سياسية أو غيرها أو لأي سبب مهما كان غير الهرطقة، هؤلاء لا يؤمنون بالمسيح مهما كانت الرتبة أو الزي الكهنوتي.

ولعل الذي يواظب على حضور القداسات قد لاحظ أن هذه الكلمات: "لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز .. تبشِّرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكروني إلى أجي" هي على لسان الرب يسوع المسيح نفسه.

ويجيء قبول الشعب لهذه الدعوة: آمين .. بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السموات نعترف"، فهي اعتراف بالإيمان قبل استدعاء الروح القدس، حيث يتقدم الكاهن الواقف في حضرة الثالوث القدوس ليؤكد قبول دعوة الرب للكنيسة: "ففيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدسة (العبارة قبطياً تعني استمرار

الذكرى) وقيامته من الأموات وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمينك أيها الآب .. نقرب لك الذي لك أي قرابينك".

وهنا نكتشف أن الجدل المرير الذي دار حول الذكرى، لم يكن له أي داعي؛ لأن الذكرى هي ليس تذكر الحدث الغائب الذي مضى في طيات الزمان، بل هي استدعاء ذلك الحدث لتجديد العهد وقبول دعوة الرب يسوع لنا.

هنا فقط نفهم أن طقس التدبير كَمُلَ بدخول "البكر" يسوع المسيح إلى السماء – ومرة ثانية – ليس بالمعنى الجغرافي الشائع عند العامة – بل بالمعنى السائد في العهد الجديد "ليظهر أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ٢٤)، ونفس كلمات الرسول (عب ٩ : ٢٣) تؤكد أن الرب لم يدخل إلى هيكل صنعه البشر (عب ٩: ٢٤)، لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد شبه الأقداس الحقيقية (أي هيكل العهد القديم) بل إلى السماء عينها". وهنا يؤكد الرسول أن المسيح نفسه هو الذبيحة والكاهن وهو الذي يقدم نفسه (عب ٩: ٢٥) ليس مراراً كثيرة (عب ٩: ٢٥) لأن الذبائح في العهد القديم كانت غير الكاهن، بل جاء الرب وقدم الذبيحة "ليُبطل الخطية" (عب ٩: ٢٦).

وهنا نسجل أن قادة الإصلاح لم يلتفتوا إلى أن كلمات الرسول "هكذا أيضاً بعدما قُدم (قدمه الآب وقدم هو نفسه ككاهن) لكي يحمل خطايا كثيرين (عب ٩: ٢٨) تؤكد أن "حمل الخطية" أي رفع الخطية من الوسط (كولوسي ٢: ١٤) هو عمل الرب الدائم الذي يقوم على مكانته كوسيط، وككاهن، وأيضاً لأنه "البكر".

وهنا نشير إلى أن الكتاب المقدس قد أسس مكانة البكر على النحو التالي:

١– وراثة كل شيء مثل اسحق، لأن البكر جعله الآب "وارثاً لكل شيء" (عب ١: ٢).

٢– أن يصبح رأس الأسرة أو البيت "وأما المسيح فكابن على بيته" (عب ٣: ٦).

٣– أن يكون له مطلق الحق والحرية في التصرف في ممتلكات أبيه حسب العهد القديم، ولكن في عهد ربنا يسوع المسيح "كل شيء قد دفع إليَّ من أبي".

لكن هنا يجب أن نتوقف أمام "البكر" الذي دخل مجال الحياة الإلهية؛ **لأن الصعود غرس الطبيعة الإنسانية في جوهر اللاهوت، وأصبح الابن المتجسد الذي هو واحد مع الآب والروح القدس متحداً بجسده الإنساني المولود من والدة الإله بالروح القدس، نعم حقاً لقد أصبح الابن المتجسد هو باكورة الجنس البشري الجديد العائد إلى الثالوث في الابن بالروح القدس.**

لقد صعد الابن إلى السماء وأصعد معه "باكورتي"، أي الإنسانية الجديدة الكاملة، لكي من الرأس أي المسيح تنحدر كل هبات الآب لنا في يسوع المسيح لمجد الله الآب.

هنا بالذات عندما يقام القداس الإلهي بواسطة الكنيسة، فإن كل ألقاب الرب: البكر، الرأس، الراعي، الكاهن، الذبيحة، الكرمة، الباب، النور، وكل الألقاب الأخرى تشبه – مع الفارق الكبير – "النوتة الموسيقية"؛ لأن كل لقب هو عبارة عن "لحن" لا يقال، بل هو استعلان لنعمة الله العظمى. لذلك عندما صعدت باكورتنا إلى السماء، دخل الرب يسوع لا لكي يُصعدنا نحن فيه فقط، بل أيضاً يجمعنا معه وبه وفيه لنصير "واحداً معه"، ونجد "ميراثاً مع جميع القديسين".

لقد دخل البكر لكي يرث السماء، وهنا يتوقف القلم والكلام؛ لأن البكر لن يجعلنا مجرد أخوة له (رو ٨ : ٢٩) بل شركاء له في كل ما أخذه من الآب، ونصبح حقاً "شركاء الدعوة السماوية" (عب ٣: ١).

لقد أعطى لنا صعود البكر، وصعود "باكورة الجنس البشري" الضمانة الأبدية بأن ميراث الملكوت باق لنا؛ لأننا "ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧).

القيامة

أساس الإنجيل ومسرة الثالوث بالإنسان(٦)

يقول الرسول: "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِالإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ وَقَبِلْتُمُوهُ وَتَقُومُونَ فِيهِ *stand* .....: أَنَّ الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ. وَأَنَّهُ دُفِنَ وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ" (١كو ١٥: ١ - ٣). هذا الإنجيل، أو الخبر السار "إِنْ لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ. أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ!" (١ كو ١٥: ١٧).

لقد قام الرب بالحقيقة، وصارت هذه تحية الحياة وخبر السلام؛ لأن المسيح الحي جاء وبشَّرنا بالسلام (أفسس ٢: ١٧)، ويجيء المسيح الحي والأبواب مغلَّقة ليقول لمن هو تحت حصار التجارب وضيقات الحياة: "السلام لكم" (يو ٢٠: ١٩). هو دائماً - كحي - يجيء إلينا لأن الوعد: "ها أنا معكم كل الأيام" (متى ٢٨: ١٩). وهذه الكلمات ليست كلمات مَن يجلس ويراقب مِن بعيد، بل مَن يحيا معنا مثل حياة الكرمة والأغصان (يوحنا ١٥: ١، ٤، ٥)، بل مثل الرأس الذي منه تنمو كل أعضاء الجسد (كو ٢: ١٩)، فهو قد أخذ مكان الرأس في الجسد؛ لأن الآب أقامه ليكون رأساً "فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ..."، ولاحظ: "وإياه جعل (الآب) رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده" (أفسس ١: ٢١ - ٢٣).

بالقيامة صار المسيح حياتنا.

عندما وقف بولس يحاكَم أمام أغريباس كان محور الكلام وملخص الاتهام يدور "عن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول إنه حي" (أع ٢٥: ١٩).

(٦) رسالة عيد القيامة، منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣ إبريل ٢٠١٠.

هذا الحي هو القائم من بين الأموات، ولذلك عندما يقول بولس "في المسيح" التي وردت ٨٣ مرة غير "فيه وبه"، فهو يتكلم عن المسيح الحي: هو "في المسيح"، و"مع المسيح"، و"بالمسيح". وعليك عزيزي القارئ أن تلاحظ قوة التعبير "في المسيح"كما ورد في: (رو ٣: ٢٤، ٦: ٢٣، ٨: ٢، ٨: ٣٩، ١٥: ١٦، ١كو ١: ٤، ١٥: ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢كو ٢: ١٤، ٣: ١٤، ٥: ١٩، غلا ٢: ١٧، ٣: ١٤، ٥: ٦، فيلبي ١: ٢٦، ٢: ٥، ٣: ٤، ٩، ١٤، كولوسي ١: ٢٨، ٢: ٣، ٩: ١٥، ١تسا ٥: ١٨، أفسس ١: ٢٠، ٢: ١٣، ٤: ٢١، ٣٢). تلك بعض الأمثلة نظراً لضيق المجال تؤكد لنا تلك الحقيقة الغائبة عن بعض الفكر القبطي المعاصر، وهي أن العهد الجديد لا يفصل بين الشخص – العمل – الاسم. فقد يحل الاسم أحياناً محل الشخص، والشخص يحتوي ما قام به من عمل.

هذا هو الوضع الخاص بالمسيح وبالثالوث.

* لاحظ قوة التعبير الخاص "في المسيح": "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي **في يسوع المسيح**" (رو ٣: ٢٤).

* "أما هبة الله فهي حياة أبدية **في المسيح يسوع** ربنا" (رو ٦: ٢٣). وهنا بالذات لا يمكن فصل "الهبة" عن "هبة الحياة الأبدية" عن "الرب يسوع"، فالفصل والتقسيم هو حيلة المكر الذي تعلَّمه البعض من الشيطان نفسه حتى يغيب شخص المسيح وتغيب معه محبة الله التي لا تقبل الفصل، ولا يمكن أن تنقسم حسب أقوى ما قيل عن المحبة في رو ٨: ٣٧ – ٣٩: "لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا".

* المسيح الحي فيه تعطى النعمة: "اشكر الهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله التي أعطيت لكم **في يسوع المسيح**" (١كو ١: ٤)؛ لأن المسيح الحي هو الذي فيه "سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢). فهو ليس حدثاً ***event*** بل هو الأقنوم أو الشخص. ولذلك، حتى في كلامنا أو خطابنا عن الخلاص يجب أن يكون لدينا الوعي الكامل بأن المسيح ليس "وسيلة"، ولا هو "ثمن" يُدفع للآب؛ لأن الله

كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه، وغير حاسب لهم خطاياهم"، فكيف دفع الثمن على الصليب وهو الذي لم يقبل بالمرة مَن رفض غفران ومسامحة الآخرين (٢كو ٥: ١٩)؟ بل ووضع بنفسه طلبة الغفران في الصلاة التي سلمها إلينا: "اغفر لنا ما علينا، كما نغفر نحن أيضاً".

الشركة في المسيح الحي:

١- يعلن لنا المسيح الحي إرادة الآب التي فيه نعرفها (١ تسا ٥: ١٨)؛ لأننا في المسيح "نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية وأحياء لله في المسيح" (رو ٦: ١١)، فكيف نحيا لله بدون المسيح أو بعيداً عنه؟ ومن أين تأتي هذه الحياة إلاَّ لأننا في المسيح يسوع لسنا تحت الدينونة:

إذ لا شيء من الدينونة (أي لا توجد دينونة بالمرة)

الآن

على الذين هم في المسيح يسوع ...." (رو ٨: ١).

٢- عندما يقول الرب أنا هو الكرمة وأنتم الأغصان (يوحنا ١٥: ١)، فإن هذه الأيقونة تشرح كلمات الرسول: "نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح" (رو ١٢: ٥). هذا الجسد الواحد هو جسد الابن الوحيد والواحد مع الآب في الجوهر. والذين يحاولون إضعاف هذه الشركة، يحاولون طمس الحقيقة الإلهية وهي أن الدينونة رُفِعَتْ كاملةً؛ لأن الله لا يدين ابنه الواحد معنا وفينا حسب شركته. وعندما يقول الرسول بولس "فإنه لم يبغض أحد جسده قط (مطلقاً) بل يقُوته ويربيه **كما الرب أيضاً** الكنيسة (أفسس ٥: ٢٢)، فإننا نجدِّف على المحبة إذا تهورنا وظننا أن الآب يُعاقِب أو الابن يُعاقِب ذاته، تلك التي "وحَّدها" بنا، ولاحظ قوة التعبير حسب ترجمتنا القبطية في كورنثوس الأولى ١: ٣٠:

ⲛ̀ⲑⲱⲧⲉⲛ ⲉⲃⲟⲗ ⲇⲉ ⲙ̀ⲙⲟϥ ϩⲱⲧⲉⲛ ⲉⲛ ⲡ̅ⲭ̅ⲥ̅ ⲓ̅ⲏ̅ⲥ̅ ⲫⲏⲉ̀ⲧⲁϥϣⲱⲡⲓ ⲛⲁⲛ ⲛ̀ⲟⲩⲥⲟⲫⲓⲁ ⲉ̀ⲃⲟⲗϩⲓⲧⲉⲛ ⲫϯ ⲟⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲧⲟⲩⲃⲟ ⲛⲉⲙ ⲟⲩⲥⲱϯ.

فهو أوضح من الترجمة العربية، ويجب أن نقرأ النص من آخره هكذا: "فقد صار المسيح لنا — أنتم الذين في المسيح يسوع — من الله حكمة وبراً وقداسة وفداءً". فـ **"المسيح لنا"**، حتى للذين رحلوا عن الحياة البيولوجية الفانية، أي الراقدين **في المسيح** (١كو ١٥: ١٨). وربما أفضل ملخص لهذا هو كلمات الرسول نفسه "إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو ٥: ١٧).

٣– المسيح الرب الحي:

* نحن "نعمل" في الرب (١كو ١٥: ٥٨).
* نتكلم بثقة في الرب بكلمة الله (فيلبي ١: ١٤).
* نقبل الآخرين بفرح في الرب (فيلبي ٤: ٢٩).
* نفرح بالرب (فيلبي ٣: ١) بل نقف بثبات في الرب (فيلبي ٤: ١)، ونتفق في الرأي في الرب (فيلبي ٤: ٢)؛ لكي نفرح دائماً في الرب (فيلبي ٤: ٤).

٤– ماذا يفعل الذين يقسِّمون الرب إلى لاهوت وناسوت بصيغة المضاف والمضاف إليه Genitive؟

وهذه الصيغة في الانجليزية أوضح لأنها تستخدم of ، مثلما نقول "عبد المسيح"، ولاحظ النص القبطي في غلاطية ٣: ٢٩:

Icϫe ⲛ̀ⲑⲱⲧⲉⲛ ⲛⲁ ⲡ̄ⲭ̄ⲥ̄.

"فإن كنتم للمسيح *if you are of Christ* فأنتم نسل إبراهيم" (غلا٣: ٢٩). وماذا نقول عن هذه الكلمات: "الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد" (غلا ٥: ٢٤)، أليست هذه هي صدى لكلمات الرسول في (رو ص ٦)، الذي يعتبر أطول نص عن المعمودية في كل العهد الجديد. ولكنها تأتي صيغة المضاف إليه .. صيغة الملكية (١كو ١٥: ٢٣) "الذين للمسيح"، أي لأن هؤلاء هم في المسيح.

الاسم والشخص

يصدم إنجيل يوحنا أولئك الذين يميلون لرفض "الشخص"، ولذلك تجدهم يحولون الشخص إلى "فكرة" في عقولهم؛ لأن "الشخص" عسير التداول في تلافيف

الفكر. في حين أن "الشخص" لا يمكن أن يتحول إلى شيء؛ لأن تشيِّئ الأشخاص هو أسلوب الخطية المدمر. ولذلك يوصينا القديس يوحنا سواء في الإنجيل أو في الرسائل أن نؤمن "باسم" يسوع (١يوحنا ٣: ٢٣ – ٥: ١٣ وغيرها)، ولذلك تأتي شهادة القيامة: "هذه كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةً باسمه " (يوحنا ٢٠: ٣١). وتأتي بشارة يوم العنصرة: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم أو باسم يسوع المسيح" (أع ٢: ٣٨ – ٨: ١٦ – ١٠: ١٨ – ١٩: ٥).

ومن الشخص وبالشخص، ولأنه الحي من بين الأموات، جاء الاستعمال القديم في سفر الأعمال: "اعتمدوا باسم الرب" أو "باسم يسوع"، أي اصطبغوا في الرب وقبلوه "شخصاً". فقد تمت المناداة بالإنجيل بـ "اسم يسوع" (أع ٥: ٤٠)، بل حاول مجمع السنهدرين منع تلاميذ الرب من التعليم بالاسم، أي "اسم يسوع" (أع ٩: ٢٧-٢٩). وبدأ شاول بعد تحوله أن يعلِّم "باسم الرب". وكانت الشياطين تُطرد "باسم الرب" (أع ١٦: ١٨). والصلاة تقدم "باسم الرب" (أفسس ٥: ٢٠ – كولوسي ٣: ١٧)

وإذا عدنا إلى إنجيل يوحنا، فإننا نجده يتكلم عن عدم الإيمان بيسوع (يوحنا ١١: ٤٨ – ١٢: ٣٦ – ٤٦ – ١٣: ١٩)؛ لأن الرب يقول "أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي" (يوحنا ١٤: ١) لأنه إيمان بالآب أيضاً.

مسرة الثالوث بالإنسان

يقول حزقيال النبي إن الله لا يُسر بموت الخاطئ (١٨: ٢٣). كانت مسرة الثالوث هي أن يخلق الإنسان، فأعطاه نعمة الخلق حسب صورة الله. بل "وسُرَّ الله بأن يعطينا الملكوت" حسب كلمات الرب نفسه (لوقا ٢: ٣٢). وسُرَّ الله بتجسد الابن، فقد أعلن الرسول: "سُرَّ أن يحل فيه كل الملء" (كو ١: ١٩)، فقد كان الابن هو مسرة الآب (متى ٣: ١٧)، وأُعلنت هذه المسرة في تجلي المتجسد على جبل طابور (متى ١٧: ٥). فهناك مسرة بالتجسد (كولوسي ١: ١٩)، ومسرة بالميلاد والمعمودية والتجلي (متى ٣: ١٧ – ١٧: ٥). في مقابل ذلك نجد – حسب أطول

خطاب في العهد الجديد كله يشرح ويؤكد عدم جواز مقارنة ذبائح العهد القديم بذبيحة الرب يسوع (عب ١٠: ١ - ١٧) - أن الآب لم يطلب الذبائح الحيوانية، تلك التي قال عنها المزمور "بِذَبِيحَةٍ وَتَقْدِمَةٍ لَمْ تُسَرَّ. أُذُنَيَّ فَتَحْتَ. مُحْرَقَةً وَذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ لَمْ تَطْلُبْ" (مز ٤٠: ٦ - عب ١٠: ٨) .. ولكن بماذا سر الآب؟

لقد سر بمن قال: "هنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله" (عب ١٠: ٩). وعندما يقول: "بهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب ١٠: ١٠)، فإنه يعني بكل وضوح أن إرادة الرب أن يقتحم الموت.

ولذلك نلفت نظر القارئ إلى معنى **المسرة** التي يقصدها النبي عندما يقول عنه إنه: "قطع من أرض الأحياء، إنه ضرب من أجل ذنب شعبي .. على أنه لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمه غش. أمَّا الرب **فسُرَّ** أن يسحقه بالحزن" (اشعياء ٥٣: ١٠)، فحسب الترجمة الموحدة: "لكن الرب **رضي** أن يسحقه بالأوجاع ويُصعده ذبيحة أثم"، وإذا عدنا إلى الترجمة الأمريكانية حيث بقية النبوة "أما الرب فسُرَّ أن يسحقه بالحزن ... ومسرة الرب بيده تنجح". ودون أن نزعج القارئ بالأصل العبراني والترجمة السبعينية، فإن دعاة "السادية" الذين "اسقطوا" ***projected*** صورتهم الذاتية على الآية، تعلقوا بالترجمة العربية "سُرَّ أن يسحقه". ولأن "**سحقَ**" المعارضين لهم "**مسرةٌ**"، ظنوا في قلوبهم المريضة بـ "السادية" أن الآب نفسه يجد مسرة في هذا السحق.

ولأن الكلمة العبرانية تعني - كما ترجمت في الترجمة الموحدة - "لكن الرب **رضي** أن يسحقه بالأوجاع"، فقد نزعت كلمة "رضى" مسرة اللذة في السحق.

وإذا جئنا إلى السحق، نجد أنواعاً كثيرة معروفة لنا:

١- سحق العطور والأفاوية لكي تعطي عطراً أكثر، وكذلك سحق الزهور.

٢- سحق الصخور لتعدين الذهب والمعادن.

٣- سحق السجناء والأسرى لقتل الروح والجسد معاً.

٤- سحق المعارضين لكي تنمو وتزيد سلطة الزعيم و"الأكبري".

٥- سحق الشعوب تحت عجلات الفقر وفي ميادين المعارك العسكرية.

وما أكثر أنواع السحق التي قد نراها في زواج يسحق فيه طرفٌ الطرف الآخر لكي يشبع من لذة الانتقام.

وهنا تتابع الأسئلة:

هل يمكن لهذه الأنواع أن تنطبق على الله؟! وهل الله الذي "لا يُسَرُّ بموت الخاطئ"، والذي وجدَ مسرةً في تجسد ابنه وحلول ملء ألوهيته في الجسد، وجدَ مسرةً ولذَّةً في تشفٍّ وانتقام غابت فيهما شمس المحبة الأبدية وراء سحابة الغضب السوداء؟!! .. ألا يُعد ذلك تجديفٌ أُريدَ به دعم سلطة غاشمة فقدت روح الأبوة، وتعذَّرت عليها المحبة فوجدت في العنف وفي السحق استعلانٌ لسلطة لا تختلف عن سلطة ذلك الذي وُصِفَ في الوحي بأنه "المهلك"، أي الشيطان؟!!

هل يمكن أن يسحق الآب ابنه بالمعاني السابقة التي ذكرناها؟ .. وهل يُعقل - بعد أن يسحقه — أن يقول النبي بعد ذلك إن "مسرة الرب بيده تنجح" أش ٥٣: ١٠)؟ هل يتحدث النبي عن أكثر من مسرة؟ أليست هي المسرة الواحدة فقد سحق آدم على الصليب — قطع من أرض الأحياء (أش ٥٣: ٨) ودخل "وادي ظلال الموت" (مزمور ٢٣: وشرب الكأس، كأس الموت وهو رب الحياة ورب القيامة عندما:

أخذ الذي لنا
وأعطانا الذي له
فقد أخذ ما هو ضد طبيعته وهو الناسوت،
ولكنه أخذه بمسرة (كولوسي ١: ١٩).

صار ما ليس هو *what He is not* عندما أخلى ذاته ... سكب نفسه، سكب حياته للموت (أش ٥٣: ١٢) و"السكب والسحق" عمل واحد ... هو انطلاق الحياة الحرة مع الأموات في الجحيم، مع الآب على عرشه في السماء ممجداً، وفي القبر ميتاً، وقبل ذلك معلقاً بين لصين. هذا تمزيق بلا انفصال عن اللاهوت. تمزيق الحياة الواحدة التي سكبت للموت وظلت ظافرة. احتوت الجحيم وظلت في المجد قوة مع ضعف، ضعف المحبة التي تنحدر إلى ظلام الموت، وقوة المحبة التي تقبل

هذا الضعف. ويعود إلينا من وراء القبر حاملاً مسرة الثالوث. فقد كانت المسرة أن يحل فيه ملء اللاهوت. أن يعود حياً لكي ندرك – حسب قول الرسول – "ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات .. فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل". (أفسس ١: ١٩ – ٢٢).

وقد جادت علينا الترجمة السبعينية بقراءة أخرى نجدها في قطمارس كل الكنائس الأرثوذكسية القبطية — اليونانية، بل وحتى تلك التي لم تعرف الترجمة اليونانية مثل كنائس السريان حيث تقول الترجمة السبعينية: "أمَّا الربُ، فشاء أن يشفيه من الجراح – الكلوم" (كتاب البصخة المقدسة حسب ترتيب الكنيسة القبطية الأرثوذكسية — قراءات الساعة الحادية عشر من يوم الخميس الكبير، والساعة السادسة من يوم الجمعة الكبيرة)، وهذه الترجمة هي الترجمة اليونانية للعهد القديم، وهي ترجمة يهود الإسكندرية وهؤلاء لم يحرِّفوا الكلمات، بل وضعوا التفسير الشائع في الفكر اليهودي.

مسرة الثالوث بالإنسان:

وهي مسرة يعلنها الرسول: "ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس في يمين عرش الله" (عب ١٢: ٢).

لقد سُحِقَ مثل العطور ففاح عطر الخلود. سُحِقَ مثل الزهور لكي ننال نحن عدم الموت. ولم تكن مسرة الآب في السحق نفسه، ولكنها كانت ولا تزال مسرة نجاح التدبير ومجيء الخليقة إليه، وعودة الضالين وخلاص الهالكين .. مسرة من أغلق فم الهاوية وكسر متاريس الجحيم واصعد آدم وبنيه. مسرة القيامة؛ لأن مسرة حلول ملء اللاهوت وصلت إلى غايتها بقيامة الابن المتجسد وإعلانه الخلود... مسرة جلوس بني البشر على عرش الآب (رؤ ٣: ٢١).

إن الكلمات تقف والحروف تسكت والفكر يصمت لأن رؤية المحبة غالبة الموت، هادمة الجحيم، رافعة العبيد إلى رتبة التبني ناقلة الترابيين إلى شركة اللاهوت، ساكبة مجد الحياة الإلهية في الذين خُلقوا من العدم .. كل هذا لأن الفجوة التي تفصل الله عن الإنسان قد أبيدت، وكانت إبادة هذه الفجوة مستحيلة بدون استعلان الثالوث.

لقد قام الرب، حقاً قام؛ لكي يصبح الحق حياً، ولكي تسود المحبة، وتتحول المعاناة إلى مجد، ويذوب الألم ومخاض الموت في لجة الحنان الإلهي ويعلو الإنسان في المسيح من رحم الأمهات اللاتي يلدن للموت إلى جرن المعمودية التي تلد للحياة الأبدية، لكي لا يأكل خبز المعاناة وثمرة الأرض، بل خبز الحياة الذي سهر عليه الآب وأتقن خبزه في نار المحبة وقدَّمه الوحيد بالروح القدس..

كل عام وانتم بخير

المسيح قام — حقاً قام

رسالة عيد القيامة المجيدة ٢٠١١(٧)

المسيح قام ... حقًا قام

تهنئة حارة لشعب مصر وللقوات المسلحة التي عبرت بنا إلى حياة القرن الحادي والعشرين، جاءت قيامة مصر بالدم والمعاناة؛ لأن الجديد لا يُكتب بالحبر، وإنما بدم وعظام الأوفياء من شعبنا العظيم.

لقد ضاعت كل التوسلات للإصلاح والتجديد وغرس الآمال والرجاء في خطابات شخصية، ومقالات تحمل آمال وواقع يجب أن يخلقه الأوفياء، ولكن كل هذا ضاع في ملفات الاحتكام للقوة وأحلام السيطرة وبسط النفوذ دون خدمات تقدَّم للكادحين ويد تمتد للمعدمين.

هكذا نقرأ صفحات بشارة الحياة تكتب دائمًا على صفحات كتب تاريخ كل شعب، حيث يقوم النضال ويدفع البذل كل تراكمات الفساد والاستبداد لكي تشرق شمس الحرية.

لقد وقف المكر والدهاء والخيانة والقوة صفًا واحدًا ضد رجل واحد جاء ببشارة الملكوت، وبحياة لا تخضع لتراكمات الشريعة القديمة، فصار الصديق والمحب لجامعي الضرائب القساة وللزناة وصيادي الأسماك والتجار. وجال يقول إنه أعظم من هيكل سليمان، وإنه رب السبت، وكسر شريعة موسى الخاصة بالسبت ورفض أن يرجم زانية، وغفر لأخرى قبَّلت قدميه رغم أن قبلة الزانية نجاسة حسب المشنا. رفض أن يعطي الملكوت للأقوياء وأن يسمح للتسلط، أو أن يخضع لتفاسير علماء الشريعة. كان حرًا ولا زالت الحرية في كل عصر وفي قلب كل إنسان تصارع جمود القوانين تطلب أن يكون الإنسان أعظم من التشريع، وأن لا يتحول التشريع إلى قيد حديدي يقتل الإبداع ويسجن الحرية باسم النظام ويستعبد الإنسان باسم الطاعة العمياء.

(٧) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٣ إبريل ٢٠١١.

وأصبح يسوع هو أمير الفدائيين وملك الأحرار، وعندما صُلب تحول الصليب إلى رمزٍ للفداءِ والبذل وبات من الحتمي أن يصبح هو علم الخلاص من تركة الماضي وشبكة الاستبداد. ومات يسوع مصلوبًا بين لصين، ولكن دم المصلوب سرى في عروق كثيرة، ودخل حتى في عظام المنكسرين، فصار مثل قطرات مطر خفيف تجمَّع، فجرف سلطان روما. وتحايل القياصرة على الصليب، فوضعوه على تاج الملك. وزيَّف أمراء الحروب دلالته، فوضعوه على الدروع. جاء الالتفاف حول الصليب، بل والمصلوب في هجمات القوة على الحرية وفي تجييش القوانين والتشريعات لكي تستبد جماعة بأخرى، وضاعت في آفاق الليل الأسود البهيم صرخات يسوع ونام الزمان هادئًا، فقد سيطرت القوة وساد الكذب وتسلطن الخداع، بل وضع كهنة الكذب الصليب على ملابسهم زينةً بألوان الطاووس لكي يجمعوا الأموال ويأكلوا باسم الصليب "حق الأرامل والأيتام".

ولكن الصليب مثل ثقبٍ في سدِّ الظلم المنيع ينزل منه الماء في هدوء يسوع نفسه، فإذا بالسد ينهار. وتظهر عورة الكذب في أفظع أشكالها، ويتحول صليب زينة كهنة الكذب إلى حكمٍ صارمٍ لا يمكن أن يلغيه الزمان، هو حكم الرحمة على القسوة، وحكم العطاء على الطمع، وحكم المحبة على البغضة، وحكم البذل على الأنانية، وحكم الخدمة على الترفع، وحكم التواضع على الكبرياء. وعاد وجه يسوع المصلوب يشرق من جديد في صرخات الشعراء التي تنشد للحرية وحشرجات الشهداء الذين تلمع عيونهم برؤية الفجر الآتي وانكسرت قيود الماضي، فقد ماتت حبة الحنطة، ولكنها أتت بسنابل الحرية وصارت خبز الحياة (راجع يوحنا ١٢: ٢٤).

القيامة هي محور التاريخ عندما تقوم الشعوب من كبوة الماضي وهزيمة العدل. وعندما يقف الظالم أمام شعب يهتف للحياة بصدور عارية، وتنطلق رصاصات القتلة من بنادق الذين كانوا في خدمة الأمن، فصاروا كهنة السلطان وحراس الاعتداء .. يتغير كل شيء:

* يصبح الضعيف صاحب حق، فقد سقط قناع السلطان.
* يفقد القوي قوته، فقد ظهرت تحت القناع أنياب التسلط.

* وعندما تهجم الذئاب على الحملان ويشبع الذئب من لحم الحمل، فإنه يفر هاربًا من الميدان، فقد عرف الكل أنه ذئبٌ يطارده الخجل، وتمسك به مصيدة الكذب التي سبق ووضعها في طريق التقدم بكل حذر وحنكة، ولكنها تمسك به لأنه لم يصدق أن هذه المصيدة سوف تقيِّده هو وتشهر علانية افتراسه.

الموت يسبق القيامة ولا عبور إلاَّ بالموت. هذا هو فصح مصر في عام ٢٠١١ والذين فاتهم قطار الاحتفال بالفصح لأنهم خدام السلطان، سوف يمر قطار الحرية والتقدم أمام أبوابهم ولن يركبوا القطار؛ لأنهم لا زالوا في قصور العصر الوسيط نائمون على وسائد السلطان الكهنوتي المزيَّف، والذي يكشف عورة الجهل التي ستروها بثياب ملونة وصلبان مزركشة .. والالتفاف حول الصليب والمصلوب، هو قصةٌ تعاد في كل عصر. ولم يكن عبثًا أن قال يسوع: "ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر (الزمان)" (متى ٢٨: ١٩) فهو معنا يرى قصته في ميدان التحرير، وفي قلب كنائسنا، تعاد من آن لآخر لكي تتم القيامة لأن "الجلوس في الظلمة" أشرق عليهم نور الحياة.

* مَن ذاق قوة القيامة لا يخاف من الشهادة، ولكن لا نذوق هذه القوة إلاَّ عندما نشهد.
* مَن يؤمن بالقيامة يعرف قوة المحبة ولا يُستعبد للبغضة؛ لأن القيامة كما قال النزينزي: "المسيح قام لنقبل بعضنا البعض" فقد سقطت العداوة تحت قدمي الحي، سمرت رجليه، فداس عليها، وثقبت يديه، ولكنه مد يديه بالسلام.
* مَن ينشد المسيح قام لا يعرف المداهنة ولا يقبل النفاق؛ لأن الحق حي وهو شخص السيد، سيد الحق ومعلم الحق الذي نتبعه.
* مَن يسير في موكب نصرته (كولوسي ٢ : ١٦) يحب جسده؛ لأنه مثل الروح أو النفس دُعي لحياة خالدة في ملكوت "الحي إلى أبد الآبدين".
* لقد سار المسيح في شوارعنا عندما انطلقت صرخات الحرية وعندما سقط الشهداء، فأعاد الشباب كتابة صفحات من إنجيل يسوع ذلك الذي نقرأه ليس على ورق بل في لحم ودم .. فلم يكن إنجيل يسوع في أي يوم

كتابًا يُقرأ، بل في حياة متجسدة تضاف إليها سطور وفصول، أُضيفت في الإسكندرية، أنصنا، أنطاكية، القسطنطينية، روما، ميلان والبراري في فلسطين ومصر، وعلى قلوب الفلاحين في إسنا وعلى حِجر الأم دولاجي، وبفارس الشهادة مار جرجس وغيره من فرسان يسوع مينا، بقطر، ارمانيوس، والسطور باقية تنتظر من يملأها بحياة المتجسد بعد أن أضاف إليها مينا المتوحد ومتى المسكين، وصموئيل الأسقف والشهيد، وباقي الخورس .. تلوح سمات وجوههم في آفاق الحياة الآتية.

قيامة سعيدة لمصر ولكنيسة مصر أم الشهداء

القيامة، شركةُ حياةٍ لا تنتهي(٨)

الكنيسة جسد المسيح، جسدٌ واحدٌ، جسدٌ حيٌ أيضًا، فلا موت في المسيح؛ لأن الموت قد أُبيد. "بالموت الذي ماته على الصليب داس الموت"، تلك صرخة الكنيسة الجامعة عبر العصور، فقد "أبطل عزَّ الموت"، وعزُّ الموت هو نهاية سلطانه. أمَّا بقاء الإنسانية تحت سطوة الموت، فهو نهاية كل شيء في حياتنا، نهاية التاريخ، ونهاية التقدم البشري، كل شيء يعود الى التراب ويظل رهينة التراب تحت سلطان الفساد، ولكن الرب أحيانا معه (أفسس ٢: ٥ –كولوسي ٢: ١٣).

يأتي هذا العيد بعد رحيل الأنبا شنودة إلى العالم الذي لا موت فيه، والذي تحيا فيه نفوس الراقدين – أي الذين استراحوا من أوجاع الجسد – بقوة الحياة، قوة الروح القدس "مسحة الحياة" (تك ٢: ٧ مز ١٠٤: ٣٠)، تلك التي جاءت من رب الحياة بعد قيامته؛ لأنه نفخ وقال: "اقبلوا الروح القدس" (يوحنا ٢٠: ٢٢). هذه النفخة نأخذها في المعمودية المقدسة – حسب طقسنا – لأن روح الحياة قد أُعيد إلينا بيسوع، وبه أخذنا ما سبق وأُعطى في الخلق الأول عندما نفخ الله نسمة حياة في آدم (تك ٢: ٧). بهذه النسمة تحيا نفوس المؤمنين بعد أن تُفارق الجسد؛ لأن الهواء ليس هو سبب حياة النفس، بل هو سبب حياة الجسد، لكن في الدهر الجديد – دهر يسوع – الحياة ليست من طعام الأرض ولا اللُّباس من ترابها، ولكن نحن الذين "لبسنا الرب يسوع" (غلا ٣: ٧)، أي الحياة الجديدة التي وُهِبَت لنا في المسيح، لا نجزع من مفارقة الجسد لأنه وديعة لدى الروح القدس الذي وضع على كل عضو ختم يسوع في مسحة الميرون الإلهية.

المسيح هو رأس الجسد، رأس الكنيسة؛ لأن البشر يرحلون ويأتي بعدهم الذين يولدون لحياة جديدة يكملها الرب يسوع بالخلق الجديد الذي لا يُخلق بارادة

(٨) رسالة عيد القيامة، مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٤ إبريل ٢٠١٢.

الإنسان، ولا حتى الايمان هو الذي يخلقه، ولكنه يُخلق في المسيح؛ لأننا لا نلد أنفسنا، ولكن نولد من الله، ليست ولادة من هذه الخليقة = اللحم والدم، ولا بقوة إنسانية، أو إرادة بشر، ولا هي ثمرة زواج (راجع بدقة يوحنا ١: ١٣).

الحياة التي خُلقت بالروح القدس في أحشاء القديسة مريم عندما حبلت بحلول الروح القدس عليها (لوقا ١: ٣٥)، فقوة "العلي"، وهي هنا إشارة إلى "إيل عيلون" إله الكون الذي يعبده الساميون جميعًا بما فيهم اليهود، إله الكل؛ لأن المسيح يسوع وهو "ابن الله"، أخذ بداية حياته الانسانية من نسل ابراهيم قبل استعلانات "يهوه"[٩]، ولذلك لم يكن غريبًا أن يأتي شاول الطرسوسي الفريسي من سبط بنيامين ليرد خبر الايمان إلى إبراهيم لا إلى موسى؛ لأن الوعد سبق الشريعة وسبقت النعمةُ الشريعةَ، أي نعمة الخلق من العدم (راجع أثناسيوس العظيم: تجسد الكلمة ٣: ٣)، فكل شيء يجب أن يعود كما كان قبل دخول الخطية والموت إلى العالم (رو ٥: ١٢). هكذا جاء آدم الجديد أو الأخير لكي يحول الناسوت من أصله العرقي: "يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم" (متى ١: ١) إلى أصلٍ غير عرقي، إلى الله نفسه الذي لا نَسَبَ جسدانيًا له ولا هو بشر ينتمي إلى قبيلة أو سبط، فهو الخالق. وقد استوعب تلميذ الرب هذه الحقيقة، فقال إن الناسوت المأخوذ من مريم قد مات، وبموته "أي بموت جسده" أبطل ناموس الوصايا في الفرائض" (أفسس ٢: ١٥)؛ لكي بموته تنتهي كل وشائج الأعراق والأسباط والانتماءات العرقية، "ويخلق الاثنين (اليهود والأمم) في ذاته انسان جديدًا واحدًا صانعًا سلامًا ويصالح الاثنين (اليهود والأمم) في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلًا العداوة به" (أفسس ٢: ١٥ – ١٦).

على هذا الأساس، أي الخلق الجديد، نشأت "الكنيسة الجامعة" التي لا تعرف إلاَّ الذين وُلدوا من الماء والروح في حميم الميلاد الجديد أو الثاني الذي ينزع كل الانتماءات الاجتماعية والطبقية. بهذا تعلو الحياة الجديدة على كل مقاييس ومعايير وأنظمة البشر، حياة حرة نهضت في يسوع من أوجاع الصراعات المذهبية وتفاسير

---

(٩) "فقال موسى لله ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم. فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم. فقال الله لموسى أَهيَه الذي أَهيَه" (خر ٣: ١٤)، "ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم واسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء. وأمَّا باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم" (خر ٦: ٢)

الناموس أو الشريعة ليقول هو بنفسه للسامرية: "يا امرأة صدقيني إنه ليس في أورشليم (حيث الهيكل) الموضع الذي تجب فيه العبادة" أو ينبغي فيه السجود للآب، وعندما نطق اسم الآب (راجع يوحنا ٤: ٢١)، فتح أحضان الآب — التي هو فيها كائنٌ أزليًا (يوحنا ١: ١٨) — للكل، ونزع عن العهد القديم كل شبهة صهيونية، فلا سجود — بعد يسوع — في أورشليم، ولا "في هذا الجبل — جبل جرزيم — معقل السامريين" (يوحنا ٤: ٢١). صحيحٌ أن الخلاص هو من اليهود (يوحنا ٤: ٢٢)، ولكن كما أكمل السيد كلامه: "ولكن تأتي ساعة وهي الآن — لأن الخلاص الذي من اليهود هو مجيء المخلِّص — حيث الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح أي بالروح القدس، والحق، أي في يسوع لأنه هو الذي قال أنا الحق (راجع يوحنا ٤: ٢٣).

هكذا اخترقت القيامة كل الفواصل التي وضعها الإنسان، لأنها قوة الله للخلاص، وفتحت حياة البشر على الخلود، الذي ليس هو مجرد البقاء الأبدي، بل الخلود في الله؛ لأن الرب قال بفمه الإلهي: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك" (يوحنا ١٧: ١)، والمعرفة المقصودة هنا هي معرفة الشركة؛ لأن المعرفة الاستدلالية قد سقطت أمام قوة القيامة، فالرب بعد قيامته يُستعلَن. وقد حرصت الأناجيل الأربعة على استخدام فعلٍ خاص بالقيامة، وهو الفعل "ظهر" (ظهر أولًا لمريم المجدلية (مر ١٦: ٦) — ظهر بهيئة أخرى لاثنين (مر ١٦: ١٢) — أخيرًا ظهر للأحد عشر (مر ١٦: ١٤) — وبعد ذلك أظهر يسوع نفسه (يو ٢١: ١).

ولما لم يكن تلميذي عمواس قد ذاقا قوة الكلمة؛ "أُمسِكَت أعينهما عن معرفته" (لوقا ٢٤: ١٦)[١٠]. ولكن محب البشر لم يترك هذين في ظلام الجهل، فقد فتح أعينهما وعرفاه عند كسر الخبز، أي عند الشركة (لوقا ٢٤: ٢٩ — ٣١)، فالقيامة لا تُدرك بالعقل ولا بالبحث؛ لأن شاول الذي حارب القيامة، سقطت كل جهوده عندما ظهر له الرب على طريق دمشق وهو ذاهب لكي يقتل المؤمنين، ولكنه بقوة القيامة صار شعلة نار الشهادة.

(١٠) عندما قال لوقا إن واحدًا من هذين اسمه كليوباس (لوقا ٢٤: ١٨)؛ أدرك شراح الإنجيل أن الثاني هو لوقا نفسه، ولذلك أخفى اسمه.

الكنيسة لديها ينبوع القيامة:

رحل الأنبا شنودة بعد معاناة طويلة مع المرض، ورقد في الرب واستراح، ولكن الكنيسة باقية. وبالرغم من ذلك أكاد ألمح الجدل الواسع والعريض، فمازلنا نسير على طريق تلميذي عمواس، نريد أن نضع الكنيسة في قبضة الماضي، أقصد لائحة ١٩٥٧ ولا نريد الجديد الذي هو حسب قوة القيامة، لا نريد أن نفتح الحياة الكنيسة على ما هو أصلح وأنفع، ولا نزال نخلط بين القداسة والإدارة الكنسية. كان الأنبا كيرلس السادس قديسًا، ولكنه لم يترك لنا إدارة كنسية خاصة بالمستقبل، أي نظامًا كنسيًا — دستورًا يحدد صلاحيات الأساقفة .. عيبٌ عظيم أن يظل شخصٌ واحدٌ في سكرتارية المجمع المقدس ٢٥ عامًا كأن المجمع قد أصابه العقم، وعيبٌ أيضًا أن نتمسك بإدارة الأنبا شنودة كما هي دون أي اعتبار لتغييرات الزمن.

لقد دخلت مصر إلى المستقبل من باب ثورة ٢٥ يناير، وسوف تسير مهما كانت الصعوبات، هي تبحث عن مكان تضع فيه أقدامها. دستور جديد — برلمان جديد؛ لأن الهتاف لم يكن لمجرد إسقاط نظام سابق، بل كان للحرية التي لا يمكن أن تجد الهواء النقي في العودة إلى الخلف والتمسك بنظام فاشل، فلماذا تظل الكنيسة حبيسة الماضي؟

البابا الـ ١١٨:

البابا الـ ١١٨ يجب أن يكون رجلا يعرف تراث الكنيسة، درس اللاهوت، له مؤلفات أو دراسات تشهد له بذلك، له خبرة كنسية في الإدارة[١١].

ولعلنا نلاحظ أننا لم نشهد أي حراك للمجلس الملي طوال ٤١ سنة، وطوال ٤١ سنة لم نحاول الاقتراب من لائحة انتخاب البابا، حتى بعد أن لاح في الأفق مرض الأنبا شنودة .. ولذلك فالصوت الذي يقول إن لائحة ١٩٥٧ جاءت بالبابا كيرلس السادس ثم بالبابا شنودة هو صوتٌ ينطق بمقولةٍ ينقصها الحق، إذ أن كلاهما

(١١) في حرب اليمن كان لدينا مليون مصري مجندين دخلوا حرب اليمن، وتلى ذلك حرب ٦٧ وبعدها خرج علينا الأستاذ هيكل ليقول إن القيادات العسكرية في ٦٧ لم تدرس أيًا من علوم الإدارة .. هذه شهادته هو، وهو كان قريبًا جدًا من معلومات الأمن الوطني.

لم يترك لنا إدارة كنسية يشترك فيها الأساقفة والشعب في وضع قواعد للعضوية الكنسية، وفي تكوين هيئة للتعليم ترقى إلى مستوى جامعات مصر، لا بما وصلت اليه الإكليريكية التي كان فيها ٢٥ استاذًا جامعيًا وانتهت بعد ٤١ عامًا إلى الوضع الحالي المؤسف .. لقد تعلمت اللغة القبطية في جامعة كامبريدج على يد أستاذ انجليزي درست معه العهد الجديد القبطي، وهو ما لم يكن ولا يزال غير موجود في الإكليريكية .. هل يوجد نقص وعيب أكبر من هذا؟

نريد قيامةً لكنيسة لا تضع خيارها في يد طفل، فهذه بمثابة نكتة مُرة لها مرارة الحنظل؛ لأن من ينال أكثر الأصوات لا يدخل بعد ذلك في سباق مع من نال أقل الأصوات، نحن هنا نجرِّب الرب نفسه؛ لأننا قد تركنا حرية الاختيار في إدارة عهدين نجح كلاهما في أشياء حسنة، ولكنه أخفق وفشل في ترتيب أوضاع البيت القبطي من الداخل.

لقد ترك المسيح ربنا الأكفان، وعلينا أن نترك تلك اللوائح المهلهلة كلها، وأن نبحث عن الأفضل. نريد من كل مَن يرشح نفسه أن يقدم صورةً كاملةً لما يجب أن تكون عليه الكنيسة في الـ ٢٠ عامًا القادمة. نعم مشروعًا يتناول: القانون الكنسي – المجمع المقدس – الكلية الإكليريكية ومعاهدها – معهد الدراسات القبطية – التربية الكنسية – نظام مالي وميزانية عامة للمشروعات الكنسية العامة التي تمس حياة الإيبارشيات – دستور خاص بالرهبنة والحياة الرهبانية – قانون ينظم علاقة المجلس الملي العام بالمجمع المقدس...إلى آخر كل ذلك من مطالب ملحة.

وأن نترك هذا للبطريرك القادم وحده، لهو جريمة نكراء في حقه وحق الأجيال الآتية؛ لأنه يجب أن يدخل كل مرشح بوثيقة عمل للمستقبل، وإلاَّ فالعودة للائحة ١٩٥٧ هي وضع الكنيسة في أكفان الماضي، تلك التي تركها المسيح في القبر.

لا يجب أن نتشبه بالمريمات، اللواتي حملن الحنوط لتكفين من مات، بل لنقف مع رئيس الملائكة ميخائيل قائلين إن الحجر قد دُحرج والرب قد قام لحياةٍ جديدةٍ.

إن مستقبل الكنيسة هو في إدارة كنسية تجمع قوى الآباء والأساقفة والكهنة والشعب من أجل ما يليق بمستقبل القبط في مصر أيًا كان عددهم، لا من أجل البقاء

في إطار قديم فاشل؛ لأن عجلة الحياة تدور، وثورة مصر قد أشعلت النار في قلوب الشباب، وعلى أساقفتنا إدراك هذه الحقيقة الجديدة الوافدة من شريان حياة مصر.

المسيح قام. حقًّا قام.

قيــامــةُ الحيـــــاة(١٢)

"المسيحُ قَامَ" .. كلمتان. لقبٌ وفعل. لقبُ الوظيفةِ التي أخذها من الآب، وفعلٌ ثالوثيٌّ استُعلِنَت فيه الحياة.

حياةٌ لم تعرف الموت، جاءت إلى جسد الموت. النورُ أشرق في ظلمة الدهور التي جلبها آدم الأول، الذي أَسَرَ الحياة للقبر، ورصد الفساد للكون، وأخضع الخليقة للبُطل (رو ٨: ٢٠).

مِن رَحِمِ حواء نزل الكلُّ إلى القبور، ومن الأرض، من ترابها أكلنا ثماراً تُرابيةً تَفسَدُ، تعود إلى أصلها، فليس الجسدُ وحده مِن ترابٍ وإلى التراب يعود، بل أيضاً ما التصق بالجسد يبلى معه؛ لأنه "من ترابٍ وإلى التراب يعود". هكذا يقف الترابيون -معاً- عند حافة القبور؛ لأن "شوكة الموت" (١كو ١٥: ٥٦) غاصت، ليس فقط في الجسد، بل في الروح أيضاً؛ لأن شوكة الموت هي الخطية (١كو ١٥: ٥٦) وشوكة الخطية هي الشريعة (١كو ١٥: ٥٦).

ذلك كان هو الليل الداهم الطويل الذي لَمَعت فيه أنوار النبوة، وأشرقت فيه ملامحُ الرجاء الآتي على وجوه وشفاه البطاركة والملوك والأنبياء، حتى السابق الصابغ الشهيد الذي سجد لمن جاء ببشارة الحياة.

* * *

أَشرَقْتَ بالحياة طفلاً؛ لأنك خالق الأطفال. ووُلِدتَ في حقارة البشَرِ؛ لأنك لا تحتاج إلى كرامةِ وشرفِ ومجدِ البشر .. ماذا يمكن للترابيين أن يقدموا لك؟

أَخَذتَ من البتول جسداً مثل أجسادنا؛ لأنك أحببت الخطاةَ والمساكين

(١٢) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٤ مايو ٢٠١٣.

والمكسورين والضعفاء .. لم تكُن تسعى لِمَا اخترعه البشر من ألقابٍ، ومن كرامةٍ، ومن حياةٍ ترفٍ براقةٍ تخفي تحتها الفناءَ؛ لأن الفناءَ هو انهيارُ ما يُبنى بأيدي الهالكين، وضياع صورته، وانحلال قوامه، وانقطاع تواصله مع ما هو كائن.

لكنك جئتَ بالحياة لكي تدوسَ موتَ الولادةِ، ووُلِدتَ؛ لكي تحاصرَ وجودنا المحدود بالزمان، بالبدء وبالنهاية، فترفعَ البدءَ إلى بدءٍ جديدٍ تُجَرِّدُ فيه زمانَنا لكي يرى بذرةَ الحياةِ وقد عادت إلى الكلمة، إلى بارئها، ليس بنطقِ "ليكن" (تك ١: ٣)، بل بمحبةِ الاتحاد: "القدوس المولود منك يُدعى ابن الله" (لوقا ١: ٣٢).

لقد جاء الفجرُ وأشرق "شمسُ البر" وفي جناحيه الشفاءُ (راجع ملا ٤: ٢).

* * *

الكُلِّيُ الحكمةَ يقبلُ جهلَ الإنسانِ، ليقولَ الحقَ عندما يُسأل عن اليوم والساعة، فإذ هو لا يعرف (مرقس ١٣: ٣١). هو لا يعرف؛ لأننا نظنُ أنه لا يجبَ أن يبوحَ بالسرِّ، وهذا جيدٌ.

هو لا يعرف؛ لأنه نَظَرَ بعيني آدم وبوجدانه إلى آفاق الوجود، فلم يستطع أن يرى، وهذا بدوره جيدٌ.

كان يعرفُ دورةَ الوجودِ ونهايةَ الأزمنةِ كلِّها، فهو الخالق الذي شاء فخَلَقَ الكلَّ من العدم ورَسَمَ نهايةَ الوجود .. لكن ما أبعد الفرق بين وجودٍ رُسِمَ حسب عناية الخالق، ووجودٍ تزامنت نهايتُه مع فشل آدم في أن يكون إلهَ هذا الكون (مزمور ٨: ٥).

فغرقَ الكونُ في ظلام الموت، ظلامُ نهايةٍ لا يعرفها الخالق؛ لأنه لم يخلقها، فهو يعرف ما يخلق، ولكن تلك النهايةَ الفاشلةَ، نهايةٌ وفناءٌ لا علاقة له بالخالق. لم يؤسِّسُ الخالقُ الفناءَ، بل أسَّس الحياةَ .. وهذا جيدٌ.

لكن عندما تسمعُ سؤالَ البشرِ عن نهاية الزمان، فالمعرفة الاختبارية الذوَّاقة النابعةُ من الكيان الإنساني الذي لا يعرف، هي إجابةُ الحقِّ، وهي بدورها لا تنتقصُ من قَدْرِ الألوهةِ؛ لأن الكاملَ أخذ ما هو ناقصٌ .. ووَضَعَ نفسَه داخل حدود الكيان الذي لا يمكنه أن يرى، فقال إنَّ ابن الانسان لا يعرف (مرقس ١٣: ٣١)،

ولكن الآبَ يعرفُ ... لم ينقسم الثالوث، ولا مَسَّ الجهلُ جوهرَ اللاهوت، ولكن جاء الكُلِّيُّ المعرفةَ إلى جهل الإنسان؛ لكي يفدي ذلك الجهل (راجع أثناسيوس العظيم، المقالة الثالثة ضد الأريوسيين: ٣٤ – ٣٥). لقد أخذ الجهلَ، ونطقَ بالجهلِ، كما سأل عن مكان الدفن في يوم السبت (سبت لعازر) الذي سبقَ السبت الكبير (سبت القيامة).

مع الجاهلين باليوم والساعة، خَضِّعْ نفسَكَ كواحد منهم؛ لأنك سترفع بصرَ آدم الجديد؛ لكي يرى اليوم والساعة عندما يمر من ظلام القبر إلى نور الحياة.

مَن الذي يمكنه أن يدركَ كيف تحوَّلَ في ثنايا الوجود الإنساني في ثوبِ كياننا الذي خَرَقَه الموتُ، وطبعَ فيه رقعةً للجهلِ، ورقعةً للموت، وأخرى للفساد، ورابعةَ للمرض، وخامسةً للضعف، وسادسةً للقُبح، وسابعةً للذل والعبودية. لقد اكتمل نصابُ الرُّقَعِ؛ لأن الثوبَ القديم يجب أن يُنسجَ من جديدٍ، ويلبَسُ الحياةَ والمجدَ والمعرفةَ والخلودَ والشركةَ وعزةَ الألوهةِ.

* * *

على أنَّ القديمُ الآتي من آدم الأول لم يكن ثوباً بالياً يُلقىَ به في العدم، بل على نُول "نسَّاج" الروح، خالق الحياة الرب المحيي يُنسَجُ من جديدٍ. ذات الخيوط القديمة، تنال صبغة الروح القدس؛ لكي يرفع الروحُ قِدَمَ الحياةِ ويعطي لها "لُحْمَةً" جديدةً باغتسالها في مياه الأردن؛ ولذلك لم يتعرف عليها العدو القديم؛ فسأل في دهشةٍ: "إن كنتَ أنت ابن الله، هل كنتَ في زمانٍ سابقٍ ابناً لله، أم في زمانٍ آتٍ، أم أنك آخرٌ آتٍ؟ إن كنت ... إن كنتَ ... ولكنك لا تُشرِكُ الخبيثَ في سِرِّكَ، ولا تبوحَ بهويَّتِكَ إلَّا لمنْ يُحِبُّكَ ولا تجيبَ عن باطلٍ يلبَسُ ثوبَ معرفةٍ، وإلَّا لأمكن للباطلِ أن يجرح –بزيفِ المعرفةِ– وجهَ الحق.. وهكذا تركت الخبيثَ يفكر حسب جُبنه؛ لأنه لا حقَّ له عندك يلتمسُ فيه إجابةً.

* * *

من البريَّةِ عَدتَ ناصعاً ببريق الظَفَرِ، وهكذا حوَّلت الماء خمراً في عُرسٍ (يوحنا ٢: ١١)؛ لأنك تفرح بالزواج، فهو رسمُ اتحادك بالعروس الكنيسة (أفسس ٥: ٣٢).

وصرت تطوفُ تشفي وتطرد الأرواح النجسة وتحرر البشرَ من القيود، قيود الكراهية والعبودية للحرف في بيت سمعان الفريسي. فقد جَلَبَ مَن يحفظ الشريعةَ زانيةً لكي يمتحن نزاهتك وطهارتك. ولكن الزانية قبَّلت رجليك، ولمحت فيك طهارةً لم ترها في رجالها الذين يشترون جسدها. سكبت دموع روحها مثل دموع العينين.

يعلمُ التائبون إنَّ دموعَ الروحِ هي قطراتُ، بل طوفانُ أهاتِ الندم على خسارةٍ حَلَّت، ودمارِ جمالٍ أفسده الشوقُ للاتحاد الجسداني، وهو وهمٌ عريضٌ، وعطبٌ يقفرُ الروحَ من جمالها ويجرح براءة الضمير ... هكذا بَكَتْ .. ومسحت بشعر رأسها قَدَمي البريء الذي لم يكن في قلبه ثمةُ شهوةٍ ... فَسَرَتْ من قلبه الحُرِّ نسمةُ حريةٍ رَفَعَتْ بؤسَ وشقاءَ الزنى ...

* * *

امتحان العهد الجديد لا فضل فيه للفريسيين، فقد أمسكوا بزانيةٍ وجاءوا بها إلى يسوع في تحدٍّ ونشوةِ ظَفَرٍ ... شريعتُنا تحكم بالرجم، فماذا تقول أنت؟ لو قال: لا، لَهَجَمَ عليه حافِظو حرفَ الشريعةِ ومخالفو روحَها في قلوبهم حيث صراع الشريعة مع الشهوات .. ولكنه طَلَبَ الأبرياءَ بينهم، وجلس يكتب .. قال البعض إنه جلس يكتب أسماء الزناة بينهم. وقال آخرون، بل اسم الرجل الزاني، وقال ثالثٌ، بل الخطايا المستترة بما فيها كسر وصية السبت .. وفي النهاية خاف الكلُّ وهربوا .. لو كان يسوع قد حكم بالرجم على تلك المرأة، لَسَقَطَ العهدُ الجديدُ برمته تحت وطأة الشريعة.

* * *

عندما جاء المخلص إلى مخاضِ الموتِ، قال للآب: "مجِّدني أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل خلق العالم" (يوحنا ١٧: ٥)، وسَمِع صوتُ الآب: "مجَّدتُ وسوف أمجِّدُ أيضاً" (يوحنا ١٢: ٢٨). تلك ومضاتٌ رأى فيها الربُّ نهاية العالم، ليس العالم المخلوق حسب إرادة الله، بل العالم الذي زَيَّفَه الانسانُ، أي "ممالك العالم" (لوقا ٤: ٥) تلك التي وُضِعَتْ تحت وطأة رئيس العالم (يوحنا ١٦: ١١) الآن سيأتي .. وليس له في كيان يسوع شيء، فقد "مُجِّدَ" يسوعُ بالمجد الذي كان له قبل

خلق العالم، ورأى الحروبَ، وسقوطَ اورشليم والمجاعات والأوبئة .. ثم المنتهى .. رأى اليوم قبل مخاض الموت وعاين ساعة "دينونة العالم" (يوحنا ١٦: ١١) قبل أن يُصلب: الآن يُطرح رئيس هذا العالم من على كرسي قوته؛ لأن يسوعَ سوف يموت لكي تنقضِ مملكةُ الموت.

* * *

عند الإقرانيون صلبوا الرب .. وحسب تراثنا الآرامي القديم كانت جمجمة آدم في ذلك المكان .. وحيث توجد أيةُ جمجمةٍ آدميةٍ، يوجَد الإقرانيون.

* * *

يقول اثناسيوس العظيم إنَّ الرب يسوع هو "رب الموت" (ضد الأريوسيين ٢: ١٤) وهو حتماً ربُّ الحياة. فكيف ساد ربُّ الحياةِ على الموت؟

باللفظ يظل الفساد فينا.

لكنه قَبِلَ في جسده موتنا نحن وليس موته هو، فهو لم يخطئ ولا وُجِدَ في فمه غشٌ (١ بطرس ٢: ٢٢)، ولكننا نحن وهو حياةٌ واحدة، بشريةٌ واحدة. رأسٌ حُرٌّ وأعضاءٌ مقيَّدة، كرمةٌ تحمل في جذرها الحياة، وتمد ساقها نحو البراعم ... ربُّ الحياة بالحياةِ اقتنص الموتَ، فقد أخَذَ الموتَ في جسده، ذلك الجسد الذي كُوِّن بروح الحياة لكي يغلب الموت .. يسود على الموت؛ لأن الإنسان هو الذي جَلَبَ الموتَ على كيانه .. بالخطية دخل الموت إلى العالم (رو ٥: ١٢). ولم يكن الله هو خالق الخطية، بل الشيطان والإنسان. استدار الإنسان نحو كيانٍ خُلِقَ من العدم، فوجد العدم ... دخل فيه خوف الموت (القديس اثناسيوس، الرسالة إلى الوثنيين ٣: ١٤)، ومع رعدة الموت سعى نحو الخلود في الكون، وفي الجسد، وفي الأنظمة والكيانات التي يخلقها؛ لكي تحل محل الله، ولكي تملأ فراغ الوجود الذي ملأه الإنسان بالأوثان، الذي بعد أنْ ضَلَّ الطريق إلى الله، طَلَبَ الحياةَ من كيانه، فوجد الموتَ؛ لأن الكيان الإنساني ليس ذاتي الحياة. وَجَدَ الموتَ، وجاء يسوع إلى موت الإنسانية لكي يحوِّلَه إلى أداةِ تجديدٍ، فقد جَدَّدَ الموت، إذ حوَّله إلى معولٍ يهدم الإنسان القديم؛ لكي يبني يسوعُ الإنسانَ الجديد، لذلك صُلِبَ .. مسامير تثبيت الصليب في المصلوب،

هي مساميرٌ يقدِّمُها الإنسانُ صانعُ الموتَ وجابلَه بالخطية لكي يقدِّمَ يسوعُ الحياةَ .. يقبلُ الموتَ من ايدي البشر لكي يعطي للبشر الحياة .. هو ربُّ الأحياء، وهو ربُّ الأموات الذين نزل إليهم في ظلام الجحيم فسبى الأسرى.

* * *

قامت الحياةُ بالميلاد من البتول، عندما صار الكلمةُ بدءَ الوجود الجديد.

قامت الحياةُ بمسحة الروح، عندما أعاد يسوعُ الروحَ للإنسانية كَمِسحَةٍ أبدية.

قامت الحياةُ، عندما صُلِبَ فقد نزع الصليبُ الموتَ من جسده؛ لأنه جعل الصليبَ علامةَ ظَفَرٍ، ومَزَجَ الصليبَ بكيانه، إذ حَفِظَ الجروحَ التي جَرَحَه بها الأحباء (راجع زكريا ١٣: ٦) حتى بعد قيامته. وهكذا يبقى جُرحُ الأحباء شاهدَ غفرانٍ لا حُكم ولا قاضٍ على عدوان البشر، بل استعلانُ محبةٍ حيث البغضة، واستعلانُ رفقٍ حيث العناد، واستعلانُ رأفةٍ في مواجهةٍ تَصلِبُ العداوةَ؛ لأن هدير المحبة يفوق كل صرخات الذنوب.

* * *

تحوَّل بعد القيامة يفتش عن الشهود .. كل هؤلاء الشهود كانوا في رعبٍ من اليهود ... كليوباس ولوقا الثاني الذي أحجم عن الافصاح عن اسمه، كانا يسيران في طريق منفرد نحو قرية عمواس (هدمها الاحتلال الاسرائيلي بعد ١٩٦٧)، ولكن أعينهما "أُمسِكَت" لم تعرفا الرب .. مثالٌ لكل من يريد أن يعرفه كإنسان فقط، فلا يعرفه حتى كإنسان.

وبين "إمساك" العينين و"انفتاح العينين" يقع تاريخ الخلاص.

لقد "انفتحت عيني حواء على شجرة معرفة الخير والشر" ورأت أنَّ الشجرةَ "شهيةٌ للعيون"، وسقطت بالرؤيا في رِدَّةٍ نحو الذات، اختيار الذات ***self*** بدون الله .. شركةُ الذاتِ في الذات ليست سوى الموت ... لكن التلميذين بعد أن سَمِعا التعليم، أخَذَ الحَيُّ الخبزَ وشَكَرَ وناولهما ... وانفتحت أعينهما وعرفا أنه الرب (لوقا ٢٤: ٣١). قبل ذلك كان القلبُ ملتهباً" فقد لَمَسَ لهيبُ "الروح القدس" قلبَي كليوباس ولوقا، ولكن الروح القدس لا يُلهب القلب ويشعله فقط، ولا هو يُعيد

الذاتَ إلى الذاتِ، بل يقود إلى سِرِّ المسيح، إلى انفتاح العينين على رؤية الحي إلى الأبد.

* * *

قديماً رأى أشعياء الربَّ في الهيكل. أمَّا في العهد الجديد، فكان الربُّ واقفاً على شاطئ بحيرة طبرية ... في العهد القديم قدَّم الشاروبيم "جمرة نار" ولمس شفتي إشعياء. ولكن عندما عرف بطرس أنَّ الواقف على شاطئ البحيرة هو الرب، وَجَدَ بطرسُ جمرةَ نارٍ (هي نفس الكلمة في إشعياء ٦ ويوحنا ***anthraka***) ولكن الجمرةَ -على شاطئ البحيرة- أعطت سمكاً مشوياً لبطرس ليأكلَ، ولكي يعترف بأنه يحب الرب؛ لأن المحبة "تستر كثرة من الخطايا"، ونزع عنه إثم الارتداد بالمحبة، وسمع قول الرب "اتبعني" (يوحنا ٢١: ١٩) إلى الحياة وإلى القيامة.

* * *

لم يكن هو وحده مثالَ الشَّكِ. قال مكسيموس المعترف إن الشَّكَ جيدٌ، إذا ظلَّ سؤالاً، ولكنه يصبح شراً إذا تحول إلى جوابٍ نهائي، وتوقف عن كونه سؤالاً .. كان الكل يَشكُ في القيامة .. وحسب الشريعةِ، كان توما شاهداً، والشاهدُ لابد وأن يكون شاهد عيان لا مجردَ "ناقلٍ". لو قال أنا سمعت أنه قام ولكنني لم أرَه، لَما عنت شهادته شيئاً .. ولكن الرؤيا .. رؤية الحيِّ كانت هي الشهادة .. وشهد توماً.

* * *

هل تعجَّب القارئ عندما قرأ أن ملاكين جلسا واحدٌ عند قدمي يسوع، والثاني عند الرأس .. (يوحنا ٢٠: ١٢)؟ كلاهما شاهدٌ، وعلى فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة .. والرأس والقدمين هما معاً بداية ونهاية الجسد ... الجسد كله قام ... قيامة حقيقية.

أخبرنا ايسيذوروس أسقف بليوسيوم إن وجود شمعتين على المذبح هما شهادة السمائيين على قيامة الرب، فقد جاء الحي ووحَّد الكل تحت رأسٍ واحدٍ (أفسس ١: ٢٢)، رأسٌ منه تولد كل الأعضاء الحياة حسب التسليم الرسولي (كولوسي ٢٠: ١٩).

* * *

"بالضعف داس الربُّ القويَّ الذي غلب جنس البشر"، أي الموت. هكذا كانت كنيسة أورشليم ترتِّل في القرن الرابع والخامس، وكانت تضيف أيضاً: "بالشجرة التي أسقطت آدم .. جاءت شجرة الصليب وأعادت إلينا الحياة بالربِّ الحي والمحيي" "لنعظِّمَ الذي أدان الدينونة" وحَكَمَ على كل صور الدينونةِ؛ لأن "الرحمة تفتخر على الحكم" (يعقوب ٢: ١٣).

كان قبولُ الموتِ ضعفاً لا زال يحير الأذكياء السكارى بالقوة، ولكن ماذا حدث؟

قَبِلَ الربُّ أن يكون "الحَمَل"، وأن يسمح "للسكين" أن "يجزَّه"، ولم "يفتح فاه"، وسِيقَ للذبح، وبذلك وصلت القوة إلى نهاية الطريق، لم يعد أمامها أكثر من ذلك .. واستهلكت القوة كل ما لديها، لكي تفرز الحياة –في هدوء– ما لديها من حياةٍ غالبة.

عندما كتب سولجنستين الأديب الروسي في قصته "الدائرة الأولى" أنه في معتقل ستالين حُرِمَ من اسمه ومن زوجته ومن كل شيء .. وامتد الحرمان إلى كل ما يمكن أن يصل إليه سلطان القهر، فقد بذلك قدرته لأنه لم يعد لديه ما يمكن أن يضيفه أو يزيده .. ولذلك قال اوغسطينوس: "جلست على قمة العالم عندما لم أعد أخاف شيئاً ولم أعد أشتهي شيئاً".

وقال لوقيانوس الصوري ذلك المؤلف المجهول في كتابه "سقوط الآلهة": "أين قوة الآلهة؟ هي في العبادة، فإذا توقَّفنا عن عبادتها، فقدت قوتها، ولكن أين قوة يسوع؟ هي في هبة الحياة، وما دُمنا أحياء، فإن قوة يسوع ستعمل فينا".

هكذا عَبَرت القيامة حاجز القوة بالضعف،

وحاجز الزمان؛ لأنها غلبت الموت،

وحاجز الكراهية؛ لأنها أعطت حياةً،

وحاجز العداوة؛ لأنها جاءت بالفداء وبالمصالحة والسلام، وزرعت المحبة التي لا تموت.

وحاجز القوميات؛ لأن يسوع هو ابن الإنسان الذي –حسب المرجعية الآرامية– هو "آدم"، السابق على كل أسماء القوميات .. ولكنه أيضاً ابن الإنسان الحي الذي بالحياة، صار رباً ومسيحاً، فقد كسب معركة الحياة بالتواضع، وغلب بالمحبة، وصار رباً وخادماً ملكاً وعبداً، وقال ها أنا حيٌّ وكنتُ ميتاً، ولكنني حيٌّ إلى أبد الأبدين، وهنا ساد على الحياة بالقيامة، وعلى الموت بالصلب؛ لأن الصليب جعله ينزل إلى الجحيم وهناك سبى الجحيم.

* * *

وما أعظم ما لدينا في التسليم الليتورجي؛ لأن "الصليب هو ختم القيامة"، والقيامة هي قوة الصليب، وحيثما يُرشَم الصليب، فإنَّ نهاية الرشم هي: "الروح القدس" روح الحياة الذي أقام يسوع، والذي سوف يقيم أجسادنا بالروح ذاته (رو ٨: ١١).

* يا يسوع الحي
* أنت حيٌّ على عرش الحياة
* لأن عرش الحياة هو عرش اللاهوت
* لا حيَّ إلَّا الغالب
* وكلُّ مَن قال حيٌّ، ولم يذق القيامة،
* فقد نَطَقَ بكلمة بلا فعل، وبلا فاعل.
* يا يسوع الحي
* محبتُك حيةٌ .. تقوم دائماً فينا
* محبةٌ لا تموت

كلُّ عامٍ وأنتم بخير

المسيح قام، بالحقيقة قام[١٣]

أيها الآباء والأمهات والأخوة والأخوات. المسيحُ قام. حقاً قام.

لقد عجزت القوة الغاشمة أن تقهر المحبة؛ لأن المحبة لا تُقهر. وعجز اللسان الذي تسلح بالقوة العسكرية أن يقتل الحرية؛ لأن الحرية لا يمكن أن تُقتل. قد تطارَد وينالها كل تطاولٍ ممكن، ولكنها تظل ثابتةً في نداء الحياة الذي لا نداء غيره يُغري الإنسان بأن يقبله ولو مات. فالحرية لم تحيا إلَّا بالدم، ولقد صدق الشاعر أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته نكبة دمشق، إذ قال:

وللحرية الحمراءِ بابٌ

بكلِّ يدٍ مضرَّجةٍ بالدماءِ يدقُّ

فلا توجد سلاسل تستطيع أن تقيد العقول. قد ترسف الشعوب في أغلال العبودية، ولكن ليل العبودية في تاريخ الشعوب قصير، فلا بُد أن ينفجر فجر الحرية ويطوح –كسيلٍ جارفٍ– بكل السدود.

لقد صُلب المسيح يسوع كمَن يدَّعي مُلكاً، وعُلِّقَ بين لصين، وحكم بيلاطس باسم الامبراطورية الرومانية –وهي أكبر قوة في ذلك الزمان– بصلبه كمجرم، أو كثائر على الامبراطورية ..

وحسب نظرة بيلاطس، مات يسوع، ولكن حسب تدبير الله، فهو أي الله، الطرف الثالث الذي لم يحسب له الغير حساب. اليهود والرومان معاً هما معاً الذين صلبوا الرب، ولكن الله هو الطرف الثالث في كل مأساة، هكذا نقرأ مراثي أرميا في يوم الصلبوت ومعها نبوات العهد القديم .. وما النبوات إلَّا ذلك الخط النبوي غير

(١٣) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٦ إبريل ٢٠١٤.

السياسي الفاقد السلطة المدنية الذي لا يعرف إلَّا سلاح الكلمة.

والنبي يرى ما لا يراه الحاكم. هو يرى الغد، بينما الحاكم يرى اليوم. السلطة ترى ما هو قائم وحادث، ولا ترى ماذا سيحدث في المستقبل. ولذلك لم تُهزَم إلَّا الشعوب التي سجنت نفسها في الماضي، ولم تندثر إمبراطوريات إلَّا تلك التي نامت على وسادة القوة.

لكن يسوع، ذلك الآتي من الجليل، يحمل في كيانه تجسيد النبوات، كان يقول إنه "لن يهلك نبي إلَّا في أورشليم"، حيث الهيكل وحيث السلطة الدينية القديمة التي فقدت النبوة، وسجنت نفسها في طقوس وعوائد موسى، وبالرغم من ذلك قال للسامرية إن السجود بالروح والحق ليس على جبل السامرة، جبل جرزيم، ولا حتى في اورشليم (يوحنا ٤: ٢١-٢٤)، بل بالروح والحق، ولذلك صُلِبَ الربُّ خارج أسوار اورشليم حيث لا تقدَّم ذبائح، ولاوجود للهيكل. صُلب خارج اورشليم؛ لأن ذبائح العهد القديم -تلك التي تقدَّم حسب الشريعة- لا علاقة لها بصلب الرب. هكذا صرخ رسول المسيح في (عب ١٠: ١-٨)، ولكن تلك الصرخة ضاعت في ظلام العودة إلى القديم، بينما هو يقول:

- "بمحرقات وذبائح للخطية لم تُسر ...

ثم

لم تُرِد ولا سُررت بها" (عب ١٠: ٦-٨).

ولاحظ -عزيزي القارئ- أن المسرة هي في الابن الوحيد: "هذا هو الذي سررت به". لقد نزع الأول العهد القديم لكي يثبِّت الجديد (عب ١٠: ٩)، ولكن ما زالت نزوة سَجن الإيمان في الماضي، في أحداث التاريخ، تراود البعض، رغم أن التاريخ صار "مسرح الإرادة الإلهية" كما قال أغسطينوس.

الرب قام أيها الأحباء، لكي لا نعود للماضي، وما هو الماضي الذي يحذِّرنا الرسول منه: "لا يكون لنا ضمير خطايا" (عب ١٠: ٢).

الغفران ليس فقط رفع عقوبة الموت، بل الغفران هو أن نترك نحن ما علينا، وأن

لا نسمع للماضي بأن يحكم الحاضر؛ لأن الماضي حكم الحاضر، فصَلَبَ البريء، وفقد القيامة. لكن الصليب صار قوةً بالقيامة. الصليبُ ليس حدثاً خاصاً بيوم الجمعة، بل هو استعلان القوة الغالبة التي ذَبحت الموت.

الفرح بالقيامة هو فرح بما هو آتٍ، أي بالمستقبل الذي نراه مستقبل الحياة الغالبة، النضوج في المحبة، وغلبة أعتى قوة مدمرة للإنسان، وهي الكراهية، وهي قوة الشيطان الذي يُوصف بأنه المهلك والمشتكي. لذلك يقول النزينزي: "المسيح قام لنقبِّل بعضنا"؛ لأن القيامة جاءت بالحياة الحرة من البغضة، فقد رفعت الدينونة، والموتُ أُبيد، والقبر فارغٌ، لا يحتوي الإنسان، بل الجسد إلى زمان القيامة، أي قيامتنا نحن في يسوع.

كل عام وأنتم بخير. خير القيامة الذي جاء مع الحي الغالب، مع يسوع رب الحياة.

قيامةُ الربِّ من القبرِ
واستعادة الوعي الأرثوذكسي بالخلاص(١٤)

لم ندرس التاريخ الكنسي بشكلٍ دقيق يتجاوز السرد ونقل الروايات والقصص. وإن كنت سمعت في الآونة الأخيرة أن أمهات كتب تاريخ المسيحية في طريقها إلى أن تترجم إلى العربية: سوزمين – سقراط – ثيؤدوريت، وهم أعمدة التاريخ لأنهم مؤرخو التاريخ. وأتمنى نشر طبعة في متناول القارئ القبطي لكتاب تاريخ البطاركة بعد أن تمكن قراصنة شبكة المعلومات من وضعها على الشبكة. وتحقيق الكتاب من جديد؛ لأن الطبعة المحققة بها عوارٌ ظاهرٌ لكل من درس التاريخ.

لا تزال عبارة شيخ مؤرخي التاريخ المعاصر أرنولد توينبي ترن في أذني، وهي في شكلها المختصر: "الجهل بالتاريخ هو بداية سيادة الفكر الأصولي الذي يرفض التعددية". لأن اتباع السلف الصالح دون قراءة التاريخ، هي فعلاً بداية التشيع وخلق الفِرَق.

وكما غابت دراسة التاريخ العام، غابت أيضاً عن الساحة دراسة تاريخ الحياة الليتورجية المسيحية التي تُوصف بكلمة غريبة عن المسيحية، هي كلمة "العبادة"، بينما "الخدمة" أو "الليتورجية" هي أقرب الكلمات إلى نص وروح العهد الجديد نفسه. فقد كان الرسل يقيمون الليتورجية –حسب الأصل اليوناني– ولكن جاءت الترجمة العربية لتقول: "وبينما هم "يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس" (أع ١٣: ٢).

وكما غاب هذا وذاك، غاب أيضاً تاريخ عقائد المسيحية الذي يحمل لنا ما يمكن أن يُسمى بلغة العصر "خارطة تاريخ المسيحية"، فهذه الخارطة هي التي يمكنها أن ترسم لنا الفروق بين الشرق والغرب، وتكشف لنا بداية وأسباب الانفصال

(١٤) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية في ٢٦ لإبريل ٢٠١٤.

الحزين الذي بدأت بواكيره منذ القرن العاشر لتضع حداً للوحدة الكنسية بين روما – القسطنطينية، وهما كانا أكبر تجمع مسيحي في العالم القديم. هذا الانفصال الذي سبقه الشرخ المؤلم في ٤٥١م عندما استقلت كنائس مصر – سوريا – أرمنيا، وحلَّ الانقسام المفزع حقاً، وباتت كنيسة الإسكندرية العريقة منقسمة بين الذين رفضوا المجمع الرابع ٤٥١م والذين قبلوه.

في ظل هذا الفراغ الهائل جداً والمخيف، بدأت ترجمات الآباء، وبدأت الدراسات الجيدة جداً. كان آخر ما وصلني هو كتاب "الإفخارستيا سر الحياة" للدكتور مارك شنودة، وهو أعظم ما صدر بعد كتاب الأسرار السبعة، ودراسة الأب متى المسكين عن الإفخارستيا. وأتمنى على دار بناريون بالاشتراك مع مركز دراسات الآباء، ترجمة الدراسات الأرثوذكسية المعاصرة؛ لأنها تجاوزت سقطة اللاهوت الأرثوذكسي في "سبي بابل"، وهو الاسم الذي عبَّر به المطران يوحنا زيوزلاس عن حالة الخلط بين تعليم العصر الوسيط والتعليم الشرقي الأرثوذكسي.

قيامة المخلِّص هي سبب اجتماع الكنيسة يوم قيامة الرب:

لا زلنا نحفظ الاسم القديم "يوم الأحد"، أي اليوم الأول "أحد" هو الأول، وهو أول يوم في الأسبوع الذي قام فيه الرب. وكان يُسمى يوم الرب (رؤ ١: ١٠). هكذا عُرف هذا اليوم في أقدم الوثائق المسيحية (تعليم الاثنى عشر – الديداكي ١٤: ١). وقد قاوم الشهيد أغناطيوس في رسالته إلى مغنسيا الذين يحفظون السبت، فهو اليوم الذي لا علاقة له بيوم القيامة، أي اليوم الذي أشرقت فيه حياة الخلود (فقرة ٩).

نحن نذهب لا لاجتماع، بل للشركة في حياة الرب، ولذلك كانت الكنيسة تجتمع للإفخارستيا منذ العصر الرسولي، فيسوع يأتي إلينا حياً. لم يكن مجيء يسوع بكلمة الوعظ فقط، بل بمجيء أقنوم الكلمة نفسه ليوزِّع حياته على أعضاء جسده.

الحياة بالكلمة وبالصلاة وبقراءة الأسفار فقط هي سقطة لاهوت حركة الإصلاح التي أبادت الشركة الكيانية في كيان الإله المتجسد.

المسيحُ رأسٌ حيٌّ لجسدٍ حيٍّ:

مواعيدُ الربِّ لنا ليست مواعيداً لشخصٍ ينام في كتب التاريخ، ولا حتى في الكتاب المقدس نفسه؛ لأن "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠) قد تبدو هذه كلمات، ولكنها ليست مجرد كلمات، بل هي "الحضور المتجسد" حسب تعبير القديس أثناسيوس (راجع على سبيل المثال: تجسد الكلمة ف ٨، ضد الأريوسيين ١: ٥٩ — ٢: ٥٥ — ٢: ٨٦).

الحيُّ غلبَ الموتَ في كيانه الإنساني، وهو يغلب الموت في كيان كل من يتَّحد به. وجسد يسوع المسيح الجماعة، أي أعضاء جسده ليس أي جماعة، بل هي جماعة كوَّنها جسده من لحمه ومن عظامه (أفسس ٥: ٣). فالجسد يحمل إلينا حياة الابن، ولذلك حملنا الابنُ فيه إلى السماء وأجلسنا معه في السماويات. رأسٌ حيٌّ منه تصل الحياة لكل عضوٍ. صارت الإنسانية كلها فيه؛ لأن "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع" (١كو ١٥: ٢٢). ولكننا تركنا الموت يعبث بالحياة، وسلَّطنا أكبر كم من الضوء على الخطية وحدها، فضاعت القيامة، بل ضاع الصليب؛ لأن الذي أُبيد على الصليب هو الموت حامل الخطية، كما تشهد عن ذلك صلاة الصلح القبطية، فالموت لا ينفصل عن الخطية "من تذكار الشر اللابس الموت — ⲉⲧⲉⲣⲫⲟⲣⲓⲛ ⲙ̀ⲫⲙⲟⲩ"، فالموت "تملَّك علينا، هذا الذي كنا مُمسَكين به، مبيعين من قبل خطايانا"، وقد مات الذي أمسك علينا كل خطايانا. وفي تشبيه بليغ يقول رسول الرب:

* المرأة المتزوجة (التي تحت رجل) هي مرتبطة بالشريعة (الناموس) طالما الرجل حيٌّ.
* إن مات الرجل، فقد تحررت من شريعة الرجل (لم تعد زوجته).
* إن مات الرجل فهي حرة من الشريعة حتى انها ليست زانية إن تزوجت رجل آخر.

كيف طبَّق الرسول هذا التشبيه القانوني جداً على المسيح والإنسانية:

* إذاً يا إخوة أنتم أيضاً قد متم للشريعة (الناموس) بجسد المسيح. مات الذي كنا ممسكين به، مبيعين من قبل خطايانا.

هذا هو تحرر الإنسانية من وساطة الشريعة (الناموس). مات الجسد الآدمي على الصليب.

* لكي تصيروا للآخر، في زواج جديد، وهو "للذي أُقيم من الأموات، ... لنثمر لله" (رو ٧: ١-٤).
* "الآن قد تحررنا من (وساطة الشريعة تماماً مثل المرأة التي مات زوجها). إذ مات الذي كنا ممسَكين فيه (مات المسيح ومعه ماتت الشريعة عن عمل الوساطة). والدليل على ذلك "حتى نخدم (نعبد) بجدة الروح لا بالعبودية (عتق الحرف)" (رو ٧: ٦).

موت المسيح يسوع هو موت الشريعة، ومع موت يسوع:

* مات الجسد الذي جاء من آدم وإبراهيم وداود ..... الخ.
* مات الانتساب العرقي لإسرائيل، ولذا ُدعي يسوع آدم الأخير، السابق على شريعة موسى وعلى دعوة ابراهيم وعلى تاريخ الأسباط.
* ماتت الحياة الجسدانية البيولوجية، أي الجسد الذي يتألم ويموت؛ لأنه قام بالروح القدس وتحوَّل إلى عدم فساد، وصار "الإنسان الجديد"، صار له "جسداً ممجداً" (فيلبي ٣: ٢١) أسهب الرسول في شرحه في (١كو ١٥: ٤٣-٥٠).
* غاب الأصل الترابي من الوجود، ولذلك نحن نُصلب ونموت ونقوم مع المسيح (رو ٦: ١-٨).

الأقنوم المتجسد هو الذي مات وقام:

تركنا كلمة أقنوم وأمسكنا بكلمة شخص، وهما معاً الأقنوم = الشخص، فالشخص أقرب كلمة إلى اليونانية والقبطية والسريانية. والشخص ليس هو الفرد. وحتى محيي الدين ابن عربي فطن إلى هذه الحقيقة، ولذلك له عبارة موجزة: "الفردُ يظل فرداً، ومتى أحب تأقنم، أي صار شخصاً". وعندما غابت كلمة أقنوم، وحلَّت كلمات أخرى تبدو بريئة، وهي في حد ذاتها بريئة جداً مثل: النعمة — القوة، إلَّا أن هذه الكلمات صارت في يد الشياطين، البرقع الذي يحجب المحبة الأقنومية، أي

المحبة الشخصية، والقيامة الأقنومية والجسد المتأقنم بالاتحاد الأقنومي للابن له المجد. ولكن الليتورجية صوت الكنيسة الجامعة تُعلن لنا في صلاة الصلح:

– "أيها المسيح إلهنا القوة ϫ̀ⲟⲙ المخوفة

الغير المفهومة (تعلو على الفهم) التي لله الآب".

ولم تسكت الليتورجية عند هذه الكلمات، بل وأصلت:

– "الجالس فوق العرش الملتهب الشاروبيمي

والمخدوم من القوات النارية

من أجل تنازلك الغير الموصوف ....".

القوة، أي قوة الآب، هي اقنوم الابن.

مات الأقنوم بالجسد، و"ذاق الموت بالجسد"، كما نقول في صلوات الساعة التاسعة. هو هو الأقنوم الذي يقول –دون أن ينقسم إلى لاهوت وناسوت: "مَن يأكلني يحيا بي" (يوحنا ٦: ٥٧).

عند عطاء المحبة، لماذا يحجب الابن ألوهيته عن الخطاة، ويعطي لهم ناسوتاً بلا لاهوت؟ هل أدرك هؤلاء المنقادين إلى تعليم شيطاني، إن عطاء الجسد قال عنه الرب نفسه: "الجسد لا يفيد شيئاً" (يوحنا ٦: ٦٣)؟ والأقنوم هو الذي قال: "أنا هو الخبز الحي"، و"أنا هو خبز الله الواهب الحياة للعالم" (يوحنا ٦: ٣٣). إن هؤلاء الذين ينكرون الاتحاد الأقنومي، لا يعرفون المحبة الإلهية. هم يقدمون فقط ما تجود به خطاياهم، وما تقدمه الخطايا هو دائماً محدود، مقيَّدٌ بلذة الخاطئ، وهدف الخاطئ من تقديم عطية، فهو يعطي حسبما تسمح به اللذة، ومن أجل أن ينال شيئاً مقابل ما يعطيه.

وعندما قالوا إن اللاهوت لا يؤكل، فهو كلامُ حقٍّ يُراد به باطل. حقّ لأن اللاهوت غير محسوس وغير منظور. يقول الشيخ الروحاني "**امسك يسوع باسمه، فهو لا يُمسك إلّا بالاسم. وأيضاً وعندما يتحرك فيك روح يسوع، امسك الروح بالمحبة، فهو روحٌ لا يُمسك بالحواس**". فالأكلُ إذن، حتى بالنسبة للجسد نفسه،

هو "**تناول**"، أي شركة، هو عطاء، وهو ما يعلو على كل الحواس: الأسنان واللسان. ولكن ما يعلو هو حقيقيٌّ أكثر مما هو محسوس. فالموت جعل المحسوس حقيقيٌّ أكثر من غير المحسوس؛ لأن الموت هدم البصيرة، فجعل ما تمسكه الحواس هو الصحيح؛ لأن هذا هو رد الفعل على الخوف من الموت، ومن ضياع ما تراه العين وتمسك به اليد.

لكن عدم أكل اللاهوت، وهو حقٌّ لا ينكره أحد، تحوَّل إلى سيفٍ يقسِّم المسيح الواحد إلى اثنين، وبالتالي صار الناسوت وحده يؤكل. لكن هذه الكذبة الكبرى قريبةٌ من وعيٍ ينسى أو تعمد أن ينسى تجسد ابن الله. لأن التجسد جاء بما عجزت عنه الشريعة، وهو ردُّ الإنسان إلى الشركة في الحياة الإلهية.

لو كان المسيح إنساناً فقط، فماذا نكون قد أخذنا من الله؟ والجواب: لا شيء، فقد صار كواحدٍ من الأنبياء، جاء بتعليم أخلاقي ممتاز. لكن المسيح يقول لنا: "أنا هو القيامة"، والقيامة ليست خاصة بلاهوت الابن؛ لأن اللاهوت لا يحتاج إلى قيامة، فهو غير قابل للموت، وبالتالي هو لا يقوم، ولذلك "أنا هو القيامة والحياة" هي أعظم ما ذكره الرب عن الاتحاد الأقنومي.

نحن لا نأخذ من الجسد أو من الناسوت شيئاً يمكنه أن يقرِّبنا من الله الآب، بل إن هذا الجسد يحتاج إلى من يقرِّبه من الحياة الإلهية نفسها. ماذا يستطيع الجسد أو الناسوت أن يعطي؟ لا شيء. وحتى في موته المحيي، لم يكن موتٌ للجسد المنفصل عن اللاهوت؛ لأن هذا موتُ إنسانٍ مثلنا لا يحقق الفداء ولا الغفران ولا يرد الحياة للإنسانية. فقد سبق ومات أنبياء مثل أشعياء وحزقيال وغيرهما، ولم تنل البشرية بموت هؤلاء شيئاً.

لكن اتحاد لاهوت الله الكلمة بالجسد، هو الذي جعل موته بالجسد سبب حياةٍ؛ لأنه:

أولاً: أباد الموت من الطبيعة الإنسانية التي أخذها من القديسة مريم.

وثانياً: أعطى الخلود لهذا الجسد؛ إذ لا يكفي أن يقوم الجسد، بل أن يقوم لعدم فساد، وهو عمل اللاهوت في حفظ الجسد من الفساد (أع ٢: ٢٧، ٣١).

إذا كان الأمر هكذا، فلماذا نأكل الجسد وحده؟ وما قيمة أكل جسد إنساني؟ لقد أجاب القديس كيرلس الكبير السكندري على هذا السؤال بالذات في حواره الطويل مع نسطور، وسقوط الأنبا شنودة الثالث في هرطقة نسطور لا يحتاج إلى إثبات، فهو يردد عبارات نسطور، وكأنه ينقل عنه عباراته حرفياً[١٥].

إن أكل الجسد وحده يعيدنا إلى الحياة البيولوجية القديمة التي تبلى بالموت.

الجسد المُمَجَّد الحي والمحيي

لا أدري لماذا غاب ما ذكرناه تواً من وعي الذين يتكلمون مثل نسطور، وأحياناً مثل أريوس، ومرات مثل أوطاخي؟ لن نذكر الأسماء، لعل الحياء يعيدهم إلى الأرثوذكسية! لكن تبقى نقطة هامة لا يمكن التنازل عنها: ما هي طبيعة جسد الرب في الإفخارستيا؟

حسب الليتورجيات الأرثوذكسية، هو:

- جسدُ الحياة.
- جسدٌ محيي.
- طعام الخلود.

وتقديم الرب لجسده في العلية قبل الآلام المجيدة هو الذي حجب رؤية الجسد المُمَجَّد عن أذهانٍ لم تقبل الاستنارة من روح يسوع، أي الروح القدس. لازال الفكر الإنجيلي العفِن ينشر عفونةً أرضيةً في العقول، هي -بالتحديد- تقسيم الرب حسب مراحل تاريخية تجعل من كل ما يحدث في حياة الرب تاريخاً وحدثاً منفصلاً عن الأحداث التاريخية الأخرى. فقد فَصَلَ الميلاد البتولي عن القيامة، في حين أن قيامة الرب هي التي أكملت ميلاده من العذراء؛ لأن الحبَل وتكوين الناسوت بالروح القدس هو ردُّ أصل وبداية الوجود الإنساني إلى الله؛ لأن الابن أعادنا روحاً وجسداً إلى الله عندما تجسَّد، وصار أصل الإنسانية الجديدة هو المتجسد آدم الثاني، وليس آدم الأول.

وفصلَ الصليب عن القيامة؛ لأن الصلب هو دفع الثمن وإرضاء الآب، وهو

(١٥) راجع البحث المنشور على موقع coptic truth حول نسطورية الأنبا شنودة الثالث، وحكم المجمع المسكوني الثالث ٤٣١م على الذين يمزقون المسيح الواحد واهب الحياة الأبدية.

تجديفٌ عن جهل؛ لأن الابن المتجسد هو مالك وخالق الكل مع الآب (يو ١: ١ - ٣)، وهكذا لا يكون للقيامة من دور سوى أن تعلن أن المسيح حيٌّ، وتوقف الفكر عند ذلك، مع أن القيامة هي التي أعطت قوة الخلاص للصلب؛ لأن المصلوب ليس فقط حيٌّ، بل هو الغالب الذي دمَّر الموت، ودمَّر الفساد، وأباد سلطان الجحيم، وبالتالي جاء الرب إلينا بالقوة وبالخلاص من أكبر مأساة للإنسانية، وهي مأساة الموت حامل الخطايا، فـ "الشر الملبَس الموت" ليسا مسألتين يمكن فصلهما عن بعضهما.

وتربَّع الحيُّ على عرش الحياة ملكاً ومخلصاً استرد البشرية من الموت، ومن الشيطان، وجعل الخطيةَ عاجزةً عن أن تُميت الإنسان: "اسمُكَ القدوس هو الذي نقوله فتحيا نفوسنا بروحك القدوس ولا يقوى علينا موت الخطية ولا على كل شعبك" (أوشية الاجتماعات).

ولكن لاهوت عصر الإصلاح كله: لوثر وكالفن، والباقين، فصلَ السرائر عن تدبير الخلاص. فقد تم فصل المعمودية عن الصلب والقيامة؛ لأن المسيح دفع الثمن وأرضى العدل الإلهي، وصارت المعمودية اعترافاً وشهادةً لا شركة في موت الرب، أي صلبه ودفنه وقيامته. كما تحولت الإفخارستيا إلى ذكرى عقلية لِما حدث في الماضي، فتحول الخلاص إلى حدث تاريخي قديم مرت عليه عدة سنوات، وأصبح كل ما لدينا هو أن نتذكر -عقلياً- ما حدث في هذه الذكرى.

وبالتالي لم يعد الرب سجيناً للتاريخ القديم فقط، بل انفصل الرأس، أي المسيح عن جسده، أي الكنيسة، ولم يعد للكنيسة أي كيان سرائري ***Sacramental*** فهي ليست جسد المسيح الحقيقي، بل طُمست فكرة "جسد يسوع السري"، وهي أصلاً تعني غير المعلَن والظاهر، ولا تعني بالمرة أنه جسد معنوي عبارة عن فكرة في العقول، بل جسد حقيقي؛ لأن الحقيقي في تدبير النعمة هو ما هو حيٌّ وغير قابل للفناء وغير مستعبدٍ للموت أو الفساد، ولا هو خاضعٌ للدينونة، بل هو ما نال مجد الحياة الآتية، وهي الحياة الحقيقية؛ لأن الحياة البيولوجية زائلة ومتحولة يدب فيها الفساد، فهي ليست حقيقية؛ لأن الحق الذي لا يموت قال: "أنا الحق"، أي يسوع، وهو

الذي وهب أن يكون لنا وجود حقيقي.

أمَّا عرض تاريخ تطور الفكر اللاهوتي، لاسيما في الغرب منذ القرن الـ ١١ عن العشاء الرباني، فهو فصلٌ مؤلم وحزين ساد فيه تطرف المدافعين والمهاجمين معاً. ولكن انفصال العشاء الرباني عن الصليب والقيامة بسبب الترتيب التاريخي الذي فرضه لاهوت عصر الإصلاح في القرن الـ ١٦ في حين أن العشاء الرباني سبق -تاريخياً- الموت والقيامة، ولكن تدبيرياً المسيح هو هو أمس وإلى اليوم وإلى الأبد. هو نفسه قبل العشاء وبعد العشاء، وقبل الصلب استعلن مجده على جبل التجلي (طابور)، وظهر مجده الذي حُجِبَ عنا بسبب الإخلاء في تجسده (فيلبي ٢: ٦)، وهو الذي سار على الماء، وأسكت العاصفة، وغلب الموت في الآخرين، هو يقول قبل موته على الصليب وعند قبر لعازر: "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١٠: ٢٥)، فهو القيامة قبل أن يموت، ولذلك كان موته هو الألم الروحي الحقيقي، إذ سار النور في وادي الموت المظلم، وهو تعبير عن فظاعة الموت والشعور الحقيقي بالغربة.

لا تزال الكنيسة الشقيقة – اليونانية، أو كنيسة الروم ترتل في يوم الجمعة أنشودة عظيمة: "أعطني هذا الغريب" عن يسوع الذي لم يكن له أحد يدفنه، وقد رأى يسوع غربته في المرضى والسجناء وكل الذين كسرهم الزمان والمجتمع، وقال لنا إن ما نفعله مع هؤلاء إنما نفعله له هو شخصياً؛ لأن التجسد أدخل كل إنسان في قلب الحياة الإلهية (راجع متى ٢٥: ٤١ – ٤٥).

أُكرر دائماً إن أكبر أخطاء لاهوت حركة الإصلاح هو فرض الترتيب التاريخي على ترتيب التدبير. لقد ضاع منَّا أن يسوع نفسه هو الطقس، أي الترتيب، وهو الطقس لأن كل ما في هذا الطقس الإلهي المتجسد هو ترتيب المحبة التي لا تعرف فواصل وحجج الفلسفة وبراهين التاريخ.

قبل الفصح أراد يسوع أن يكون هو الفصح؛ لأنه هو ذاته العبور إلى الحياة، ولذلك عبر بنا من فصحٍ قديم له جذور تاريخية إلى فصح جديد له جذر إلهي هو الحياة الغالبة. كانت المناسبة ضرورية، بل صنع الفصح، أي قدَّم حياته حملاً مذبوحاً بالإرادة، ولكننا لا نزال مثل اليهود نرى أن الحرف هو الحقيقة الواحدة الوحيدة،

في حين أن الذبح ليس بالسكين، بل بالإرادة قبل أن يكون بالسكين (عب ١٠: ١٠)، وهكذا الزنى ليس هو الاتصال الجسداني وحده، بل هو زنى القلب، وهو زنى الإرادة، ومن الأقوال الخالدة للأب متى المسكين: "عندما قال يسوع إن كل من نظر إلى امرأة واشتهاها فقد زنا بها في قلبه، حكم على كل جنس الرجال بعدم البراءة". ولعل ما يزيد الأمر إيضاحاً قصة موسى الأسود العظيم الذي حمل كيساً مملوءً بالرمال وثقبه والرمال تنزل منه وجاء إلى اجتماع الأخوة للحكم على أخٍ سقط في الزنى وقال إن خطاياه تتبعه ورفض الاشتراك في مجمع القضاء ...

لعلنا نقترب من قوة وفعل الإرادة السابق على خلق العالم (أف ١: ١ – ٣)، وهو تدبير "ملء الأزمنة"، فليس لدى الرب زمانٌ واحدٌ يعمل فيه، وهو ذات الزمان الذي يضع قيداً عليه لا يسمح له بالحركة، فهو جاء لكي يكون منا بالجسد؛ لأنه كان معنا حسب ألوهيته قبل تجسده، وصار معنا متجسداً في الحضور المتجسد حسب تعبير العظيم أثناسيوس (تجسد الكلمة ف ٢٨).

كيف صارت الإفخارستيا ذكرى عقلية في عقول العابدين؟

أولاً: لأن الفداء كله تم يوم الجمعة، وهي إحدى نظريات العصر الوسيط، وقد مرت بمراحل تطورها منذ أنسلم حتى لوثر، ووصلت إلينا في مصر في عظات سبرجن وإبراهيم سعيد، ثم الأنبا شنودة الثالث. بينما، رغم الأهمية القصوى ليوم الجمعة، إلَّا أن الانتصار على الموت أُعلِن على الصليب وبالقيامة، ولكن لأن الصليب والمصلوب صارا ثمناً وترضيةً للآب، لم يعد لعشاء الرب أي مكان في تدبير الخلاص. بينما حسب المنطق نفسه، سبق العشاء الموت والقيامة، فهو لن يكون ذكرى بالمرة؛ لأن الذكرى هي خاصة بما يحدث في الحاضر أو بما يحدث في الماضي. هكذا صار خروف الفصح عند بني إسرائيل –ذكرى العبور– عبور ملاك الموت، ولم يكن فداءً من الخطية، بل من الموت من الملاك المهلك. وصار الحمل أو الخروف ذكرى للماضي. لكن الرب يقول إن "هذا لذكري أنا"، وهو أي الرب ليس حدثاً، بل شخصاً، ولذلك السبب عندما تحول يسوع إلى فكرة، ضاعت ألوهيته، وضاع موته، وضاعت قيامته؛ لأن كل ذلك أصبح مجرد أفكار في عقول الناس تكتسب القوة من

الفكر والذاكرة ... لكن الواقع عكس ذلك، يسوعُ حيٌّ سواء تذكَّره الناس أم لا.

ثانياً: عندما سُجِنَ يسوع في سجن الماضي والتاريخ، تحولت أعمال يسوع إلى أعمالٍ تاريخية تبدأ وتنتهي في الزمان، ولكن أعمال يسوع هي أعمالُ استعلانٍ للتجديد – للغفران – للشفاء – لإعلان الآب، فهو ليس شخصاً تاريخياً مثل أشخاص البشر السجناء في أبعاد الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، بل هو "الكائن الذي كان والذي سيأتي"، وكل أعمال يسوع لها استعلان يفوق أبعاد الزمان، والعمل الذي فتح كل أيام الإنسان على الحياة الجديدة هو القيامة. فقد قام يسوع وصار يملأ كل مكان وزمان بحضوره الشخصي، أي الأقنومي، وصار يجلس في وليمة الحياة معنا معطياً جسده ودمه لنا.

أعود إلى سقطة لاهوت الإصلاح، لاهوت الإصلاح كله، ذلك الذي أبرز الفداء بالصليب، وأزاح التجسد، وهو اتحاد اللاهوت بالناسوت، أي الحدث الدائم الأبدي، إلى زاويةٍ مجهولةٍ؛ لأن في هذا الاتحاد الأقنومي تمت مصالحة الله والإنسان، وأُعلِن تمام هذه المصالحة على الصليب بإبادة الموت وبالقيامة والخلود. لكن الأساس هو ما سبق وحدث في بيت لحم، فهو الأساس الأبدي؛ لأن مسرة الله "وبالناس المسرة" جاءت بتجسد الابن "في ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة تحت الناموس (الشريعة) ليفتدي الذين هم تحت الشريعة"، ولم يقف الرسول عند ذلك، بل أضاف "وبما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبًّا أيها الآب" (غلا ٤: ٤ – ٦).

هذه مسيرة لا يفقد فيها الشخص، أو الأقنوم ما بدأ به من تجسد ومعمودية، ولكن ضاعت المعمودية التي صار فيها يسوع هو المسيح؛ لأنه مُسِحَ بالروح القدس ودُعي المسيح "كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة" (أع ١٠: ٣٨)؛ لأنها أصبحت فقط مجرد اعتراف بالإيمان وشهادة على ذلك.

وفي العلية تم فصح كل الدهور الذي له استمرارٌ دائم؛ لأن الفصح هو حياة يسوع الغالبة الموت التي تعبر إلينا بواسطة الاتحاد الأقنومي من بيت لحم حيث البداءة أو أصل الوجود الجديد إلى هبة الروح القدس في الأردن، ثم تدخل عرين الموت وتبيده وتعطي الخلود للجسد.

الخبز الحي

هو الطعام الباقي للحياة الأبدية (يو ٦: ٢٧). كيف يبقى طعاماً ولا يبيد *imperishable* مثل المياه تنبع إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٤)؟ هو طعام لا يفنى، هو "خبز الحياة" (يو ٦: ٣٥). ويسوع يقول: "أنا هو خبز الحياة"، هو الخبز النازل من السماء لكي يأكل منه الإنسان، فكيف غاب من الوعي أنه نزل لكي يأكل منه الإنسان، إن هذا هو سبب نزول الرب لكي لا يموت الإنسان. "أنا هو الخبز الحي"، و"الحي" هو أحد أسماء اللاهوت: "عطشت نفسي إلى الله الحي" (مز ٤٢: ٢، ٨٤: ٢)، ويسوع الحي ليس له مكان بين الموتى، هكذا يبشر الملائكة بالقيامة للنسوة (لو ٢٤: ٥)، وروح الله "روح الله الحي" (٢ كور ٣: ٣). وينقل إلينا يسوع الحي الذي غلبت حياته الموت، ينقل إلينا هذه الحياة لكي نصير نحن الذين متنا في آدم "هيكل الله الحي" (٢ كور ٦: ١٦)، والكنيسة جسد المسيح هي كنيسة الله الحي (١ تيمو ٣: ١٥)، فقد انتشرت فيها حياة "الحي"، وقديس الكنيسة هم في مدينة "الله الحي" (عب ١٢: ١٢).

ومن الرب والرسل جاء تعبير "غير المائتة السمائية" صدى إلهي ليوحنا ص ٦، وكل من يأكل لا يموت لأن ما حدث في العلية هو هبة يسوع "الخبز الذي أنا أعطي هو جسدي"، وهذا سهلٌ، ولكن الجمال، أي جمال الحياة هو ذات الفعل الذي يعود على الجسد والخبز؛ لأن المتكلم واحد "والخبز الذي أنا أعطي". قوة هذه "الأنا" هي في "أبذله من أجل حياة العالم". وسوف يردد الرب ذات المعنى بكلمات أخرى "جسدي الذي أنا أعطي لكم" (لو ٢٢: ١٩)؛ لأن البذل والعطاء الحر هو الخبز = الجسد= هو أنا، لا انفصال ولا ثنائية.

خبز القيامة من الأموات

يقول الرب: "إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان"، مؤكداً تجسده، و"تشربوا دمه" معلناً صلبه، "فليس لكم حياة فيكم" (يو ٦: ٥٣). وباقي العبارات إذا رُدَّت إلى أصلها الأرامي، بل واليوناني نجد أنها تعني "من يتغذى"؛ لأن الفعل اليوناني *trogein* خاص بالتغذية لا مجرد الأكل، وبالتالي: "من يتغذى بجسدي ويشرب

دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير" (يو ٦: ٥٤). إذن فهو خبز القيامة، وهو يسوع، وهو الإفخارستيا، وهنا يعجز أسرى التاريخ ونظريات الفداء عن شرح عبارات الرب "جسدي مأكلٌ حق"، وكلمة "حق" هنا تعني ***the only real*** أي حق في مقابل:

- ما هو زائل وعابر
- مائت وفاسد لأنه خاضع لشرائع الخلق الأول.
- متغير ومستعبد لأنه ينتمي إلى ما حدث بعد السقوط.

أمَّا خبز القيامة الذي نأخذه في عشاء الرب، فهو مرةً ثانية، وحسب تأكيد الرب نفسه "من يأكل جسدي ويشرب دمي يكون فيَّ"، والقوة الأقنومية "وأنا أكون فيه"، وحسب الأصل اليوناني والقبطي "يكون" لا مجرد "يثبت"، فهو يتكلم عن "الكينونة"، لا مجرد الثبوت (يو ٦: ٥٦). ومن ثم يأتي تصريح الرب نفسه:

- "أرسلني الآب الحي
  أنا حيٌّ بالآب".

هو لا يتكلم عن حياتين، بل هي حياة واحدة للثالوث القدوس، ولذلك يقول الابن له المجد:

- "الآب حيٌّ
  أنا حيٌّ بالآب
  من يأكلني (أنا)
  فهو يحيا بي".

هذه الحقيقة الأبدية تُعلَن حسب التدبير هكذا:

- "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء"
- "هذا الذي من أجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء".
- "مَن يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد (مثل الله الحي إلى الأبد)" (يو ٦: ٥٧ - ٥٨).

لقد توقف لاهوت عصر الإصلاح عن النمو بسبب نظرية الكفارة؛ لأن الدم

الذي قُدِّم ترضيةً للآب لا يمكنه أن يفسر عبارة الرسول في عب ١٣: ٢٠ "إله السلام الذي أقام من الأموات راعي الخراف العظيم ربنا يسوع **بدم العهد الأبدي**". هنا توقفت الأقلام وجفَّ العقل؛ لأن دم العهد الأبدي هذا لم يكن ترضيةً، بل كان دم المصالحة والحياة والغفران ورد الإنسان. "دم العهد الأبدي" يعود إلى القيامة، فقد قام راعي الخراف بدم = حياة = العهد الأبدي. هنا أعطت القيامة تلك القوة غالبة الموت التي تأتي إلى الوعي الغارق في ضباب الفكر وأسر الزمان لكي يُشرق العهد الأبدي بالحياة الأبدية.

بدون القيامة لا إفخارستيا

يجب أن نعود إلى القيامة في كل خدمة كنسية؛ لأن الذي يخدم هو الابن رئيس الكهنة، وهو يخدم بتقديم حياته لنا. كلمات الرب واضحة عن البذل وعن الخبز هبة الحياة الأبدية، وهذا ما يجعلنا ندرك أنه عَبرَ من باب الموت ومن باب الزمان، ومن كل الأبواب التي تفصل ما هو حقيقي وسمائي، عما هو عابرٌ وزائل. الموت أدخل التغيير، ولكن القيامة جاءت بثبات الحياة. والزمان كان يُحسَب بالأبعاد الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبَل، ولكن الحي "الكائن والذي سيكون" هو في الماضي أزليٌّ، وفي الحاضر راسُ الكنيسة، وفي المستقبل سيجمع أعضاء جسده، فهو لا ينتقل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، بل هو رب الأيام والزمان يدخل إلينا عبر الأبواب التي تمزقنا: الاهتمامات اليومية — العداء والبغضة — الجهل — المنطق الزماني الذي يحسب بالأرقام وبالساعات والمسافات لكي يحدد، لا حساب الملكوت حيث النمو بواسطة الماء الذي ينبع بقوة الحياة الأبدية، أو الخبز الحي، وهو الشخص أو الأقنوم الحي الناهض من تحت أركان العالم، أي كل القوى والموازين والحسابات والنظريات التي تضبط الحياة القديمة (كولو ٢: ٨، ٢٠). لذلك نحن ندخل الحياة الناهضة في خدمة الليتورجية وأساسها الاتحاد الأقنومي؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت أبعد المسافة والزمان عن علاقة الشركة.

ونحن نأخذ جوهرةً صغيرةً -بشكلٍ منظور- تُقطع وتُفصَل، وبشكل حقيقي لا تُفصَل، وما صلاة القسمة إلّا توزيع "النصيب"، ولكن النصيب "واحد"؛ لأن يسوع

واحد، ولأن التقسيم جاء مع الموت، لكن التوزيع جاء بالشركة.

عندما نقف عند المذبح المقدس، فإننا نشترك في ذات الرب الذي أعطى ذات الحياة لبولس وبطرس وأنطونيوس ومكاريوس؛ لأن الكل أعضاء في جسد واحد. أذكر مرةً عندما كنت أرتل لحن ⲡⲓⲛⲓϣϯ ⲁ̀ⲃⲃⲁ ⲁⲛⲧⲱⲛⲓ وأثناء ترتيل الشعب للحن "بركتهم المقدسة"، أن نظر لي القمص مينا المتوحد وقال بصوتٍ لا أكاد أسمعه: "أنت عارف أنك مُتَّحد مع كل دول في الذبيحة الواحدة؟" وسرت رعدةٌ في كياني، فقد أدركت أن ما نقوله هو استعلان الواقع لأن يسوع الحي يجمع أعضاء جسده ويعطينا ذات الحياة.

في الإفخارستيا نحن شركاء القوات السمائية، وكل قديسي الكنيسة الجامعة.

إن الأبواب المغلقة التي دخل منها يسوع (يو ٢٠: ١٩)، لا يمكنها أن تمنع يسوع الحي من أن يدخل حياتنا، حيث أغلقنا عليه أبواب الأبحاث اللغوية والتاريخية، وأغلقنا عليه منطق الحياة الساقطة تحت قبضة الموت، وهو منطق الحساب بالأرقام والمسافة والزمن والترتيب التاريخي الذي لا يعرف ترتيب الإيمان.

لقد وحَّد يسوع ميلاده، الابن الوحيد من الآب فصار الابن الوحيد من العذراء، وفي هذه الوحدانية أو الوحدة التي تمت في شخصه لم يعد للزمان مكان في الأقنوم المتجسد حيث يخضع له أو يتصرف حسب المواسم والأعياد، بل زمان الربِّ هو كل زمان؛ لأن الزمان توقف عن أن يكون العامل المساعد الذي يقربنا إلى الله في مواسم السبت والشهور وطلوع القمر (كولو ٢: ١٦).

لقد أُظهرت الحياة الجديدة بالقيامة. حياةٌ لا حدود لها؛ لأن الموت هو حدود الحياة القديمة.

المجد لك أيها الغالب، ورئيس الحياة، وواهبها.

قيامةُ الربِّ يسوع،
هي البدءُ الأبدي لكلِّ شيءٍ[١٦]

المسيحُ قام. هذا هو فرح حياتنا الأبدي.

المسيحُ قام، ليس بمعنى عودة الحياة إلى شخصٍ كان قد مات. بل بداية أبدية لكل ما يمكن أن يُسمى حياة.

حياةٌ لا تموت، رغم أنها تعبر القبر وظلام الموت لكي تبدأ رحلة الأبدية التي وضع الربُّ بدايةً لها: قيامته.

لذلك، إذا قلنا إن الموتَ قد أُبيد وسقط تحت أقدام ربنا ومخلصنا، فهذا يعني أن الموت لا يستطيع بعد أن يحتفظ بالإنسان تحت سطوته. لم يعد الموت هو النهاية. هكذا تبدأ الحياة بالقيامة، ومن قيامة المسيح بدأت لكل شيء بداية أبدية، تحفظ كل ما هو قديم ونال التجديد في حياةٍ أبدية.

بدأ زمانُ القيامة الذي لا يشبه الزمان الحاضر بأبعاده الثلاثة: الماضي – الحاضر – المستقبل، بل هو زمانٌ آتٍ بما لا يمكن للأبعاد الثلاثة، أو الأربعة، أو حتى غيرها أن تقدمه.

الزمانُ عقيمٌ أمام الموت، ولكن الزمان صار خصباً، فقد دخلت حياة المتجسد زمان الإنسان والكون، وأصبحت تقود كل شيء إلى زمانٍ جديد يبدأ بالمخاض (رو ٨: ٢٠)، مخاضُ التجديد الذي يتعارك فيه القديم ليحفظ كيانه، ولكنه يُبتَلَعُ من الجديد؛ لأن الجديدَ حيٌّ. وصراعُ بقاء القديم هو صراعُ شعوبٍ، وليس صراعَ أفرادٍ فقط، بل هو صراعٌ من أجل الأفضل.

---

(١٦) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٣٠ إبريل ٢٠١٦.

القيامةُ هي طلبُ الأفضل، أي الباقي والدائم والحي، وهي لذلك نشيدُ التقدم نحو الأفضل، أي نحو ما هو باقٍ لأنه يمتلك قوة الحياة ويسعى إلى التجديد.

عندما رُفِضَ كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي بسبب التشدد الذي جاء مع ابن تيمية، ورُفِضَ أيضاً ابن رشد، سبق هذا الرفض، رفض تراثنا اليوناني؛ بحجةِ أنه تراث الهراطقة أتباع مجمع خلقيدونية، وهكذا ضاع علينا مدد التجديد.

القيامةُ ليست هي الاحتفاظ بالقديم، بل تجديد القديم. ولذلك، قام يسوع بذات الجسد، ولكنه صار "عديم الفساد"، و"غالب الموت"، و"تألَّه بمجد اللاهوت".

والقيامةُ هي عيدٌ دائمٌ، ولا زال هذا العيد الدائم يطبع بصماته على أناجيل باكر؛ لأن الرب قام باكراً. وكلُّ يومٍ جديد هو إشراقُ نور الحياة. وعندما نقرأ إنجيل القيامة في رفع بخور باكر، فإننا نحتفل ليس بذكرى ما حدث، بل بذكرى ما هو حادث. لقد قام الربُّ، وصارت الذكرى هي أن يعود الماضي مهما كان هذا الماضي لكي ينال التجديد.

لقد أنذر الربُّ بطرسَ الرسول بأنه سوف ينكره عند صياح الديك، ورغم الإنذار سقط بطرس ولعن الربَّ، حسبما هو شائع في لغة صيادي الجليل عندما ينكرون شيئاً ويقولون: "ليحذف الرب اسمي من سفر الحياة إن كنت أعرف كذا وكذا"، وهو ما سجَّله الإنجيلي عن بطرس: "ابتدأ يلعن (يسوع) ويحلف (بذات القسم السابق الذي ذكرناه، وهو القسم الشائع" إني لا أعرف هذا الرجل الذي تقولون عنه. وصاح الديكُ ثانيةً. فتذكر بطرس القول الذي قال له يسوع إنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرني ثلاث مرات (مرقس ١٤: ٧١-٧٢)، وعندما تذكَّر بطرس بكى (مرقس ١٤: ٧٢)، ولكن القيامة جاءت بأعظمِ تحوُّلٍ يمكن أن يصاغ بكلمات:

"شوكة الموت هي الخطية،

وقوة الخطية هي الشريعة (الناموس) (١كو ١٥: ٥٦).

لكن سبق هذا القول الأبدي الذي نزع شوكة الموت إلى الأبد: "لابُد للفاسد أن يلبس عدم فساد". إنه التحول العظيم والنهائي لكيان الإنسان، ولبس هذا

المائت عدمَ موتٍ. عند ذلك تتم الكلمة المكتوبة: "ابتُلِعَ الموتُ إلى غلبة"، وهنا يسأل الرسول: "أين شوكتك يا موت؟" لقد كسرت ولم تعد قادرة على أن تميت.

"أين غلبتك يا هاوية؟" لم تعد الهاوية تحفظ، حتى الموتى الذين في أقسام الأرض السفلى[١٧] (أفسس ٣: ٤)؛ لأننا نحن كنا قبل القيامة في ظلمة الموت، ولكن الآن "فنورٌ في الرب" (أفسس ٥: ٨). لقد كُسِرَت شوكة الموت، أي الخطية (١كو ١٥: ٥٢-٥٦)، إذ لم يعد للخطية ذلك **العائل** الذي يعطي لها الحياة، وهو التناقض الصارخ والخطير؛ لأن عائل الخطية هو الموت. بل إن رسول الرب يقول إن الخطية تدفع الأجرة لمن يخطئ، وهي الموت (رو ٦: ٢٣)، فالله لا يدفع أجرةً لأي خطية، بل الخطية هي التي تدفع الأجرة. والآن لم يعد للخطية أجرةٌ تدفعها، فقد سقطت وانتهت؛ لأن الإنسان الذي تصوَّر أن الخطية هي سبيل الحياة، وجد أنها سبيل الموت. والآن قد أُبيد الموت وأصبحت الخطية مثل المرأة العاقر التي فقدت قوتها، بعد أن كانت قد تحصنت في الشريعة؛ لأن الشريعة جاءت بالمنع، وعندما استثار الممنوعُ عنادَ الإنسان وتمرده، سقط أكثر في خطايا أكثر.

الآن، القيامةُ هي بدءُ المحبة الأبدية، فقد تحررت المحبة من رباطات الموت. لقد افتدى يسوعُ المحبةَ، تلك القوة القاهرة الغالبة، التي خضعت للموت نتيجة طلب اللذة، والتحصن في الذات. ولكن عندما سقطت كل الموانع بالقيامة، أنشد الرسولُ نشيد تحرر المحبة (١كو ١٣: ١-١١). القيامةُ جعلت المحبة لا تنتفخ، ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظن السوء، ولا تفرح بالإثم (راجع الشتائم والاتهامات اليومية في الإعلام القبطي)، بل تفرح بالحق (أي يسوع؛ لأن يسوع هو الحق)، وتحتمل كل شيء (لأنها تسير مع يسوع حاملةً الصليب)، وتصدِّق كل شيء (المواعيد)، فقد نالت عربون هذه المواعيد وترجو كمال ملء النعمة، وهي ترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء" (لعل الـ ٢٢ شهيداً من شهداء سمالوط قد أعطونا الدرس الحقيقي).

---

(١٧) عندما يكتب الرسول إن الرب مات وقام حياً لكي يسود على الأحياء والأموات (رو ١٤: ٩) فهو يشير إلى نزول الرب إلى الجحيم في يوم السبت الكبير، إذ كيف يصبح هو الإله الذي يسود على الأموات، دون أن يكونوا في شركةٍ معه، تسمح بهذه السيادة. راجع مقالنا "نزول المسيح إلى الجحيم" منشور على موقع الدراسات القبطية.

ولأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس (رو ٥: ٥) قال الرسول: "المحبة لا تسقط"؛ لأن استعلان المحبة قد قام حيَّاً وتوّجَ بلقبٍ خاص: "مُحب البشر"، وهو لقب الحي إلى الأبد.

وماذا بعد أيها الأحباء. القيامةُ هي سببُ وجود هذا الموقع (موقع الدراسات القبطية)، وهي سبب معاناة وكفاح ناله الكثير من الهجوم والاتهامات، ولكن إن لم يكن المسيح قد قام "فباطلةٌ كرازتنا وباطلٌ إيمانكم"، وبعد ذلك "أنتم بعد في خطاياكم" (١كو ١٥: ١٦-١٩). فقد قام المسيح، ولذلك نتعب، ليس لأننا غداً نموت (١كو ١٥: ٣١)، بل لأن الغد هو يوم القيامة، وهو ما نطلبه حسب لغتنا القبطية: "خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم"؛ لأن الغد هو القيامة، هو زمان آتٍ.

المسيحُ قام، وبفرحِ ما هو آتٍ، نرجو لمصر أن تعبر وادي المعاناة، وأن تدخل الكنيسة حلبة شجاعة المحبة؛ لكي ترى معاناة الشعب، ولكي تواجه كل ما هو عالق بملف التعليم، وتترك أناشيد اللعنات والكراهية التي يعزفها شياطين في شكل بشر لكي نهتف معاً.

الروح القدس، روح الشركة، روح المحبة[١٨]

ورد إلى الموقع السؤال التالي من الأخ سامح جورجي:

تمايز أو اختلاف الأشخاص (الأقانيم)، يعنى أيضا تمايز أو اختلاف نوعية المحبة رغم وحدة الجوهر. فمحبة الكلمة تتمايز بكونها بنوية، ومحبة الآب تتمايز بكونها أبوية، ولا أعلم كيف تتمايز محبة الروح القدس أو كيفية التبادل الحبى بين الروح القدس(غير مُعرَّف) من ناحية والآب والابن من ناحية أخرى.

الإنسان كخليقة هو مشروع أو عمل مشترك لأقانيم الثالوث وعلى صورة الثالوث، فالإنسان يعرف أن يحب كأب ويعرف أن يحب كابن وهو حي ويختبر الحياة بسبب الروح القدس.

شكرا أستاذي المحبوب

(١٨) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢ أكتوبر ٢٠١٥.

الأخ سامح جورجي.

يا أخي الكريم، المحبة لا تعرف حدود اللفظ ولا تحتويها الشريعة لأن الشريعة وُضِعَت لنا نحن البشر، ولم تكن لكي تضبط الحياة الإلهية، أو أعمال الله؛ لأن المبدأ الأول، وهو خلق الكون والإنسان لم يكن حسب شريعة. وعندما كتب أثناسيوس الرسولي أن النعمة -أي نعمة الصورة الإلهية- سبقت الوصية (تجسد الكلمة ٤ و٥) لم نكن ندرك أن تلك النعمة هي "الصورة الإلهية"، وهي "خلق الإنسان" من العدم ليكون "صورة الله"، وامتزج ما هو إلهي بما هو ترابي؛ لكي يعلو ما هو إلهي عما هو ترابي. ولكن الإنسان فضَّل ذاته الآتية من العدم، فدخل فكر الموت في كيان الإنسان، ورسم الموت الحدود والفواصل، وجاءت الشريعة بعد ذلك لكي تحدد حقيقة ودور الخطية (رو ٧: ٧). وعندما استُعلِنت المحبة الثالوثية، دخل فكر الموت، أي الحدود؛ لكي يضع الشروط لعمل المحبة، وحدَّد فكر الموت كيف يجب أن تعمل المحبة، ولكن رسول الرب يسوع، وهو يرسم أيقونة لفظية في (١كو ١٣: ٨)، يضرب كل هذه الحدود وينقل الوعي الإنساني إلى أحد آفاق المحبة، أي محبة بلا شروط وبلا سبب، وكلاهما "الشرط والسبب"، من فكر العصر الوسيط المستعبَد للفلسفة اليونانية والشريعة، وكلاهما (أي فكر العصر الوسيط والشريعة) أمدَّا الإنسان بالشروط والحدود Boundaries. والشرط ليس Condition بل هو أيضاً Reason ولا عجب أن يمس الله الثالوث قلبك لترى محبة أبوية ومحبة بنوية، ثم تقف عند الروح القدس في دهشة وحيرة؛ لأن الروح القدس يُعلن الابن، والابن يعلن الآب، والكنيسة[١٩] هي التي تُعلن الروح (١كو ١٤: ١٥)، وهذا الشرح هو لأسد كبادوكية، النزينزي.

وعند عجز الكنيسة عن استعلان الروح القدس في حياتها الذاتية وشهادتها لا نجد إلَّا آهات الروح القدس التي تعلو على قدرة أي إنسان أن يعبِّر عنها.

اليوم وصلني بريد نقلاً عن أحدهم عن مؤامرة الأنبا بيشوي للإطاحة بقداسة البابا، وقبلها صراع حول شريعة الزواج، وقبل ذلك يدَّعى أسقف أن الزوج لا يمكن

(١٩) "الله بالحقيقة فيكم"، وليس قوة أو طاقة، بل الله.

أن يعاشر زوجته إلَّا بإذن الكنيسة، ففصَلَ الكنيسة وقسَّمها إلى قسمين، قسم يُشرِّع وقسم يخضع، فهي إذن ليست الجسد الواحد. وأسقف آخر يمنع النساء من لمس أجساد القديسين. أمَّا آخر الفضائح، فهي عن أسقف جديد لم يخرج بعد من البيضة، فهو لا زال كتكوتاً في طور التكوين، يقول للشباب: إننا في سجن الجسد. فقد غاب التجسد، وغابت الكنيسة جسد المسيح، ولم يعد للإفخارستيا دور سوى الذكرى –حسب طبلة موسيقى الإنجيليين. وأما رشومات الميرون، فهي لا تُذكر بالمرة كأنها لم تكن، لأن فكر الموت قد محى حتى أختام الروح القدس التي توضع على أجسادنا .. ثم ماذا بعد كل هذا وقد غاب ينبوع المحبة الإلهية الثالوثية، إذ تحول الثالوث إلى صفات: الوجود والعقل والحياة لكي يختفي حتى أهم وأبسط تعليم رباني: "الله المحبة ومن لا يحب لا يعرف الله" (١ يوحنا ٤: ٧-٨). وحاصرت قيادة الأنبا شنودة الثالث الروح القدس بهرطقة جديدة، وهي الحلول المواهبي، وعدم حلول الروح القدس نفسه أي الأقنوم فينا، ويشن أغلب الأساقفة حرباً على القمص متى المسكين لمحاصرة ما كتبه عن الباركليت والعنصرة وغيرها من دراسات عن الروح القدس صدرت في مجلدين — الروح القدس الرب المحيي — وأصبح كل من يتحدث عن الروح القدس هو هرطوقي ...

أنت مثل غيرك ضحية هذا التسلط، ولكن الله يحرك القلوب، ولا يرضى بالتخاذل وهو الذي قال للنبي إن وادي العظام اليابسة سوف يصبح جيشاً حياً، وهكذا نقوم نحن من وهدة النوم الطويل ...

ماذا عن روح الشركة (٢ كو ١٣: ١٤)؟

أولاً: أعلن الروح القدس عمل الله للأنبياء، ولذلك لم يكن العهد القديم هو عهد شريعة فقط، أو عهد حروب اسرائيل فقط، كما يلخِّص فكر الموت، بل كان عهد الآباء والأنبياء، وكان إله العهد يُرسل روحه، لكن الموت يجعلنا نرى البقع السوداء قبل اللون الأبيض.

ثانياً: جاء الروح بميلاد يسوع من البتول في عملٍ خفيٍّ، في عمل ورسالة يسوع، ثم استُعلِن في معمودية يسوع لكي يؤسس مسحة العهد الجديد، ولا زال

خفياً سرياً يعمل مع يسوع حتى يوم العنصرة عندما استعلن في الكنيسة حسب شهادة سفر الأعمال.

ثالثاً: بعد ذلك فتح الشيطان باب الهرطقات، وغرقت الكنيسة الجامعة في مسيرة طويلة مع تشتت الفكر مع تزييف الإنجيل، أولاً في حركة التهود التي حاربها الأسد الطرسوسي، ثم ثانياً في الأريوسية التي ساندها أباطرة وحاربها الرسولي .. مسيرة طويلة تمر في نفق النسطورية والأوطاخية، ثم حروب أخرى عقائدية مزيفة.

ومن هذا الرماد برز موضوع الروح بعد استشهاد كنيسة روسيا على يد البلاشفة في كتابات المهاجرين، ليبعث تجديداً روحياً في لبنان وسوريا ومصر ... بولجاكوف - لوسكي - جورج خضر – متى المسكين – مينا المتوحد – بيت التكريس – نصحي عبد الشهيد ... وقافلة جديدة.

من لديه قدرة، يمكنه أن يؤرخ لهذه المسيرة الطويلة من ايريناوس ضد الهرطقات، إلى شنودة الثالث النسطوري وبيشوي اللاهوتي الأول تلميذ انوميوس وعاشق القوة والطاقة وجاحد ألوهية الروح القدس ..

كيف تصير الكنيسة حقاً وفعلاً جسد المسيح بدون الروح القدس، وهو الذي كوَّن ناسوت الرب في أحشاء البتول لكي "يكون بعد ذلك كل إنسان جديدا؟ وحقاً قال شيخ الإسقيط: "بيت لحم مسقط رأس الانسانية الجديدة المفتداة"؛ لأن آدم الثاني قد ولد؛ لكي يؤسس ميلاد جديد.

ماذا يعطي الروح القدس من ذاته؟

هو يعطي لنا أن نعرف الآب والابن لأنه هو يعرفهما، فهو استعلان معرفة، ولذلك يقول رسول الرب إنه يفحص أعماق الله (١كو ٢: ١٠)، فهو يُعلن ما يعرف لأنه في أعماق الله ويعرف سر الآب والابن.

هو "روح الابن"؛ لأنه مسح الابن، ولأنه شريك الابن في خدمته وفي موته وفي قيامته، فهو الذي أقام يسوع من الأموات ..

هذه محبة الروح لنا: يقيم الوسيط، لكي من الوسيط وبالوسيط نقوم.

وعندما يشترك في معجزات المسيح يسوع، يؤسِّس لنا الشركة لكي نفهم أن أول عطايا المحبة هي الشركة، لا أن نحفظ أي هبة لنا؛ لأن الرب نفسه لم يحفظ حياته لذاته، بل "بذلها لأجلنا"، وأعطاها "لنا". والبذل والعطية هما من عمل الابن بالروح القدس؛ لأن الروح القدس ينبثق من الآب، وهو "روح الآب"، ليس بالملكية حسب الموت، بل بالشركة حسب المحبة؛ لأنه لا موت في الله، بل حتى على الصليب "ذاق الموت بالجسد"، أو "في الجسد"، لا فرق إلَّا عند الشيع من محبي العراك ورعاع معارك الألفاظ.

فإذا كنتَ قد أدركت الآب في أبوته والابن في بنوته، فالروح هو روح شركة الآب والابن، أي استعلان الآب والابن. وفي هذا الزمان هو استعلان التدبير الذي به دخلنا نحن هذه الشركة. ولاحظ أنها شِركة من يُشرك، أي الشِّرْك، وليس شَرِكة، وهي غير معروفة في العربية، بل من اختراع المسيحيين خوفاً من الاتهام بالشِّرك، مع أن الشِّرك -تحديداً- هو إضافة آخر إلى الله، وليس شِركة الإنسان في الله. ولكن، حتى الأنبا شنودة الثالث لم يدرك هذا، ولذلك كتب أن الشركة في الطبيعة الإلهية هي جريمة الشِّرك التي يحاربها الإسلام، على أمل أن نقع نحن في يد عصابات الإرهاب التي لديها أعداءِ أهم من متى المسكين وجورج بباوي وغيرهم ..

عندما نشترك، نسترد الإنسانية الحقيقية الجديدة الأبدية التي تتكون على صورة يسوع، والتي تبدأ هنا وتكمل في الدهر الآتي. يُكوِّن الروح فينا هذه الإنسانية الجديدة ... يعطي الروح من قداسته الذاتية، أي الخصوصية، التي ترد إلينا ما فُقِدَ في الخطية.

القداسة هي العودة إلى الأصل، إلى الله؛ لأن الله قدوس لا مثيل له وفريد لا يوجد له مثال أو شبيه ... ونحن نشترك ما هو فريد في الإنسانية: الحرية — المحبة — الحكمة.

عندما ننال: التبني — مجد الألوهة، وهو المحبة (يوحنا ١٧: ٢٦).

روح المحبة:

بعد أن برهن رسول المسيح عن عجز الشريعة (رو ٢: ٤)، وقدَّم قلب الإنجيل، أو جوهره بعد ذلك في باقي الإصحاحات التي يؤكد فيها قبول الله لنا، وهو قبولٌ عُرِفَ في لغة عربية ركيكة باسم "التبرير"، وصار صراعنا مع اللفظ العربي، بينما الأصل اليوناني، بل القبطي، لأن المترجم إلى العربية لم يفحص الأصل العبراني واليوناني، ولكن هذا هو نص الكنيسة القبطية (رو ٥: ١).

Ⲉⲧⲁⲩⲑⲙⲁⲓⲟⲛ ⲟⲩⲛ ⲉⲃⲟⲗ ϩⲓⲧⲉⲛ ⲫⲛⲁϩϯ.

لأن ما يعرف باسم البر **ⲉⲩⲙⲉⲑⲙⲏⲓ** هو الحق أو العدل، أو حسب القبطي والمترجم حرص أن يشرح الكلمة العربية "بر وتبرير" إلى "الزلفى والقربى عند الله"(٢٠). هي علاقة الصلاح الإلهي الذي يقبل بلا شروط سوى الإيمان ولا يكون الإيمان هو مصدر ما صار في سوق تجارة الوعظ، "التبرير"، بل الفعل حتى في العربية هي **مبني للمجهول؛ لأن الله هو الذي يُبرر وليس الإيمان**، أي يعطي العلاقة الصادقة الحقيقية التي لا تقيم أي وزن للأعمال. والمثال في الإصحاح الرابع هو إبراهيم أب الآباء. بعد ذلك نحن ندخل إلى هذه "التي نحن فيها مقيمون" (رو ٥: ٢).

انسكاب الروح القدس:

الفعل سكب هو خاص بتقديم الذبائح، ولذلك يستنكر المزمور تقديم أو سكب دم الذبائح لمن يتعدى الشريعة (مزمور ١٦: ٤). وعن صلب الرب يسوع يقول النبي عنه إنه "سكب للموت نفسه (حياته)" (أش ٥٣: ١٢). وعندما "يسكب" الروح حياته علينا، فهو انسكاب بغنى (تيطس ٣: ٦). هذا ليس مجرد نزول فقط؛ لأن المرأة سكبت الطيب على رأس الرب (متى ٢٦: ١٢). وعند رد الشعب من السبي: "لا أحجب وجهي عنهم بعد لأني سكبت روحي على بيت إسرائيل يقول السيد الرب" (حزقيال ٣٩: ٢٩)، وهكذا تحققت النبوة في إشارة واضحة في عظة القديس بطرس في يوم العنصرة؛ لأن الآب سكب الروح على

(٢٠) الفضل للدكتور Hurvey Staal الذي نشر مخطوطة ١٥١ في دير سانت كارتين وحقق النص مع استاذنا الراحل عزيز سوريال عطية نُشر في لوفان – ١٩٨٥ راجع ص ١١.

الكنيسة في يوم العنصرة (أع ٢: ٣٣).

لكن إذا عدنا إلى الاستعمال الليتورجي الخاص بذبائح العهد القديم عن سكب الدم، وعن الرب يسوع نفسه الذي سكب حياته للموت (أش ٥٣: ١٢)، فإن انسكاب الروح القدس (يوئيل ٢: ٢٨ – أع ٢: ١٧)، وفي عبارة الرسول بولس، وهو يقدِّم ذاته للموت في الشهادة كذبيحة: "أنا الآن أُسكب سكيباً" (٢ تيمو ٤: ٦)؛ لأن في آلام الرب حسب (مزمور ٢٢: ٤) يقول الرب نفسه: "كالماء انسكبت". هكذا يسكب الروح القدس ذاته، وفي قداسته المطلقة ينسكب على الطبيعة المخلوقة الدنسة الخاطئة، ويأتي إلينا بذات تخلي الابن (فيلبي ٢: ٦) لكي يحيا في قلوبنا الإنسانية التي لا تعرف إلَّا المحبة المحاصرة بالموت وبالأنانية وبالبحث في الذات.

لكن رسول الرب يقول إن "محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا (رو ٥: ٥). ويا ليت المطران يراجع النص القبطي لأن المعطى لنا هو ⲉⲧⲁϥⲧⲏ̅ⲓϥ ⲛⲁⲛ لأنه عطاء شخصي لأشخاص، وليس قوة، والذي انسكب ليس قوة، بل الروح نفسه الأقنوم.

وبقية التعليم تؤكد أنه انسكاب المحبة (رو ٥: ٨)؛ لأن الله أعلن محبته لنا.

التسليم الكنسي الذي دوَّنه القديس هيلاريوس أُسقف بواتييه، إذ يذكر في كتابه "الثالوث" ٢: ١:

"نحن نوصي الكل بأن يعمدوا باسم الآب والابن والروح القدس، وهو الاعتراف بالأصل، وبالابن الوحيد، وبالعطية. يوجد أصلٌ واحدٌ للكل وهو الله الآب "الذي منه الكل"، وربنا يسوع المسيح الرب الواحد الذي به الكل، والروح القدس الواحد العطية في الكل". فهو العطية التي أراد الرب أن يقدِّمها لنا (يوحنا ٤: ١٩ – ٢٤ كتاب الثالوث ٢: ٣١).

واسم الروح القدس هو العطية Gift (٢: ٣١).

ويشرح بعد ذلك في الفقرة (٣٤) أن المواهب هي "استعلان الروح القدس" حسب ذكر رسول المسيح في (١كو ١٢: ٣ وما بعده.

ولكن الكلمات في الفقرة (٣٥) هامة:

"العطية الواحدة التي تُعطى في المسيح هي للكل وفي كل مكان حسبما نشاء وتبقى معنا".

عندما ينسكب الروح القدس في قلوبنا، نعرف حرية محبة الله حيث يعطي:

١- بدون سبب.

٢- للتبني (رو ٨: ١٥)، وليس للعبودية (رو ٨: ١٦).

٣- لميراث الملكوت كورثة، أي ملوك مع الملك يسوع (رو ٨: ١٧).

وعندما نتحرر من حصار الموت ونذوق حلاوة عطية الآب الذي لم يعطِ لنا فضلات أو أموراً زائلةً، أو عطيةً زمنيةً، بل ذاته في انسكاب الروح، يمكننا أن نرتل:

"أيها الملك السمائي المعزِّي روح الحق،

الكائن في كل مكان كنز الصالحات وواهب الحياة،

هلم تفضَّل وحِل فينا .."

لأنه كما كنت مع التلاميذ يا ربنا يسوع وأعطيتهم الروح القدس،

هلم الآن كن معنا،

وامنحنا ذات الروح، الرب المحيي.

الصعود، كمالُ التدبير(٢١)

السماءُ ليست مسافةً.

كانت هكذا قديماً، عندما كنا نجهل الله.

ولكن

بتجسد الابن وموته وقيامته صار الحي إلى الأبد، يسوع يملأ السماء بحضوره، حمل الناسوت إلى السماء، وملء السماء، ليس كماً ولا حتى نوعاً، بل تحقيق غاية أبدية. صار حضورنا فيه كاملاً، حضوراً يفوق كل الحدود. هو رأس وبداية، وهو الحياة الإلهية المتجسدة. صرنا فيه الحياة الإنسانية المتألهة. وعندما يتأله الإنسان يظل وجوداً معتمداً على النعمة؛ لأن الثالوث أحبَّ الإنسانية، وجعل الإنسان محبوبه الذي لأجله تجسد الابن، ومحبة الثالوث ثابتة تحفظ المحبة. دخولُك السماء بالجسد، قال عنه رسولك: "لتظهر أمام **وجه** الله لأجلنا" (عب ٩ : ٢٤)، ليس كوسيط فقط، بل لأن "الله هو الذي أشرق نور معرفة مجده في **وجه** يسوع المسيح" (٢كو ٤ : ٦). إنه ذات الوجه الإلهي المتجسد الذي يحمل صورتنا أمام وجه الله الآب. لاحظ –أخي القارئ– أن "وجه" هي "شخص أو Prosopon أو أقنوم"، هو يظهر أمام وجه الآب بذات الإنسانية الممجدة التي نالت المجد من الآب والابن والروح القدس، جعلت حضور المتجسد (وجه يسوع) يحمل معه كل ما للإنسانية من أوجاع وآمال، من تعب وخلاص، من صراع وتقديس، يأتي بما هو أرضي إلى السماء. ويحفظ ما هو سمائي لكي يوهَب للأرض.

---

(٢١) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١٣ يونيو ٢٠١٦.

يسوع قبل القيامة وبعد القيامة(٢٢)

صعبٌ علينا يا رب أن ندرك هذا التحول الكبير في علاقتك بنا. فقبل القيامة كنت تطوف قرى اليهودية تعلِّم، وذهبت مرةً إلى السامرة لكي تقابل السامرية. كنت تسير على قدميك مثلنا، تحمل ذات الجسد القابل للموت، والذي يتحرك مثل أجسادنا، وإن كان في مناسبات قليلة جداً ظهر مجد الألوهة فيه بالسير على الماء، وبالمرور وسط حشدٍ يريد قتلك وأراد أن يرميك في وادٍ عميق، ولكن ساعتك لم تكن قد حانت بعد.

أما بعد القيامة، فأنت لا تسير على قدميك مثلنا، بل أنت في كل مكان، ليس فقط لأنك وعدت: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الزمان" (متى ٢٨: ٢٠) بل لأنك فعلاً تحل في القلوب. كان الأتقياء من اليهود يؤمنون بأنه إذا اجتمع اثنين أو ثلاثة لدراسة التوراة حلَّ المجدُ الإلهي عليهم (الشاكيناه)، وها أنت تعلن لنا أنها لن تكون التوراة، بل: "حيثما اجتمع اثنين أو ثلاثة **باسمي** فهناك أكون في وسطهم" (متى ١٨: ٢٠)؛ لأنك أنت الشاكيناه، المجد الإلهي الحقيقي الأبدي الذي استُعلن على جبل طابور.

قبل القيامة كنت في العلِّية توزِّع جسدك ودمك، وكنت تعرف أن بطرس سوف ينكرك، وبالرغم من ذلك لم تمنع التناول عنه. ولكن الآن بعد القيامة، أنت في كل قُداس، فقد صار كلُّ قداسٍ "علِّيةً" توزِّع فيه علينا جسدك ودمك، ولا يملك أحدٌ أن يفعل ذلك إلا أنت، وهي حقيقةٌ عبَّر عنها القداس الغريغوري في دقةٍ غابت عن قلوبٍ ظنَّت أن الخدمة الرسولية سلطانٌ وعنفٌ وحرمان: "يا الذي بارك في ذلك الزمان الآن أيضاً بارك .. يا الذي أعطى في ذلك الزمان أعطي لنا ولكل شعبك جسدك المقدس ودمك الكريم". فلا سلطان لأحدٍ على جسدك إلا سلطانك أنت

(٢٢) جزء من مقال مع المسيح من الشعانين إلى القيامة المنشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ إبريل ٢٠١٧.

وحدك، ولكن عندما دخلت القساوة في خدمتك؛ ظهرت أيقونة العشاء الرباني بدون يهوذا، في حين أنه كان يجب أن تظهر بدون بطرس. وحينما قلتَ: "كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة" (متى ٢٦: ٣١)، لم يكن لديك استثناءٌ لأحد.

وهكذا، غابت أيقونة محب البشر الذي غسل قدمي يهوذا وأعطاه التناول.

كيف حدث التحول؟

الآن أنت تطوف، ليس القرى، بل العقول والقلوب، تفتِّش عن قلبٍ يحبك لعلك تجده لكي تدخل وتتعشى معه وهو معك (رؤ ٣: ٢٠). تحولٌ من المشي إلى الاستعلان، كيف حدث هذا التحول؟

سوف ندرك سهولة الإجابة عن هذا السؤال عندما نعرف أولاً لماذا حدث التحول من المشي إلى الاستعلان:

١- امتدت حياة يسوع لتدخل حياة كل إنسان مائت.

٢- استعلن محبته وعطاء ذاته في السرائر في المعمودية والمسحة والميرون وسر الشكر.

وهنا أذكُرُ بكل حزنٍ كيف أثار الشيطان حرباً على الأب متى المسكين عندما أقتبس نصَّاً من أوغسطينوس عن سر المسحة يقول فيه إن كلَّ مَن يُمسَح صار "مسيحاً". وانطلقت الألسنة تحشد أكبر قدر من التدليس، بل والكذب.

الاسم "مسيح" جاء من اليونانية، وورد أولاً في سفر الأعمال ١١: ٢٦ وانتشر بعد ذلك: (رسالة بطرس الأولى ٤: ١٦ – وفي شرح مسحة الميرون: العظة على السرائر للقديس كيرلس الأورشليمي): "بسبب المسحة صرنا مسحاء لأن المسيح Χριστος يعني الممسوح من العبرانية، أي الذي مُسح بالروح القدس". فقد صارت السرائر تجمعنا بالرب الواحد.

نحن نرتفع إليه بالروح القدس. وما استدعاء الروح القدس في الأسرار إلا عودة الوعي والفهم إلى الحضور الإلهي الذي مُنح لنا في يسوع المسيح؛ لأن الرب يسوع هو الذي سكب علينا الروح القدس في يوم العنصرة لكي يجمعنا في الروح الواحد.

صرنا جسد المسيح الواحد فعلاً لا قولاً فقط (١كو ١٢: ١٢ – ١٢: ٢١-٢٧)، فقد اتحد بنا الرب وصار رأس الجسد الكنيسة الذي من الرأس تولد الأعضاء (كولوسي ٢: ١٩).

تألُّه ناسوت الرب يسوع:

لقد شرحنا هذا الجانب من قبل ولا داع لأن نعيد ما سبق ونُشِر، لكن الجانب العملي التطبيقي، هو تجلي هذا الناسوت بكل خيرات اللاهوت: الحياة غير المائتة – الحياة السمائية – الحياة الإلهية ... الخ وذلك مع بقاء هذا الناسوت ناسوتاً؛ لأن بقاء الناسوت يعني بقاء كل إنسان في الدهر الآتي إنساناً، رغم تألُّه الناسوت، ورغم تألُّه كل إنسان؛ لأن هذا هو إنسان القيامة الذي لا يمكن لحدود الزمان أن تحاصره. هو فوق الزمان؛ لأنه غَلَبَ الموت. وفوق كل أبعاد الزمان؛ لأنه لا يحيا في الماضي مثل المائتين، هذه هي قوة القيامة: أن يسوع صار "هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عب ١٣: ٨).

لذلك يذكر الرسول أن يسوع صار "مستتراً في الله"، وأن حياتنا نحن أيضاً صارت مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣). هذا الاستتارُ هو استتارٌ مؤقتٌ؛ لكي ننمو نحن بحرية دون أن يتحول ظهور الرب بمجده الإلهي إلى قوة تلاشي حرية الاختيار عندنا.

العلاقة الخارجية ليست شركة:

يبدو أننا لم نستوعب بعد الأبعاد الحقيقية للهرطقة النسطورية. لقد أقامت النسطورية كل ما يمكن أن يصل إليه العقل من تصورات عن علاقة سيادية خارجية بين الإنسان يسوع، وبين أقنوم الله الكلمة. ولأننا لم نستوعب ذلك بعد، نجد أننا عُدنا إلى مربع النسطورية مرةً أخرى بالحديث عن ما يسميه البعضُ "علاقة"، والحديث عن "قبول الرب في حياتنا"، فلم نعد نسمع عن الاتحاد بالرب بالروح القدس؛ لأن الكلام عن الروح القدس أصبح محرَّماً خوفاً من الاتهام بـ "الخمسينية". وهكذا وصلنا إلى أننا ننال "طاقةً"، "وروحاً قدساً"، وبالتالي عُدنا إلى العلاقة من

الخارج، أي إلى ذات الأيديولوجية النسطورية – طبعاً عن جهل.

ما حدث قبل القيامة يُعطى لنا بعد القيامة:

الميلاد البتولي: يُوهَب في المعمودية بالميلاد من الماء والروح، لنعود إلى الله آباً لنا عوضاً عن آدم الأول (يوحنا ١: ١٢). بالتجسد، دخلنا شركة حياة الثالوث في الابن "الرأس"، و"الأصل"، و"الجذر" الجديد للإنسانية الجديدة (٢كو ٥: ١٧-٢١). وهنا على صخرة التجسد تحطمت كل دعاوي الانفصال بين الله والبشر.

تعليمُ الربِّ: صار تعليم الرب أساس التدبير: الغفران الذي بلا شروط في مثل الابن الضال – نهاية حكم الشريعة برفض رجم الزانية، وأمور ضرورية أخرى، دخلت في التسليم الكنسي، فصار الابن يتجلى في أيقونة التعليم إذا قُدِّمَت لنا كما قدَّمها الربُّ نفسه.

ومن التعليم وضع الربُّ سرَّي المعمودية والمسحة، وذلك عندما اعتمد هو، وهو ما يسجله أثناسيوس (الرد على الأريوسيين ٢) "وفيه، أي في المسيح مُسحنا (١ يوحنا ٢: ٧) أما المسحة التي أخذتموها منه "فهو الذي يمسحنا".

الصلب والموت والقيامة: صُلبنا معه (رو ٦: ١-٨)، ليس بالإيمان والفكر والإرادة فقط، بل وبالتغطيس في مياه المعمودية، ودفننا معه لكي نقوم معه.

ويأتي هو لكي يوزِّع حياته علينا في السر المجيد بواسطة الروح القدس الذي مُسحنا به، والذي يقدِّم لنا جسد الرب ودمه؛ لأن الروح هو الذي كوَّن جسد الرب في أحشاء البتول.

ما حدث قبل القيامة، صار علامات وأساسات للتدبير في النماذج التي قدَّمها الرب للتلاميذ الذين كانوا معه وعبروا الشكوك. بل جاء بمن لم يكن له معرفة سابقة، وهو شاول لكي يصبح أكثر من كرز بالإنجيل، بل لكي يقف ضد أعنف حركات الردة، وهي حركة التهود التي حاولت "قنص" الذين آمنوا بالمسيح، لكي يصبح شاول رسول الأمم ويفتح آسيا الصغرى لبشارة الإنجيل.

يوم القيامة، قيامتنا في المسيح(٢٣)

المسيح قام. حقاً قام:

"الرب قام" هي الصيغة الأقدم التي كانت تحية المسيحيين بعضهم لبعض، فصارت قاصرة على "موسم الخماسين"، رغم أن طقس الليتورجيا لا زال يذكِّرُنا بأن يوم الأحد هو عيد قيامة الرب.

حَسَنٌ أن نفرح بقيامة الرب يسوع، ولكن، هل سرى فينا ذلك الحس الروحي بأن عيد القيامة هو عيد قيامتنا نحن، وأننا نحتفل بقيامتنا، وليس بقيامة الرب فقط؟

ما أصاب حياتنا من عطب، نتج عن أننا جعلنا كل أحداث الخلاص قاصرةً على الرب وحده، بالرغم من أننا نعترف: "هذا الذي لأجلنا نحن البشر نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ..". ولكن لأن الكثيرين يرددون هذا الاعتراف دون وعي، فقلائل هم الذين يدركون أن كل أحداث الخلاص هي "لأجلنا".

كيف تغلغلت قيامة الرب في كياننا الذي يعاني المرض والألم، والموت؟

أولاً: نحن نذوق الاتحاد بالرب يسوع؛ لأنه يعمل فينا بالكلمة التي تعطي لنا الحياة: "كل كلمة تخرج من فم الله المتجسد"، بالحضور الشخصي أي الأقنومي، فينا والذي نحسَّه ونراه حسب اتساع وأصالة محبتنا للرب، ثم بما يفعله روح الحق، إذا ينير لنا الحياة الآتية التي ليس فيها انفصال، وليس لها نهاية؛ لأن النهاية تحولت من العدم إلى الغاية، وهو التحول الكبير في الرؤيا؛ لأننا أصبحنا نرى في الرب، ليس نهاية حياتنا، بل غاية وهدف الحياة، أي أن يكون الرب معنا وفينا، وأن نحيا له؛ لأنه "حيٌّ فينا"، أو حسب عبارة رسول الرب: "المسيح فيكم رجاء المجد".

بهذا الاتحاد بالرب، لا يصبح الموتُ نهايةً، بل نهاية الوجود الإنساني الترابي

---

(٢٣) جزء من مقال مع المسيح من الشعانين إلى القيامة المنشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١١ إبريل ٢٠١٧.

الخاضع للبيئة – الطعام – الشراب – الملابس – الأمراض – الصحة .. الخ. لأن الانتقال إلى غاية وهدف تجديد الكيان الإنساني لا يتم إلا بعودة الجسد إلى التراب، وهي عودةٌ مؤقتة، إذ يتم فيها تجديد الجسد مع تجديد الكون، وهو ما نعرفه باسم القيامة العامة، والتي يقول عنها رسول المسيح: "الذي سوف يغيرِّ شكل جسد تواضعنا ليصير على صورة جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)، وحتى جسد الرب نفسه مرَّ بالقبر ونام مع الأموات لكي ينهي سلطان الفساد وينزع أنياب الجحيم.

ثانياً: نحن الذين أخذنا عربون القيامة، نذوق هذا العربون من خلال ثلاث عطايا كبرى قد لا نراها عقلياً، أي بالنظر العقلي، ولكن بالحسِّ الروحي، وهو هنا ليس العواطف، بل هو أقرب إلى "الحدس"؛ لأنه نور الروح القدس، فماذا نرى روحياً؟

١- مجد الحياة الآتية الأبدية، حيث يشتعل فينا شوقٌ عارم يجعل كل شيء كما قال الرسول بولس "نفايةً" (فيلبي ٢: ٨)؛ لكي نبقى في شركة المسيح ونُوجَد فيه، ويصبح هذا هو أعظم ربحٍ لنا، وهو ما رآه الشهيد الأول أسطفانوس، الذي ترك لنا أول صلاة صلاها ليسوع: "أيها الرب يسوع أقبل روحي" (أع ٨٧: ٥٩)، والذي يرافق كل الشهداء والمتألمين من أجل يسوع.

٢- يثمر الاتحاد بالرب القبول الأبدي عند الله الآب بسبب اتحادنا بالمسيح، وهو قبولٌ؛ لأن أساس الحياة، صار هو المحبة الإلهية التي لا دينونة فيها: "وخطاياهم لا أعود أذكرها بعد"، فقد فاضت المحبة الإلهية، وأعطت الإنسان: التبني – ميراث الملكوت – سكنى الروح القدس الأبدية فينا؛ لأنه هو، أي الروح القدس هو الذي يسكب المحبة الإلهية فينا (رو ٥: ٥)، وهو الذي يجعلنا نرى هذا القبول الأبدي، لنقف غير مدانين، بل ننال مجد الرب نفسه (يوحنا ١٧: ٢٢). هنا بالذات، نستهين بأتعاب الجسد والشتائم والمرض والتعيير، ونقبل الاتهامات بفرح.

٣- ونرى كيف سنكون مثل الرب نفسه (١يوحنا ٣: ٣)، ليس بقدراتٍ وأعمالٍ فعلناها، بل بسبب محبته التي عبرَّ عنها في أطول صلاة له قبل الصلب، لكي يكشف –قبل صلبه– عن المصير المشترَك الذي سوف يجعلنا واحداً معه ومع الآب والروح القدس.

كان أحد شيوخ الإسقيط يقول: "لأجلنا خرجت يا يسوع، ولأجلك خرجنا نحن لكي يكون لنا ذات النهاية". لقد جاء الرب إلينا، وهو سيكون دائماً معنا في كل خطوة وفعل، بل في كل دقيقة؛ لأنه الحي الذي يشفع فينا (رو ٨: ٣٤)، وهي شفاعةُ مَن يقف معنا، ومَن هو فينا معزِّياً ومرشداً ومشاركاً لما نمر به.

قيامة الرب يسوع هي قيامة الكون

القيامة العامة ليست للبشر فقط، بل هي "السماء الجديدة والأرض الجديدة" (رؤ ٢١: ١). والكشف عن قيامة الكون يتم من خلال "مخاض" (رو ٨: ٢١) الكون الدائم: الحروب – سحاب الكراهية – تدمير الحياة والمنشآت – الصراعات الدامية التي لا تسحق الأفراد فقط، بل والشعوب أيضاً.

عندما أقرأ صحافة في وإعلام مصر أن كراهية المسيحي واجب، وأن هدم الكنائس مشروعٌ، وأنه عملٌ يطلبه الله، أجد نفسي أمام سحابة البغضة والكراهية القاتلة. والشعوب التي ترضى بأن تصبح الكراهية والقتل مشروعان، ويؤيدهما الشرع، إنما تربِّي وحشاً دموياً لا يرضى إلا بالدماء. هذا الوحش، عندما يأكل كل ضحاياه لا يشبع، وإنما لابُد وأن يخترع ويخلق ضحايا جدداً لكي يبقى حياً. إن نزعة التدمير التي تجد شرعيةً لها في وصايا الله، لا تعرف الخطوط الحمراء التي يجب أن تتوقف عندها، فكل شيءٍ مباحٌ وشرعيٌّ. ولكن يجب أن ننتبه إلى أننا قد شاهدنا آخر الأنظمة الشمولية الاستبدادية تنهار، رغم أنها وعدت تابعيها بفردوسٍ أرضي؛ لأن الصراعات الداخلية والريبة والشك والخوف والانتقام من الآخر، جعل "الثورةَ تأكل نفسها".

مخاضُ الكون –كما قال الرسول بولس– فيه "أنين" الذين نالوا الفداء ولا زالوا في انتظار فداء الجسد (رو ٨: ٢٢). ولكن هنا بالذات، يتَّحدُ "أنينُ" المفديين مع "أنينِ" الروح القدس، وهو يرى ويعمل في ضحايا العنف، وفي الذين يعيشون مأساة "التهميش"، وفي ضحايا الهجوم المتواصل على التعليم الرسولي الذي يفيض بغزارة من المحبة الإلهية في تجسد ابن الله، وفي حلول الرب فينا بالروح القدس.

عربون تجديد الكون في الليتورجيا:

إن اجتماع شعب الرب حول مائدة الملكوت هو أيقونة الكون الجديد، تلك التي تحمل ملامح: الوحدة – حلول الله فينا ومعنا – خدمة الثالوث لنا – شركتنا مع السمائيين الواقفين حول العرش الإلهي، ثم توزيع الطعام السمائي الموحِّد الكل، الطعام الذي لا ينتهي ولا يفسد، بل يُقدِّس.

هذا هو العربون الذي أخذناه، والذي نأخذه في كل قداس، وهو مستحيلٌ بدون القيامة؛ لأن إبادة الفساد والموت وسلطان الجحيم قد تحقق بواسطة آدم الجديد أو الثاني الذي يقودنا في موكب نصرته". لذلك تحرِّضُنا صلوات الأواشي على أن نبقى في دائرة التدبير؛ لأننا نقدِّم الكون بكل ما فيه، حتى "حيوانات الحقل" لله، ليس كسادةٍ، بل خُداماً في مأدبة الملكوت حتى يتم كمال المواعيد ويغيِّر الربُّ الكونَ و"يُبتَلَعُ المائت إلى حياة" (٢كو ٥: ٤).

أيها الحزانى:

لقد أقامنا المسيح معه، والذين في القبور أنعم عليهم الربُّ بالحياة،

وسوف ننضم إليهم وإلى القديسين والشهداء الذين نحبهم.

يا مَن ظُلِمَ:

لقد قام المسيح، وهو المخلص الحي الذي سوف يحوّلنا إلى مجده،

ويرفع الظلم، بل وسوف يُلاحق الظالم بالرحمة.

يا أُم الشهداء:

إن أساسَكِ حيٌّ، وهو صخر الدهور،

في موكب قيامته عِشتِ وشَهدتِ، وسوف تشهدين:

الرب قام. حقاً قام.

تهنئةٌ من القلب لشعب مصر،

ولقداسة البابا تواضروس والأساقفة والكهنة الأرثوذكسيين، وللشعب الأمين.

تعزيةٌ من القلب لأسر شهدائنا الأبرار من أبناء أُم الشهداء الجميلة،

ومن رجال القوات المسلحة والشرطة، ولكل شعب مصر.

وليكن معلوماً للجميع إن فقدان الشهداءِ هو مخاض الحياة الجديدة،

وهو الوجع الذي يلد الحرية.

المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه[٢٤]

-١-

تهنئةٌ بقيامتنا، رغم الدموع والأحزان. فقد قام المخلِّصُ مُعلِناً نهاية الموت.

وصوت معلمنا أثناسيوس يعيد لنا الثقة في رسالة وخبر الإيمان: "قديماً قبل المجيء الإلهي للمخلص، كان الموت مُرعباً .. أمَّا الآن بعد أن أقام المخلص جسده، لم يعد الموتُ مخيفاً؛ لأن جميع الذين يؤمنون بالمسيح يدسونه كأنه لا شيء" (تجسد الكلمة ٢٧: ٢). وقبل ذلك يُسلِّم لنا القديس أثناسيوس أننا بقوة علامة الصليب ندوس الموت كَميِّتٍ (تجسد الكلمة ٢٧: ١). "وإن الموت ... قد مات حقاً" (تجسد الكلمة ٢٧: ١).

فكيف مات شهداء مصر؟

يجيب نفس المعلم: "نحن الذين نؤمن بالمسيح لن نموت (بحكم) الموت الذي صدر مِن قبل حسب تهديد الشريعة؛ لأن هذا الحكم أُبطلَ" (تجسد الكلمة ٢١: ١). فكيف نموت إذن إذا كان حكمُ الموت قد أُبطِل؟ الفرقُ ظاهرٌ: مَن يموت بحكمٍ من الله ليس كمَن يموت "حسب طبيعة الجسد المائتة" لأن الجسد المائت لابد أن ينحل لكي ينال قيامة أفضل (عب ١١: ٣٥ - تجسد الكلمة ٢١: ١). ونحن كما قال الرسول بولس، وكما يشهد القديس أثناسيوس: "لأننا -كالبذور نلقى في الأرض- فهكذا نحن لا نفنى عندما ننحل بالموت، بل نُزرع في الأرض لنقوم ثانيةً؛ لأن الموت قد أُبيد بنعمة المخلص" (تجسد الكلمة ٢١: ٢).

(٢٤) ثلاث مقالات منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في الفترة من ١٨ إبريل حتى ٢٢ إبريل ٢٠١٧.

فكرة الموت:

الموتُ قابعٌ في فكرنا. نراه في الآخرين ونحسُّ به نحن أنفسنا؛ لأن كل شيء في الحياة له "نهاية". لكن كلمة نهاية *end* صار لها معنى آخر، هو "هدف، أو غاية *Purpose*". عندما نحسُّ بالنهاية، أي *end* فإن الايمان بالمسيح يجب أن يقودنا إلى الغاية *Purpose* لأن اتحادنا بالمسيح هو الغاية، هو الهدف الذي لأجله نحيا، ولأجله نموت لأننا نقوم فيه.

فكرة الموت قد تُخيف، ولكن ليس فقط "الهدف" هو الذي يدفعنا إلى عدم قبول الفكرة، بل اتحادنا بالرب الذي هو حياتنا الأبدية. فطوبى لمن عَبَرَ إلى الحياة الحقيقية مُتَّحداً بالرب؛ لأنه عند اقتراب انفصال النفس عن الجسد، سيرى الراعي الصالح وقد جاء لكي يحمله معه إلى الفردوس؛ لأنه "حَمَلَنا نحن البشر في جسده" (تجسد الكلمة ٢٥: ٦).

في القدس الإلهي عندما يوزِّعُ الربُّ علينا جسده ودمه، فهو يوزِّع جَسَدَه غالبَ الموتِ، وهو ما تعبِّر عنه الليتورجيا بـ "الأسرار الإلهية السمائية غير المائتة" لكي ننال "عربون القيامة"، ولكي نعود إليه عندما نتناول السر المجيد.

طوباكم يا مَن دخلتم أورشليم مع الرب حاملين معكم تقدمة حياتكم،

لكي تنالوا مجد الرب نفسه.

صَلُّوا لأجلنا نحن الذين لا نزال نعيش في الجسد الترابي،

وصَلُّوا لأجل مصر وكنيسة مصر لكي تعبر حياة الدهر الحالي.

المسيحُ قام. أقامنا معه وفيه.

المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه

-٢-

نَلمَسُ قيامة الرب في الرجاء الذي دون أيِّ سببٍ معقولٍ يدركه العقل، يدخلُ قلوبنا ويستقر فيها، رغم وجع المرض، ورغم الأخبار المزعجة. يستريح القلب في يسوع الحي، فهو حياتنا الحقيقية التي لا يمكن أن تُنزع منا.

حضور الحي القائم من بين الأموات فينا عندما يهاجمنا أحدٌ ما بالكلامِ، أو بالايذاء البدني، نحس به في ثباتنا في محبة الرب، وفي تمسكنا بالاعتراف به رغم التعيير. وإذا بحثنا عن سببٍ فينا لا نجد، ولكنه الربُّ الحيُّ فينا، والواهب هذا الثبات.

في أدبيات الكنيسة أُم الشهداء، زيارة المقابر عند الذين نَمَت فيهم محبة الرب، تصبح مصدر تعزية وسلام وفرح. فسوف نرقد في الرب؛ لنقوم لحياة جديدة ولسماء جديدة.

ما أعذب أعياد القديسين والشهداء، فهي تعطينا إحساساً عميقاً بأننا لسنا نذكرهم فقط، بل تذكِّرنا بما لدينا معهم من حياة واحدة واتحاد حقيقي، فكل أعضاء الجسد، جسد المسيح الحي الكنيسة، هم غالبين للموت، وغلبة الموت تتجلى في الإحساس بأن أنطونيوس الكبير معنا، وأننا في معية أثناسيوس الرسولي وأرسانيوس ومار مينا، وذلك الفرح السِّري الغريب يسري فينا، مؤكِّداً لنا أننا واحدٌ مع هؤلاء؛ لأن المسيح قد جمعنا معهم في حياةٍ واحدة.

المسيح قام. وأقامنا معه وفيه.

المسيحُ قام، وأقامنا فيه ومعه

-٣-

المسيحُ قام والقبر فارغ

يشهد الرسول بطرس أن الله أقام يسوع "ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه" (أع ٢: ٢٤).

"نقض أوجاع الموت"، تعني هدم أوجاع الموت الحقيقية، وهي ظلمة النفس، وجهلها بالله. فالموتُ استطاع أن يعيد الإنسان إلى وعيه بذاته، فوجدها فارغةً بلا حياة، وهي حالة الموت وظلمة الحياة.

لكن الربَّ جاء ليكون هو النور: "أنا هو نور العالم". ودخل الربُّ ظلمة القبر وجرَّد الموت من أن يكون نهايةً، وحوَّل الموتَ إلى زراعةٍ لكي ينمو الجديد.

وأوجاعُ الموت (بصيغة الجمع)، هي أيضاً الخوف؛ فقد كان الموتُ يضرب الوجود الإنساني بـ "النهاية"، نهايةٌ مظلمة. ولكن بقيامة الربِّ، صارت النهاية معروفةَ: "القيامة"، وتحوَّل الترابي إلى سمائي. وأصبح ضرورياً دفن الترابي في الأرض، لكي يتحول في يوم مجد المسيح إلى سمائي وروحاني. من الفساد إلى المجد، ومن الضعف إلى القوة (١كو ١٥: ٤٢-٤٣). وهو عمل ضروري حتى لا يضيع كيان الإنسان، بل ينمو هذا الكيان من جديد، ويصير مثل كيان يسوع الذي خرجَ من القبر حيَّاً جديداً غير قابلٍ للألم وللفساد (فيلبي ٣: ٢١).

لقد كان من المستحيل على الموت أن يسود على مَن هو الحياة. وكان من المستحيل على مَن أعطى القيامة للأموات مثل لعازر وابن الأرملة، أن يظلَّ في قبضة الموت. هكذا لم تعد قبضةُ الموت تُمسكَ بأحدٍ من البشر؛ لأن حكمَ الموت سقَطَ تماماً. الحكمُ كان عامّاً للكل، والقيامةُ أيضاً للكل، ولكن لا يستفيد منها الكل.

أيها الحيُّ،

إن كنائسنا هي أماكن اللقاءِ بك، ولذلك نحن نحرص عليها،

فقد شهدت صلوات ودموع وقربان الذين أحبُّوك، وهي وديعةٌ عندك.

المسيح قام. والقبر فارغ.

****

صعود الربُّ بنا إلى السماء(٢٥)

لخَّصَ الآباءُ في نيقية لُبَّ الإنجيل في عبارةٍ كاشفةٍ عن عمق خبر الإنجيل أو البشارة المفرحة: "**هذا الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل من السماء** ..". جاء بالسماء على الأرض. وتهتف أُم الشهداء: "**جعل الاثنين واحداً، أي السماء والأرض**". ونحن نقول في الساعة الثالثة: "**إذا ما وقفنا في هيكلك المقدس نُحسب كالقيام في السماء**"، و"**احسبنا مع القوات السمائية**"، ومعهم نسبِّح: "**قدوس. قدوس. قدوس**".

كنت أسأل نفسي دائماً: من أين جاءت هذه الجسارة على مخاطبة الثالوث، وما هو مصدر هذه الثقة؟ وكان أساس التدبير هو السند. لقد وحَّد الإبن الكلمة ابن الآب الوحيد الأُلوهة، ذات أُلوهة الآب والروح القدس، وحَّد هذه الأُلوهة بالإنسانية التي أخذها من أُم النور، وبذلك لم تعد السماء والأرض بُعداً جغرافياً، بل صارت السماء هي الحياة الجديدة.

سألني أبي القمص مينا المتوحد عن جسد القيامة وحياة الدهر الآتي؟ وقلت له: لا أعرف. وابتسم، وقال: صورة هذه الحياة هي في حياتنا الجديدة في المسيح. الإنسان الجديد "المخلوق حسب الله" هو أيقونة القيامة، وهو الحياة السمائية.

السماءُ على الأرض تبدو مقولةً غريبةً في عالم الوجع والأحزان والقتل وسفك الدم وحرق الكنائس. ولكن الأرض دون سماء، هي سبب ذلك البلاء والطاعون الذي حوَّل عقل الإنسان من سمائي خُلق على صورة الله إلى عقلٍ ترابي أرضي خُلق على صورة الذات التي رَغَبَ فيها الإنسان وعشقها، فصارت هي ذاته *Being* أو كيانه الذي يفضِّله على الكيان أو الذات التي خُلقت ووُهِبَت من الثالوث.

---

(٢٥) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٠ مايو ٢٠١٧.

لقد وحَّد السماء بالأرض في مسيرة التدبير عندما جعل الناسوت، هيكل الله. ولذلك، قال للسامرية: ليس على هذا الجبل ولا في أورشليم حيث هيكل إله عهد إبراهيم واسحق ويعقوب. وفي ذلك الهيكل الجديد طرد كل أشكال الانفصال بتوحيد اللاهوت بالناسوت، ثم أباد الموت، صُلب بعزة الأُلوهة، وقام بعزة الأُلوهة، وبذلك أباد فساد الجسد، ثم قام حياً بمجد الألوهة، وأخذ الجسد الجديد الذي لا موت فيه إلى ذات عرش الآب وجلس رأساً لجسدٍ واحدٍ هو الكنيسة، يملك عليها بالمحبة والعطاء الدائم.

كيف جاءت السماء إلينا؟

جاءت بطوفان المحبة "**وليس شيءٌ من النطق يستطيع أن ينطق بلجة محبتك للبشر**". وتعيد عبارة القداس الوعي بأصلنا: "**خلقتني إنساناً لأنك محبُ البشر**". ومع طوفان المحبة، أو لجة المحبة، سَكَبَ الروح المعزِّي، ذلك الذي ندعوه بثقةٍ في عطاءٍ لسنا نحن مصدره، ولم نطلبه، بل وُهِبَ لنا بالوسيط والشفيع يسوع رب المجد؛ لأنه بالوساطة والشفاعة يسكُب دائماً روحه القدوس علينا من حضن الآب.

جاء المعزِّي بعد صعود الرب لكي يكشف لنا أعماق التدبير؛ إذ ينقل حياة الابن: الميلاد والمعمودية والصراع في البرية والصلب والقيامة إلينا نحن، معلِناً التصاق الرب بنا.

جاءت السماء يومَ وُلِدنا من جديد من الله نفسه، وليس من لحم ودم وإرادة البشر، بل ولادة جديدة ليس لها أصل أرضي، "بل من فوق".

جاءت السماء إلينا يومَ مُسِحنا بالروح السمائي المعزِّي بمسحة يسوع لكي نصبح مسيحيين. وصارت الأبعاد الجديدة ليست الطول والعرض والارتفاع، بل الطول هو الأبد، والعرض الشركة في حياة الله، والارتفاع هو ما فوق ما هو ترابي، أي ما يعلو على اللحم والدم، أي الفهم الذي لا يتكون من خلال الخبرة الحسية التي لا تعرف أن للحياة مصدراً آخر غير أرضي، هو الله الآب.

لقد صارت المحبة هي المقياس السمائي، ولهذا فعندما تغيب المحبة، نسقط في بالوعة الشريعة وتغمرنا مياه الأحقاد القاتلة لا مياه الحياة التي "**كل مَن يشرب منها لا يعطش إلى الأبد**".

تحيةً لشهداء المنيا الذين ذُبحوا علانيةً؛

لأن الحياةَ الحُرَةَ أفضل من الحياة الترابية التي يقيِّدُها الخوف.

ولنعلم أنه عندما تلد الكنيسة شهداء، فذلك علامةٌ على أنها كنيسةٌ حيَّةٌ؛

لأن شهادة الدم أعظم من شهادة اللسان.

صَعِدَ وأرسل لنا البارقليط
روح الحق المعزِّي[٢٦]

صعدْتَ يا ربُ بمجد الأُلوهةِ،
المجدُ الأزلي الذي لك قبل تواضعك،
سطعَ على جبل طابور
معلناً لنا كيف يسكن في تواضع الجسد،
دون أن يفقد المجد الأزلي

***

على تلك الصورة، سنصير مثلك
ومجدك الأزلي هو وحده الذي يرفعنا من حقارتنا

***

ما أعظم محبتك للبشر يا مخلصي
هي لجة الأُلوهة التي لا يقف أمامها حائلٌ

***

بصعودك يا ربُ أعلنت أنك رأس جسدك، الكنيسة
لأنك من العُلا تجمع الساقطين إلى علوِّك

***

ارتفعتَ عن كل ما هو أرضي؛
لكي ندخل السماء بك ومعك

***

(٢٦) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في عيد الصعود ٣٠ مايو ٢٠١٧.

مجَّدت طبعنا أيها القادر على كل شيء

لكي نرث ملكوتك بعزةٍ

***

اليومَ يوم صعودك

لنفرح؛

لأن المخلص لم يعد محصوراً في ظهوره بالجسد في أرض فلسطين،

بل صار معلناً بالروح المعزِّي الذي يرشدنا إلى الإيمان،

وهو وحده الذي يقود سفينة الكنيسة نحو ميناء الاتحاد الأبدي بالثالوث القدوس

***

يعزِّي الروحُ نفوسنا بنور المعرفة الأبدية؛

حتى لا تظلَّم قلوبنا بالشرور

ويطيِّب قلوبنا بطيب الحكمة؛

لكي نلتصق بشجاعة المصلوب

***

* المجد للآب الذي أرسل الوحيد لنا

***

* المجد للوحيد الذي وهبنا شركة بنوته

***

المجد للمعزِّي الذي سكب المحبة الأزلية في قلوبنا؛

لكي يوحِّدنا بالثالوث الواحد غير المنقسم رافعنا من كل انقسامٍ إلى مجد وحرية الأُلوهة

***

ظَهَرَت محبتُك للخطاة عندما سكبت الروح المعزِّي يوم الخمسين

على الكنيسة جسدك

نقل الروح إلينا قداستك أيها الثالوث الواحد؛

لأنه وحَّدنا بمحبتك، فصرنا مقدَّسين بخدمة الوسيط الذي حررنا من الموت والدينونة،

ووسَّع مجال طبعنا لكي نقبل الحياة السمائية

***

صار دخول رئيسِ الكهنة إلى الأقداس الحقيقية بطبعٍ بشري،

دخولاً أبدياً موهوباً لجميع محبيه

***

رفعَ الدينونةَ وجاء بالمصالحة،

وأباد الموت ليسكن فينا روح الحياة، الرب المحيي

***

نزل من عِزَّتِه إلى الإنسان؛

لكي ينزل المعزِّي من سماء التقديس إلى المنسحقين والأسرى وعبيد الجسد

***

لذلك نعيِّد بعيدنا الأبدي

المسيحُ قام وأرسل لنا المعزِّي

وجعلنا هيكل الثالوث،

وحوَّل أصلنا الترابي إلى مجد أُلوهة التبني

فلنمجده ونرفع اسمه لأنه صنع معنا كعظيم رحمته

***

عيد العنصرة(٢٧)

– الروح يعطي المواهب ويظل الروح الواحد الذي لا ينقسم.

– يوزِّعُ عطايا تدبير الكنيسة في هذا الزمان: النبوة، طرد الشياطين، مواهب الشفاء وغيرها.

– وهو يعطي من ذات قداسته صورة الرب نفسه التي يطبعها فينا، صورة الحي غالب الموت والكائن في حضن الآب.

– يمنح لنا ذات حياة الله؛ لأن الله هو وحده الأبدي، ويصبح الله هو بدايتنا التي لا تنتهي.

– لا تكن غبيًا وأعمى وتقول إن الحياة الأبدية مخلوقة؛ لأن هذا يعني أن المسيح الكائن إلى الأبد ربًا ومسيحًا، قد أُضيفَ إليه ما هو مخلوق، أي أبدية مخلوقة تعطي له الملك الأبدي، وهو ما يعني أنه ليس أبديًا، أي أنه هو نفسه ليس إلهًا.

– الروح أقام يسوع من الأموات، وهو سوف يقيم أجسادنا من الموت ليكون جسدنا مثل جسد مجده (فيلبي ٣ : ٢١). والقيامة ليست موهبة، بل هي التي تكون الحياة الأبدية للجسد، ولذلك لا تكن أعمى وتظن أن الروح القدس لا يسكن فيك؛ لأنه يسكن فينا لنكون هيكل الله الأبدي بالأجساد الخالدة.

– لذلك وحَّدَ حلولُ الروح السماءَ والأرضَ.

– فلنسبح اسم الرب لأنه بالمجد تمجد. جعل الاثنين واحدًا، أي السماء والأرض. أعطى عربون القيامة، أي عربون الحياة السمائية، ويأخذ من الابن له المجد ويعطي الكنيسة، وكل مؤمن لا سيما تقديس السرائر وسكناه في

(٢٧) مقال منشور على الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ١ يونية ٢٠١٧.

القلب؛ لأننا به قد دخلنا الحياة السمائية ونحن على الأرض.

- يا روح العزاء، امسح دموع الحزانى. ثبِّت الخائفين، وامنح المتألمين قوة الشهادة. وفرِّح جسد المسيح بالفرح الأبدي. واشفِ مصر من الإرهاب، واحرس قلوبنا حتى لا تميل إلى الكراهية تحت وطأة الخوف. واذكر جيش مصر وشرطة مصر وكنائس ومساجد مصر وشعبنا العظيم.

كل عام وأنتم بخير

القيامةُ، بشارةٌ ومنهج[٢٨]

كل عام وأنتم بخير، أعاد الآب هذا العيد على مصر شعباً وحكومةً وكنيسةً بالسلام والفرح.

القيامةُ بشارةُ حياةٍ، فقد غُلِبَ الموت، وصار القبر فارغاً، وترك الرب الأكفان؛ لأنه لبس المجد الأبدي الذي ظهر به في التجلي ظهوراً مسبقاً يؤكد جلاله وعزته الذاتية.

القيامةُ بشارةُ فرحٍ بعد ليل الموت الذي غابت فيه شمس الحياة.

قام المسيح ولن يسود الموت ولن نعود إلى التراب، بل سنحيا حياةً أبديةً هي نفس حياة الرب يسوع نفسه.

القيامةُ منهجُ من يرى استمرار الصلاح وفاعلية المحبة. للعمل لما هو باقٍ، بل ودائم، وهو غير منهج الموت الذي يستهلك ويحول كل ما تمتد إليه أيدينا إلى نفايات.

القيامةُ تعمل برجاء الشفاء والنمو والتحرر من الفساد الداخلي لكي يتحول الشكل الخارجي "الجسد" إلى ذات الشكل الداخلي الذي نال ذات مجد يسوع.

القيامةُ لا تأخذ منهج الشريعة، بل منهج الحياة الأبدية الذي يرى صلاح الثالوث، فلا حكم على ساقطٍ، بل غفرانٌ من أجل الحياة الحرة، هبة الآب في ابنه يسوع المسيح.

فما هو درس القيامة ونحن نرى قتلى حولنا وتفجير كنائس وقتل بعض المجندين أثناء تأدية الخدمة الوطنية، وإغراء الضعفاء بالمال والزواج، بل والطرد من منازلهم .... إلخ

---

(٢٨) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٧ ابريل ٢٠١٨.

تدعونا القيامةُ لرؤية نهاية الشر عندما يتحول إلى نفايات وفقدان قوته بالموت؛ لأن الموت ليس قوةً بل ضعفاً، هو النهاية بينما القيامة هي استمرار الحياة وهزيمة القبور.

لقد قام المسيح بشارةً ومنهجاً.

بشارةً بالحياة ومنهجاً لا يعرف الخوف ولا يفقد الرجاء.

كل عام وأنتم بخير

القيامة رجاؤنا الأعظم(٢٩)

المسيحُ قام. حقًا قام. هذا هو رجاؤنا الأعظم.

المسيحُ لقبٌ، وليس اسمًا شخصيًا. الاسم الشخصي للرب هو يسوع، أي "يهوه مخلِّص" حسب الأصل العبراني. أما المسيح، فهو لقب الملك في العهد القديم، إذ كان يسمى "مسيح الرب". وقد حمل الرب هذا اللقب "ملك اليهود" معلَّقًا على الصليب يوم صُلِبَ على الجلجثة.

في العبرانيين ٩: ١٢ قدَّم المسيح دمه الخاص "بالروح الأزلي"، وحسب بعض المخطوطات اليونانية "بالروح القدس"، فقد صُلِبَ الممسوح بالروح القدس بعد خروجه من مياه الأردن، واعتبر الربُّ موتَه المحيي معموديةً أو صبغةً، وهي معمودية الدم (مر ١٠: ٣٨ - ٣٩)، وبالمناسبة فإنني لست أدري سر ترجمة "فان ديك" لكلمة "معمودية" في كلام الرب نفسه بكلمة "صبغة"، لأنه وإن كانت الكلمة لغويًا تعني "صبغة"، إلا أن استبدالها بالاسم "معمودية" له دلالة غير خافية، وترجمة غريبة عن تدبير العهد الجديد.

صبغة يسوع هي دمه الذي دخل به السماء لكي "يظهر أمام وجه الله لأجلنا" (عب ٩: ٢٤) كوسيط وشفيع ورأس الجسد الكنيسة، جسده الواحد.

أمامنا رحلة بدأت بدخول أورشليم بخورس الشعب "هوشعنا"، أي خلِّصنا. وكانت بداية استعلان الملك، ولكن ليس بصولجان وتاج، بل بمسامير وحربة وتاج شوكٍ لكي يملك من على الصليب، فقد كانت الخطية تملك جالسةً على عرشٍ اسمه الموت (رو ٥: ٢٠)، ولكن جاء الربُّ وهدم ذلك العرش.

"قدوسٌ الذي لا يموت" ولأن اللاهوت لا يموت، فقد قابل الربُّ موتَ الإنسانية، لا موتَه الخاص، في الإنسانية القابلة للموت. وعندما تقابَل الحياةُ التي لا

(٢٩) مقال منشور على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية في ٢٧ ابريل ٢٠١٩.

تموت مع الحياة القابلة للموت، ضاع سلطان الموت وسطوته "كما ملكت الخطية في الموت، هكذا نملك بالنعمة والحق (البر) للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١).

إذن فقد سقط الموتُ على الجلجثة. وكانت كلمات الرب المصلوب: "يا أبتاه في يديك استودع روحي" هي إعلانُ نهاية الموت. وجاء وعدُ اللِّصِ بالفردوس: "اليوم تكون معي في الفردوس" وعدًا ممن يملك حياته "لي سلطان أن أضعها وسلطان أن آخذها أيضًا" (يو ١٠: ١٨). وقبل هذه الكلمات: "ليس أحدٌ يأخذها مني، بل أنا أضعها من ذاتي" (يو ١٠: ١٧). فلم يكن الرب ليموتَ ضحيةَ ظروفٍ فُرِضَت عليه، بل جاء حرًا وصُلِبَ حرًا، ولا تزال كل الكنائس الأرثوذكسية رغم تنوعها تؤكد ذلك في تراتيل وصلوات اسبوع البصخة. فقد "تألم وصلب بإرادته"؛ لأن تقدمة المحبة لا تكون فرضًا وقسرًا وإرغامًا، حيث لا محبة حقيقية ولا طاعة حقيقية بدون حرية الإرادة وحرية الاختيار.

وفي المشورة الإلهية –حسب التدبير– قال الرب للآب: "هنذا أجئُ ... مكتوبٌ عني لأفعل إرادتك يا الله" (عب ١٠: ٧)، ومن يعمل إرادة الآب هو واحدٌ مع الآب (يو ١٠: ٣٠).

"يسوع المسيح إلهنا الحقيقي الذي قَبِلَ الآلام بإرادته وصُلِبَ على الصليب لأجلنا ..." (البركة التي تقال في صلوات البصخة المقدسة)، كلماتٌ قاطعة، فالذي صُلِبَ هو الإله الحقيقي؛ لأن الله وحده هو القادر أن يهدمَ صرحَ الموت وعرشه.

ولكن، بنشر الكراهية والأحقاد والتشيُّع، يدخل الموتُ الذي ماتَ إلى حياة الكنيسة. كم من وقت ومال وورق وحبر وجهد ضاع في الهجوم على أناسٍ أبرياء؟

هل تناول يهوذا؟

كانت عظةُ ذهبي الفم المعروفة في دلال اسبوع الآلام تقول إنه تناول، ولكن هذه العظة حُذِفَت في الطبعات الحديثة، إرضاءً وتذلفًا لرأيٍّ منفرد.

ها نحن نعبث بتراثنا الكنسي دون إدراك لكي ننشر فكرةً أو نروِّجُ رأيًا.

واستمراراً لوهم المعرفة قرأنا مَن تهوَّر وكتب بيده أن المسيح لم يقدم جسده ودمه في العلية، مع أن طرح باكر الخميس من صلوات البصخة يؤكد "أنت هو فصحنا يا يسوع المسيح ... لأن الإله الكلمة صار لكم فصحًا ... الفصح الجديد هو ابن الله الذي خلَّص العالم من الفساد".

لا يمكن أن يكون للمسيح رمزٌ يدل عليه عندما يقول: "خذوا كلوا هذا هو جسدي". لقد جاء الرب إلينا كطبيب. لأنه لم يأتِ إلينا كمرضى فقط، بل كموتى. بهذا لم يشفِنا نحن المرضى فحسب، بل أمامنا نحن الأموات الذين ابتلعنا الموت ففكنا من رباطاته. لهذا مات المسيح عنا لكي نحيا معه إلى الأبد. لأنه إن لم يكن الرب قد شارك البشرية في آلامها، فكيف يخلِّص الإنسان؟ لأن الموت سقط تحت أقدام المسيح وسُبيَ مضطربًا" (القديس أثناسيوس — عظة الساعة الثالثة من يوم الجمعة العظيمة).

"أبطلت عِزَّ الموتِ يا سيدنا بصليبك يا ذا القدرة المنيعة" (طرح الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة).

"يسوع هو الإنسان الجديد الذي قتل الموت وأبطل عزته وكسر شوكته المرة ... والعدو الأخير الذي هو الشيطان قيَّده بالقيود والسلاسل" (طرح الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة).

ولكننا رأينا كيف يفرش الشيطان لنفسه طريقًا في داخل الكنيسة وبواسطة أبناء وبنات الكنيسة. اتهاماتٌ بلا دليل: هرطقة الأنبا أبيفانيوس هي شركة البشر في الفداء. تلك هلوسةٌ لا يقبلها عاقل لأن بولس الرسول هو القائل: "مع المسيح صُلِبتُ" (رو ٦: ١ – ٨) عن الصليب والموت والدفن والقيامة مع الرب في المعمودية، في "صبغة الدم".

وبذات الأسلوب الاستنكاري يكتب صاحب الرأي المنفرد: "لما صُلِبَ الرب لم يكن بولس قد آمن". هذا وجهٌ واحد، ولكن الوجه المقابل الحقيقي هو أنه صُلِبَ لأن "الحياة هي المسيح" (فيلبي ١: ٢١). والمسيح يحيا في بولس لأن بولس صُلِبَ معه، وهذه هي نعمة الله التي تعلو على كل شريعة (غلا ٢: ١٨)، فلا شركة حقيقية

بين الله والإنسان إلا بالصليب وبالقيامة (غلا ٣: ٢١).

في موكب الانتصار يتقدمنا الصليب دائمًا عندما ينضم جديدٌ إلى جسد الرب في المعمودية، ويتقدم أيقونة القيامة التي صارت عند الشعب "زفة"، فضاع المعنى والهدف، وإنما هو الموكب الملوكي الذي نراه في باكر أحد الشعانين في الاحتفال أمام أيقونات الكنيسة.

تُرى، هل تهزم الثقافة الشعبية الإيمان؟

نقطع بأنه طالما لدينا تعليمٌ ليتورجي يقال ويعاد، فهو قادر أن يعيد مجد الإيمان:

"لك القوة والبركة والعزة يا عمانوئيل إلهنا وملكنا".

عثرة الصليب

الكلمة اليونانية لا تعني فقط عثرة، بل فضيحة skandalo. كان اليهود يطلبون "آيةً" أو معجزةً، ولكن صار الصليب والقيامة معًا هما المعجزة: "آية يونان النبي" حسب قوال الرب (متى ١٢: ٢٩).

يسوع الملك صُلِب. عند حكماء اليونان هذه "غباوة". لم يأتِ يسوع بمجد جبل طابور، ولكن جاء ليجوز "وادي ظل الموت"، أعلن يسوع محبة الآب ورحمته في خروج جديد، ثم في أورشليم (لو ٩: ٣١). كان بطرس يوبخ الرب بسبب ما قاله عن موته وانتهره الرب: "أنت معثرةٌ لي ..." (مت ١٦: ٢٢ - ٢٣).

على الجلجثة ظهر مصير الإنسانية كله ليس في معارك بالسلاح، بل كما تحدى بولس الإنسان "أين الحكيم؟". حكماء هذا الدهر يطلبون القوة. وعثرة الإنسانية هي دائمًا انكسار القوة وانهيار السلطان الذي بغباء العداوة والحقد يريد أن يملك.

ومثلهم مثل اليونانيين، رفض اليهودُ الصَّلبَ والمصلوب، ولكن الصليب والمصلوب هو "قوة الله وحكمة الله" (١ كور ١: ٢٤).

لا يزال الصليب يتحدى قسوة الإنسان، تلك التي تجعل كل قاسٍ يحتقر الصليب ويطعن المحبة بكل آلةٍ حادةٍ ويحتقر الرحمة.

ألاحظ أن بعض الأخوة يجدون لذةً وسعادةً في نعتي بلقب المحروم ولقب المهرطق، ولكني أرى كلا اللقبين دلالةً بالغةً على الجهل وعلى العمى الروحي وعلى الانكفاء، بل على الغرق في وحل الكبرياء والحكم على مَن لا يعرفون. تلك بدورها هي فضيحة كلِّ كاتبٍ ومتكلم تعرَّى تمامًا من لباس المحبة وترك الصليب، ومن يترك الصليب بفقد القيامة. تلك الآفة التي تأكل الكنيسة من الداخل، بثُّ الكراهية والخوف والتحذير الدائم من الكاثوليك والبروتستانت، كأن الكراهية والخوف هي رسالة الإنجيل، وكأن مشاركة هؤلاء ذنبٌ عظيم، ولم يدرك هؤلاء أن جهات كثيرة تحاول محاصرة الكنيسة القبطية وعزلها عن العالم. ولم يدرك هؤلاء أيضًا أن حضورنا لديهم لا يعني الانتماء، ومشاركتنا في أي نشاط عالمي لا يعني أننا تحولنا عن الأرثوذكسية.

لازال الصليب "عثرةً"، بل "فضيحةً" لكل مَن يجاهر به وهو مشحونٌ بالغضب والانتقام. ولكن الصليب هو استعلان الخلاص لكل العالم.

يا من تصلب غيرك في أحاديث الميكروفون، وفي مقالات الجهل، فلتعلم أننا وأنت، كلنا شركاء المصلوب الذي فضح كذب القوة وعجزها ومرحبًا بكل اتهام فهو كاشف لجهل القائل.

القيامة شجاعة آباء الإسقيط

يفرح آباء الإسقيط بالشتائم والإهانات لأنهم صُلِبوا ونالوا عربون الحياة الآتية. قاموا حسب العربون، فلم يقبل أرسانيوس أن يرث لأنه مات. وترك واحدٌ ثوبه ليسرقه لصٌّ لأنه من لُبَّاس الصليب. ولبس أنبا مقار الروح القدس، فأشرق بنور يسوع.

كان أستاذنا د. سامي جبرة يعتقد أن العطور التي ورد ذكرها في كتاب طبخ الميرون هي أحد المكونات المستخدمة في عملية التحنيط في مصر، ولذلك لا يفسد زيت الميرون. لذا عندما نسمع في التسليم الكنسي أن الميرون احتوى خميرة زيت دفن يسوع، فنحن إذن ننال مسحة الموت والقيامة، فقد أقام الروح القدس جسد يسوع

(رو ٨: ١١)، وثباتنا هو الصلب والقيامة في المسحة الملوكية.

يرافقنا رشم الصليب. كان القمص ميخائيل إبراهيم هو أكثر مَن عرفتُ من البشر في رشم الصليب. لو قلت مائة مرة في اليوم الواحد، لكان هذا العدد تقريبي. لقد عاش بالصليب فدخل قوة القيامة.

أعرفُ رجلا نالته العلل والأوجاع، وكان يعجز عن أن يقف، فكان يقول: "يا قوة المصلوب الحي يسوع ربي". هذه خبرةٌ وتذوُّق.

العربون

الإيمان اختبارٌ ورؤية. هو اختبارٌ ضد ما هو محسوس، هو "حِس" بالحياة الأبدية حيث يقف الفكر عاجزاً عن التصور، ويخفِق الخيال أمام حقيقة سريان حياة جديدة فينا هي يسوع الحي. ولذلك يغمر الحزن قلبي أمام كلمات التراتيل المعاصرة التي نُظمت بروح انفصال المسيحي عن يسوع.

كان الأب متى المسكين يقول: "تلامس مع الرب"، لمسة الحياة التي تأتي منه مثل لمسة نازفة الدم التي لمست هُدبَ ثوبه، وهُدبُ ثوبه ربما كان "الشال" الذي كان كل يهودي يضعه حول رقبته لكي يغطي رأسه عندما يصلي ثلاث مرات في النهار. نحن نلمس يسوع فينا في طوفان المحبة التي تغفر، وفي الاستهانة بالمرض والموت، فلا شيء يقف بيني وبينك يا يسوع، أنت الحياة، ونحن نذوق الحياة في السر المجيد، وهكذا نرتل: "بموتك وبقيامتك وصعودك إلى السموات يا رب نبشر"؛ لأن سر محبتك يعطى لنا طعاماً، طعام عدم الموت كما شهد أغناطيوس الأنطاكي.

عندما تضربنا مخاوف المرض والموت، نرتل مع يسوع: "أخبر باسمك اخوتي وفي وسط الكنيسة أسبحك" (عب ٢: ١١). الرب قام رغم حزان فقدان المنازل وتدمير الكنائس وحرقها وقتل الأبرياء. كان المؤمنون الروس يرتلون عندما كان النظام الشيوعي ينسف الكنائس في الحقبة السابقة: "لقد هدموا الكنائس، أما نحن فكنيسة الله الحي لأن يسوع قام من الأموات". وقد تقابلت مع واحدٍ من هؤلاء المعترفين بعد أن طُرد وجاء إلى لندن، وقال لي: "كنت أرتل (المسيح قام من الأموات

وبالموت داس الموت)، عندما كان الجوع يقرص أمعائي الخاوية، حيث كانوا يعطوننا نصف رغيف في اليوم في درجة حرارة ٣٠ تحت الصفر وأحيانًا ٤٠ تحت الصفر. يسوع قام وفرحي بالقيامة جعلني أصبر على الجوع. القيامة لا تجعلنا نعبر في انتظار الفرج وتحسن الظروف، وإنما تجعلنا نرى المصير الأبدي المجيد فنفرح بيسوع وهو مصدر الفرح الذي أدهش الحراس".

فإن تحسنت أحوالنا أو تراجع ما لدينا من علاقات، فالمسيح أقامنا فيه "والعشم" دائمًا هو في يسوع وليس في البشر ولا في النظام مهما كان هذا أو أولئك.

القيامة هي حريتنا من كل الأنظمة مهما كان نوعها، وتلك هي حرية من ذاق الخلود بالروح القدس واتحد بيسوع وأدرك استعلان أبوة الآب وعاش بنعمة التبني ابنًا حرًا من كل أشكال الاستعباد.

الخوف هو سجن العقل الذي أُبيد مع القيامة.

المصير المجهول هو سبب عبودية أي إنسان، أما نحن فنعيش الحرية لأن مصيرنا معروفٌ ومعلَنٌ، وهو: "عن يمين الآب السماوي"، ولذلك القيامة هي حدث دائم في حياتنا.

الرب قام وهدم كل خوف وبدد سلطان الجحيم.

الرب قام وهذا هو رجاء الحياة الأبدية رغم أتعاب الحياة الترابية.

يسر أسرة الموقع أن تتقدم بالتهنئة لقداسة البابا تواضروس الثاني، وكل الإكليروس وشعبنا في كل مدينة وقرية، ولمصر الوطن الذي يغسل أوجاع الماضي بدم رجال أوفياء. رحم الله من استشهد، فالشهادة هي طريق الحياة الحقيقية.

كل عام وأنتم بخير